بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما ينفق يمينه وقال صلى الله عليه وسلم ما زاد رجلا رجل في
الله شوقا اليه ورغبة في لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة وقال صلعم
ان رجلا زار اخا له في الله فارصد الله ملكا فقال اين تريد فقال اريد ان ازور اخي فلانا
فقال الحاجة لك عنده قال لا قال لقرابة بينك وبينه قال لا قال فنعمة لك عنده قال لا قال
فبم قال احبه في الله قال فان الله عز وجل ارسلني اليك يخبرك بانه يحبك بحبك اياه وقد اوجب لك الجنة
وقال صلى الله عليه وسلم اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله فبهذا يجب ان يكون للرجل
اعداء يبغضهم في الله كما يكون له اصدقاء واخوان يحبهم في الله وروي ان الله عز وجل اوحى الى
نبي من الانبياء اما زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة واما انقطاعك الي فقد تعززت بي
ولكن هل عاديت في عدوا او واليت في وليا وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر علي
منة فيرزقه مني محبة وروي ان الله تعالى اوحى الى عيسى عليه السلم لو انك عبدتني بعبادة
اهل السموات والارض وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما اغنى عنك ذلك شيا وقال
عيسى عليه السلم تحببوا الى الله ببغض اهل المعاصي وتقربوا الى الله بالتباعد منهم والتمسوا
رضاء الله بسخطهم قالوا يا روح الله فمن نجالس قال جالسوا من يذكركم الله رؤيته ومن يزيد
في علمكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله وروي في الاخبار السالفة ان الله تعالى اوحى الى
موسى عليه السلم يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل خدن وصاحب لا يوازرك
في مسرتي فهو عدو لك واوحى الله تعالى الى داود عليه السلم فقال يا داود ما لي اراك منتبذا
وحيدا قال الهي قليت الخلق من اجلك فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك اخدانا وكل
خدن لا يوافقك على مسرتي فلا تصحبه فانه لك عدو يقسي قلبك ويباعدك مني وفي اخبار
داود عليه السلم انه قال يا رب كيف لي ان يحبني الناس كلهم واسلم فيما بيني وبينك قال
خالق الناس باخلاقهم واحسن فيما بيني وبينك وفي بعضها خالق اهل الدنيا باخلاق الدنيا
وخالق اهل الآخرة باخلاق الآخرة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان احبكم الى الله الذين يالفون
ويؤلفون وان ابغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاخوان وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما الفت بين الثلج والنار فكذلك
الف بين قلوب عبادك الصالحين وقال ايضا ما احدث عبد حبا في الله الا احدث الله له
درجة في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في راس

العمود سبعون الف غرفة تشرفون على اهل الجنة يضئ حسنهم لاهل الجنة كما يضئ الشمس لاهل
الدنيا فتقول اهل الجنة انطلقوا بنا ننظر الى المتحابين في الله فيضئ حسنهم لاهل الجنة كما يضئ الشمس
عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون في الله **الآثار** قال علي عليه السلم عليكم
بالاخوان فانهم عدة في الدنيا والآخرة الا تسمع الى قول اهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق
حميم وقال ابن عمر لو صمت النهار لا افطر وقمت الليل لا انام وانفقت مالي علقا علقا في سبيل
الله تع اموت يوم اموت وليس في قلبي حب لاهل طاعة الله وبغض لاهل معصية الله ما نفعني ذلك
شيئا وقال ابن السماك عند موته اللهم انك تعلم اني اذ كنت اعصيك احب من يطيعك فاجعل
ذلك قربة لي اليك وقال الحسن على ضده يا ابن آدم لا تغرنك قول من تقول المرء مع من احب فانك لن
تلحق بالابرار الا باعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون انبياءهم وليس معهم وهذا اشارة الى ان
مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الاعمال او كلها لا ينفع وقال الفضيل في بعض كلامه هاه تريد
ان تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
باي عمل عملته باي شهوة تركتها فاي غيظ كظمته باي رحم قاطع وصلتها باي زلة لاخيك غفرتها
باي قريب باعدته في الله باي بعيد قربته في الله ويروى ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلم
هل عملت لي عملا قط فقال الهي صمت لك وصليت وتصدقت قال فان الصلاة لك برهان
والصوم جنة والصدقة ظل والذكر نور فاي عمل عملت قال الهي دلني على عمل هو لك قال يا موسى
هل واليت في وليا قط هل عاديت في عدوا قط فعلم موسى ان افضل الاعمال الحب في الله
والبغض في الله وقال ابن مسعود لو ان رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة
لبعثه الله يوم القيمة مع من يحب وقال الحسن مصارمة الفاسق قربة الى الله تعالى وقال رجل
لمحمد بن واسع اني احبك في الله فقال احبك الذي احببتني من اجله ثم حول وجهه وقال اللهم
اني اعوذ بك ان احب فيك وانت لي مبغض ودخل رجل على داود الطائي فقال له ما حاجتك
فقال زيارتك اما انت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ما ينزل بي انا اذا قيل لي من
انت فزار امن الزهاد انت لا والله امن العباد انت لا والله امن الصالحين انت لا والله ثم اقبل
يوبخ نفسه ويقول كنت في الشبيبة فاسقا فلما صرت شيخا صرت مرائيا والله للمرائي شر من
الفاسق وقال عمر رضي الله عنه اذا اصاب احدكم ودا من اخيه فليتمسك به فقل ما تصيب ذلك
وقال مجاهد المتحابون في الله اذا التقوا فهش بعضهم الى بعض تحات عنهم الذنوب كما تحات

ورق الشجر في الشتاء اذا يبس وقال الفضيل نظر الرجل الى وجه اخيه على المودة والرحمة
عبادة. بيان معنى الاخوة في الله تعالى وتمييزها عن الاخوة في الدنيا اعلم ان
المحبة في الله والبغض في الله غامض وينكشف الغطاء عنه بما سنذكره وهو ان الصحبة تنقسم
الى ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار او بسبب الاجتماع في المكتب او المدرسة او في
السوق او على باب السلطان او في الاسفار والى ما ينشأ اختيارا ويقصد وهو الذي نريد بيانه
اذ الاخوة في الدين واقعة في هذا القسم لا محالة اذ لا ثواب الا على الافعال الاختيارية ولا ترغيب
الا فيها والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الامور لا يقصد الانسان بها غيره الا
اذا احبه فان غير المحبوب يجتنب ويتباعد ولا يقصد مخالطته والذي يحب اما ان يحب لذاته
لا ليتوصل به الى محبوب ومقصود وراءه واما ان يحب ليتوصل به الى مقصود وذلك المقصود
اما ان يكون مقصورا على الدنيا وحظوظها واما ان يكون متعلقا بالآخرة واما ان يكون متعلقا
بالله تعالى فهذه اربعة اقسام اما القسم الاول وهو حبك الانسان لذاته وذلك ممكن وهو
ان يكون هو في ذاته محبوبا عندك على معنى انك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة اخلاقه
لاستحسانك له فان كل جميل لذيذ في حق من ادرك جماله وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع
الاستحسان والاستحسان يتبع المناسبة والملاءمة والموافقة بين الطباع ثم ذلك المستحسن
اما ان تكون هي الصورة الظاهرة اعني الخلقة واما ان يكون هي الصورة الباطنة اعني كمال
العقل وحسن الخلق ويتبع حسن الاخلاق حسن الافعال لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة
العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم وكل مستحسن مستلذ به
ومحبوب بل في ائتلاف القلوب امر اغمض من هذا فانه قد تستحكم المودة بين شخصين
من غير ملاحة في صورة وحسن في خلق وخلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الالفة والموافقة
فان شبه الشيء ينجذب اليه بالطبع والاشباه الباطنة خفية ولها اسباب دقيقة ليس في قوة
البشر الاطلاع عليها وشبه الشيء ينجذب اليه بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال
الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتناكر نتيجة
التباين والائتلاف نتيجة التناسب الذي عبر عنه عليه السلام بالتعارف وفي بعض الالفاظ
تلتقي فتشام في الهوى وكنى بعض العلماء عن هذا بان قال ان الله تعالى خلق الارواح ففلق
بعضها فلقا واطافها حول العرش فاي روحين من فلقتين تعارفا هناك فالتقيا تواصلا

في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان ارواح المومن لتلتقي على مسيرة يوم وما رأى احدهما صاحبه
قط وروي ان امراة كانت بمكة تضحك النساء وكانت بالمدينة اخرى ونزلت المكية على المدنية
فدخلت على عايشة رضي الله عنها فاضحكتها فقالت اين نزلت فاخبرتها فقالت صدق الله ورسوله
سمعته يقول صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة الحديث والحق في هذا المشاهدة والتجربة
تشهد الايتلاف عند التناسب والتناسب في الطباع والاخلاق باطنا وظاهرا امر مفهوم
واما الاسباب التي اوجبت تلك المناسبة فليس في قوة البشر الاطلاع عليها وغاية هذا
بان المنجم يقول اذا كان طالعه على تسديس غيره او تثليثه فهذا نظر الموافقة واذا كان على
مقابلته او تربيعه اقتضى التباغض والعداوة وهذا لو صدق لكونه كذلك في مجاري سنة
الله تعالى في خلق السماوات والارض لكان والاشكال فيه اكثر من الاشكال في اصل التناسب فلا معنى
للخوض فيما لم ينكشف سره للبشر فما اوتينا من العلم الا قليلا ويكفينا في التصديق بذلك التجربة
والمشاهدة وقد ورد الخبر به قال صلى الله عليه وسلم لو ان مومنا دخل الى مجلس فيه مائة
منافق ومومن واحد لجاء حتى يجلس اليه ولو ان منافقا دخل الى مجلس فيه مائة مومن
ومنافق واحد لجاء حتى يجلس اليه وهذا يدل على ان شبه الشيء ينجذب اليه بالطبع وان كان هو لا يشعر
به وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان في عشرة الا وفي احدهما وصف من الآخر وان
اشكال الناس كاجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران الا وبينهما مناسبة قال
فرأى يوما غرابا مع حمامة فعجب وقال اتفقا وليسا من شكل ثم طارا فاذا هما اعرجان فقال من
هاهنا اتفقا وقيل كل انسان يانس الى شكله كما كل طير يطير مع جنسه واذا اصطحب اثنان
برهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد ان يتفرقا وهذا معنى خفي تفطن له الشعراء فقال
وقايل كيف تفارقتما فقلت قولا فيه انصاف لم يك من شكلي ففارقته والناس اشكال وآلاف
فقد ظهر من هنا ان الانسان قد يحب لذاته لا لفايدة تنال منه في حال او مآل بل لمجرد المجانسة
والمناسبة في الطباع الباطنة والاخلاق الخفية ويدخل في هذا القسم الحب للجمال اذا لم يكن
المقصود قضاء الشهوة حتى يستلذ بالنظر الى الفواكه والانوار والازهار والتفاح المشرب
بحمرة والى الماء والخضرة من غير غرض سوى عينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله تعالى بل هو
حب بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله الا انه اتصل به غرض مذموم
صار مذموما كحب الصور الجميلة لقضاء الشهوة حيث لا يحل قضاؤها وان لم يتصل به غرض

مذموم فهو مباح لا يوجب حمد ولا ذم اذ الحب اما محمود واما مذموم واما مباح لا يحمد ولا يذم القسم
الثاني ان يحبه لينال من ذاته غيره انه فيكون وسيلة الى محبوب غيره والوسيلة الى المحبوب
محبوب وما يحب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة ولكن الطريق الى المحبوب محبوب
ولذلك احب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيهما اذ لا تطعم ولا تلبس ولكنهما وسيلة الى المحبوبات
فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة من حيث انه وسيلة الى المقصود او يتوصل به الى
نيل جاه او مال وعلم كما يحب الرجل سلطانا لانتفاعه بماله او جاهه ويحب خواصه لتحسينهم
حاله عنده وتمهيدهم امره في قلبه فالمتوسل اليه ان كان مقصورا لفائدة في الدنيا ولكنه
ليس يقصد به الا الدنيا كحب التلميذ لاستاذه وهو خارج عن الحب لله فانه انما يحبه ليحصل
منه العلم لنفسه فمحبوبه العلم فاذا كان لا يقصد العلم للتقرب الى الله تعالى بل لينال
الجاه والمال والقبول عند الخلق فمحبوبه الجاه والقبول عند الخلق والعلم وسيلة اليه
والاستاذ وسيلة الى العلم فليس في شيء من ذلك حب لله تعالى اذ يتصور كل ذلك ممن
لا يؤمن بالله اصلا ثم ينقسم هذا ايضا الى مذموم ومباح فان كان يقصد به التوصل الى
مقاصد مذمومة من قهر الاقران وحيازة الاموال من الاوقاف واليتامى وظلم الرعية
بولاية القضاء كان الحب مذموما وان كان يقصد به التوصل الى مباح فهو مباح وانما
تكتسب الحكم والصفة من هذا المقصد المتوسل اليه فانها تابعة له غير قائمة بنفسها القسم
الثالث ان لا يحبه لذاته بل لغيره وذلك الغير راجع الى حظوظه في الدنيا بل يرجع الى
حظوظه في الآخرة فهذا ايضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب استاذه وشيخه لانه
يتوسل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الآخرة
فهذا من جملة المحبين في الله وذلك من يحب تلميذه ليتلقف منه العلم وينال بواسطته
رتبة التعليم ويرقى به الى درجة التعظيم في ملكوت السماء قال المسيح عليه السلام من علم
وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء ولا يتم التعليم الا بمتعلم فهو اذن آلة في تحصيل
هذا الكمال فان احبه لانه آلة اذ جعل صدره مزرعة لحرثه اذ هو سبب ترقيه الى رتبة
العظمة في ملكوت السماء فهو محب لله بل الذي يتصدق باموال الله ويجمع الضيفان ويهيئ لهم
الاطعمة اللذيذة الغريبة تقربا الى الله واحب طباخا لحسن صنعته في الطبخ فهو من جملة
المحبين في الله وكذا لو احب من تولى ايصال الصدقة الى المستحقين فقد احبه في الله بل نزيد

على هذا فيقول لمن احب من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرغه
له لذلك العلم او العمل ومقصوده من هذه الاعمال الفراغة للعبادة فهو محب في الله بل اذا احب من ينفق
عليه ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع اغراضه الذي يقصدها في دنياه ومقصوده من
جملة ذلك الفراغة للعلم والعمل للتقرب الى الله تعالى فهو محب في الله تعالى فقد كان جماعة من السلف
يكفل بكفايتهم جماعة من اولي الثروة وكان المواسي والمواسى جميعا متحابين في الله بل نزيد فنقول
من نكح امراة صالحة ليتحصن بها عن وسواس الشيطان ويصون بها دينه او ليولد له ولد صالح يدعو له
واحب زوجته لانها الة في هذه المقاصد الدينية فهو محب في الله تعالى ولذلك ورد في الاخبار
وفور الاجر والثواب على الانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل في في امراته بل نقول كل من
استهتر بحب الله وحب لقاء الله في الدار الآخرة فاذا احب غيره كان محبا في الله لانه لا يتصور ان
يحب شيا الا لمناسبته لما هو محبوب عنده وهو رضاء الله بل ازيد ما قول اذا اجتمع في قلبه محبتان
محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع في شخص واحد المعنيان جميعا حتى صلح لان يتوسل الى الله تعالى
والدنيا فاذا احبه لصلاحه للامرين فهو محب من المحبين في الله كمن يحب استاذه الذي يعلمه الدين
ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة في المال فاحبه من حيث ان في طبعه الراحة في الدنيا والسعادة
في الآخرة وهو وسيلة اليهما فهو محب في الله وليس من شرط احب الله ان لا يحب في العاجل حظا
البته اذ الدعاء الذي امر به الانبياء فيه جمع بين الدنيا والاخرة فمن ذلك قولهم ربنا آتنا في
الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقال عيسى عليه السلام في دعائه اللهم لا تشمت بي عدوي ولا
تسؤ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي فدفع شماتة الاعداء من حظوظ
الدنيا ولم يقل ولا تجعل الدنيا اصلا من همي بل قال لا تجعله اكبر همي وقال نبينا صلى الله عليه وسلم
في دعائه اللهم عافني من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة وعلى الجملة اذا لم يكن حب السعادة في الآخرة
مناقضا لحب الله فحب السلامة والصحة والكفاية في الدنيا كيف يكون مناقضا لحب الله والدنيا
والآخرة عبارة عن حالتين احداهما اقرب من الاخرى فكيف يتصور ان يحب الانسان حظوظ
نفسه غدا ولا يحبه وانما يحبه غدا لان الغد سيصير حالا راهنة فالحالة الراهنة لا بد وان تكون
مطلوبة ايضا الا ان حظوظ العاجلة منقسمة الى ما يضاد حظوظ الآخرة ويمنع منها وهو الذي
احترز عنه الانبياء والاولياء وامروا بالاحتراز عنه والى ما لا يضاد وهو الذي لم يمتنعوا منها
كالنكاح الصحيح واكل الحلال وغير ذلك مما يضاد حظوظ الآخرة فحق العاقل ان يكرهه ولا يحبه

اعني انه يكرهه بعقله لا بطبعه كما يكره التناول من طعام لذيذ لملك من الملوك يعلم انه لو اقدم عليه لقطعت يده او حزت رقبته لا بمعنى ان الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهيه بطبعه ولا يستلذه لو اكله فان ذلك محال ولكن على معنى انه يزجره عقله عن الاقدام ويحصل فيه كراهية الضرر المتعلق به والمقصود من هذا انه لو احب استاذه لانه يواسيه او يعلمه او تلميذه لانه يتعلم منه ويخدمه واحدهما حظ لنفسه عاجل والاخر اجل ليكون من جملة المتحابين في الله ولكن بشرط واحد وهو ان يكون بحيث لو منعه العلم مثلا او تعذر عليه تحصيله منه لنقص حبه بسببه فالقدر الذي ينقص بسبب فقده هو لله تعالى وله على ذلك القدر ثواب الحب في الله تعالى وليس بمستنكر ان يشتد حبك لانسان لجملة اغراض ترتبط لك بها فان امتنع بعضها نقص حبك وان زاد زاد الحب فليس حبك للذهب كحبك للفضة اذا تساوى مقدارهما لان الذهب يوصل الى اغراض اكثر مما يوصل اليه الفضة فاذن يزيد الحب بزيادة الغرض فلا يستحيل اجتماع الاغراض الدنيوية والاخروية فهو داخل في جملة الحب لله وحده وكذلك زيادة الحب لولا الايمان بالله تعالى لم تكن تلك الزيادة فتلك الزيادة في الحب لله فذلك وان دق فهو عزيز قال الجريري يعامل الناس في القرن الاول بالدين حتى رق فيعاملوا في القرن الثاني بالوفاء حتى ذهبت وفي الثالث بالمروة حتى ذهبت ولم يبق الا الرغبة والرهبة القسم الرابع ان تحب في الله لا لينال منه علما او عملا او يتوسل به الى امر وراء ذاته وهو اعلى الدرجات وهو ادقها واغمضها وهذا القسم ايضا ممكن فان من اثار الحب عليه ان يتعدى من المحبوب الى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولو من بعد فمن احب انسانا حبا شديدا احب محب ذلك الانسان واحب محبوبه واحب من يخدمه واحب من يثني عليه محبوبه واحب من يتسارع الى رضا محبوبه حتى قال بقية بن الوليد ان المؤمن اذا احب المؤمن احب كلبه وهو كما قال ويشهد له التجربة في احوال العشاق وتدل عليه اشعار الشعراء وكذلك يحفظ ثوب المحبوب ويخفيه ذكرى من جهته ويحب منزله ومحلته وجيرانه حتى قال المجنون

امر على جدار ديار ليلى اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

فاذن المشاهدة والتجربة تدل على ان الحب يتعدى من ذات المحبوب الى ما يحيط به ويتعلق باسبابه ويناسبه ولو من بعد ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة فاصل المحبة لا يكفي فيه ولكن اتساع الحب في تعديه من المحبوب الى ما يكتنفه ويحيط به ويتعلق باسبابه

بحث افراط المحبة وقوتها وكذلك حب الله سبحانه اذا قوي وغلب على القلب واستولى عليه حتى انتهى
الى حد الاستهتار فيتعدى الى كل موجود سواه فان كل موجود سواه اثر من آثار قدرته ومن احب
انسانا احب خطه وصنعته وجميع افعاله وكذلك كان صلى الله عليه وسلم اذا حمل اليه باكورة من
الفاكهة مسح بها عينيه واكرمها وقال انه قريب العهد بربنا وحب الله تعالى تارة لذاته لا لامر آخر وهو ادق
ضروب المحبة واعلاها وسيأتي تحقيقها في كتاب المحبة من ربع المنجيات وكيف ما اتفقت محبة الله فاذا
قوي تعدى الى كل ما يتعلق به ضربا من التعلق حتى يتعدى الى ما هو في نفسه مولم مكروه ولكن
فرط الحب يضعف الاحساس بالالم والفرح بفعل المحبوب وقصده اياه بالايلام يغمر ادراك الالم وذلك
كالفرح بضربة من المحبوب او قرصة فيها نوع معاتبة فان قوة المحبة تنبعث فرحا يغمر الالم فيه وقد انتهت
محبة الله تعالى بقوم الى ان قالوا لا نفرق بين البلاء والنعمة فان الكل من الله ولا نفرح الا بما فيه رضاه حتى
قال بعضهم لا اريد مغفرة الله تعالى بمعصيته عز وجل قال سمنون وليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت
فاختبرني وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والمقصود ان حب الله اذا قوي اثمر حب كل من يقوم بعبادة
الله في علم او عمل واثمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله تعالى من حسن خلق او تادب باداب الشرع
وما من مؤمن محب للآخرة ومحب لله تعالى الا اذا اخبر عن حال رجلين احدهما عالم عابد والآخر جاهل
فاسق الا وجد في نفسه ميلا الى العالم العابد ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف ايمانه
وقوته وبحسب ضعف حبه لله تعالى وقوته وهذا الميل حاصل وان كانا
غائبين عنه بحيث يعلم انه لا يصيبه منهما خير ولا شر في الدنيا والآخرة فذلك الميل هو حب في الله
ولله عز وجل من غير حظ فانه انما يحبه لان الله تعالى يحبه ولانه مرضي عند الله تعالى ولانه يحب الله تعالى
لانه مشغول بعبادة الله تعالى الا انه اذا لم يظهر اثره فلا يظهر به ثواب واجر فاذا قوي حمل على الموالاة
والنصرة والذب بالنفس والمال واللسان ويتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم في حب الله تعالى ولو كان
الحب مقصورا على حظ ينال من المحبوب في الحال والمآل لما تصور حب الموتى من العلماء والعباد
من الصحابة والتابعين بل من الانبياء المنقرضين صلوات الله عليهم وحب جميعهم مكنون في قلب
كل مسلم متدين ويتبين ذلك عند ظفر اعدائهم بواحد منهم وبفرحه عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم
وكل ذلك حب الله تعالى لانهم خواص عباد الله تعالى ومن احب ملكا او شخصا جميلا احب خواصه وخدمه
واحب من يحبه الا انه يمتحن الحب بالموازنة بحظوظ النفس وقد يغلب بحيث لا يبقى للنفس حظ الا فيما
هو حظ المحبوب وعنه عبر قول من قال اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد وقول من قال

وما الحرج اذا ارضاكم الم وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض كمن تسمح نفسه بان
يشاطر محبوبه نصف ماله او ثلثه او عشره فمقدار الاموال موازين المحبة اذ لا يعرف درجة المحبوب
الا بتركه المحبوب في مقابلته فمن استغرق الحب قلبه لم يبق له محبوب سواه ولا يمسك لنفسه شيئا
مثل الصديق رضي الله عنه فانه لم يترك لنفسه اهلا ولا مالا فسلم ابنته التي هي قرة عينه وجميع ماله
قال ابن عمر بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده الصديق وعليه عباءة قد خللها على صدره
بخلال اذ نزل جبرئيل فاقرأه من الله السلام وقال يا رسول الله مالي ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها
على صدره بخلال فقال صلى الله عليه وسلم انفق ماله علي قبل الفتح فقال له اقرأ عليه من الله السلام
وقل له يقول ربك عز وجل اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط فالتفت النبي الى ابي بكر قال
يا ابا بكر هذا جبرئيل يقرئك السلام من الله تعالى ويقول اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط
فبكا ابو بكر وقال اعلى ربي اسخط انا عن ربي راض انا عن ربي راض انا عن ربي راض فحصل من
هذا ان كل من احب عالما او عابدا او احب شخصا راغبا في علم او عبادة او في خير فانما احبه لله
وفي الله وله فيه من الاجر والثواب بقدر قوة حبه فهذا شرح الحب في الله ودرجاته وبهذا يتضح البغض
في الله ايضا ولكن نزيد بيانا بيان البغض في الله تعالى اعلم ان من يحب في الله عز وجل
لا بد وان يبغض في الله فانك ان احببت انسانا لانه مطيع لله عز وجل ومحبوب عند الله تعالى فان عصاه
فلا بد وان يبغضه لانه عاص لله سبحانه وتعالى وممقوت عنده ومن احب بسبب فبالضرورة يبغض
لضدها وهذان متلازمان لا ينفصل احدهما عن الآخر وهذا مطرد في الحب والبغض في العادات
وادن كل واحد من الحب والبغض دفين في القلب وانما يترشح عند الغلبة ويترشح بظهور افعال
المحبين في المقاربة والمباعدة وفي الموافقة والمخالفة فاذا ظهر في الفعل سمي موالاة ومعاداة
ولذلك قال تعالى هل واليت فيّ وليا او عاديت فيّ عدوا كما نقلناه وهذا واضح في حق من لم يظهر
لك الا طاعته اذ تقدر على ان تحبه او لم تظهر الا فسقه وفجوره واخلاقه السيئة فتقدر على ان
تبغضه وانما المشكل اذا اختلطت الطاعات بالمعاصي فانك تقول كيف اجمع بين البغض
والمحبة وهما متناقضان وكذلك يتناقض ثمرتهما في الموافقة والمخالفة والموالاة والمعاداة فاقول
ذلك غير متناقض في حق الله كما لا يتناقض في الحظوظ البشرية فانه مهما اجتمع في شخص واحد خصال
يحب بعضها ويكره بعضها فانك تبغضه من وجه وتحبه من وجه فمن له وجه حسناء فاجر وله
ذكي حدوق ولكنه فاسق فانه يحبه من وجه ويبغضه من وجه فيكون معه على حالتين حالتين

اذ لو فرض اولاد احدهم ذكي بار والآخر بليد عاق والآخر بليد بارّ او ذكي عاق فانه يصادف نفسه
معهم على ثلثة احوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم وكذلك ينبغي ان يكون حالك بالاضافة الى
من غلب عليه الفجور ومن غلب عليه الطاعة ومن اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب وذلك
بان تعطي كل مرتبة حظها من البغض والحب والاعراض والاقبال والصحبة والقطيعة وسائر
الافعال الصادرة منه فان قلت فكل مسلم اسلامه طاعة منه فكيف ابغضه مع الاسلام فا
تحبه لاسلامه وتبغضه لمعصيته وتكون ذلك معه على حالة لو قستها بحال كافر وفاجر ادركت
تفرقة بينهما وتلك التفرقة حب الاسلام ومصلحته وقدر الجناية على حق الله والطاعة له كالجناية
على حقك والطاعة لك فمن وافقك في غرض وخالفك في آخر فكن معه على حالة متوسطة
بين الانقباض والاسترسال وبين الاقبال والاعراض وبين التودد اليه والتوحش عليه ولا
تبالغ في اكرامه مبالغتك في اكرام من يوافقك في جميع اغراضك ولا تبالغ في اهانته مبالغتك
في اهانة من خالفك في جميع اغراضك ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله الى طرف الاهانة
عند غلبة الموافقة فهكذا ينبغي ان يكون فيمن يطيع الله ويعصيه ويتعرض لرضاه مرة ولسخطه
مرة اخرى فان قلت فبماذا يمكن اظهار البغض فاقول اما في القول فيقطع اللسان عن
مكالمته ومحادثته مرة والاستخفاف والتغليظ في القول اخرى واما في الفعل فيقطع السعي
في اعانته مرة وبالسعي في اساءته وافساد ماربه اخرى وبعض هذا اشد من بعض وهو
درجات الفسق والمعصية الصادرة منه اما ما يجري مجرى الهفوة التي يعلم انه متندم عليها
ولا يصر والاولى منه الاغماض والستر اما من اصر عليه من صغيرة او كبيرة فان كان ممن تاكدت بينك
وبينه مودة وصحبة فله حكم آخر كما سياتي وفيه خلاف بين العلماء واذا لم تتاكد اخوة وصحبة فلا
من اظهار اثر البغض اما في الاعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات اليه واما في الاستخفاف
وتغليظ القول عليه وهذا اشد من الاعراض وهو بحسب غلظ المعصية وخفتها وكذلك في الفعل
ايضا رتبتان احديهما قطع المعونة والرفق والنصرة عنه وهو اقل الدرجات والآخر السعي في افسا
اغراضه عليه كفعل الاعداء المبغضين وهذا لا بد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية اما
ما لا يوثر فيه فلا مثاله رجل عصى الله عز وجل بشرب الخمر وقد خطب امراة لو تيسر له نكاحها
لكان مغبوطا فيها بالمال والجمال والجاه الا ان ذلك لا يوثر في منع من شرب الخمر ولا في بعث
وتحريض عليه فاذا قدرت على اعانته ليتم له غرضه ومقصوده وقدرت على تشويشه ليفوته غرض

فليس لك السعي في تشويشه اما الاعانة فلو تركها اظهارا للغضب عليه في فسقه فلا باس وليس
يجب تركها اذ ربما يكون لك نية في ان يتلطف باعانته واظهار الشفقة عليه ليعتقد مودتك
ويقبل نصحك فهذا حسن وان لم يظهر لك ولكن رايت ان تعينه علي غرضه قضاء لحق اسلامه
فذلك ليس بممنوع بل هو الاحسن ان كانت معصيته بالجناية علي حقك او حق من يتعلق بك
وفيه نزل قوله عز وجل ولا ياتل اولي الفضل منكم والسعة الي قوله الا تحبون ان يغفر الله
لكم لما تكلم مسطح في واقعة الافك فحلف ابو بكر ان يقطع عنه رفقه وقد كان يواسيه بالمال
فنزلت الاية وانه معصية يزيد علي التعرض لحرم رسول الله صلي الله عليه وسلم واطالة اللسان في مثل
عايشه رضي الله عنها الا ان الصديق رضي الله عنه كان كالمجني عليه في نفسه بتلك الواقعة والعفو
عمن ظلم والاحسان الي من اساء من اخلاق الصديقين وانما يحسن الاحسان الي من ظلمك
واما من ظلم غيرك وعصي الله به فلا يحسن الاحسان اليه لان في الاحسان الي الظالم اساءة الي
المظلوم وحق المظلوم اولي بالمراعاة وتقوية قلبه بالاعراض عن الظالم احب الي الله تعالي من تقوية
قلب الظالم فاما اذا كنت انت المظلوم فالاحسن في حقك العفو والصفح وطرق السلف قد
اختلف في اظهار البغض مع اهل المعاصي وكلهم اتفقوا علي اظهار البغض علي الظلمة والمبتدعة
وكل من عصي الله تعالي بمعصية متعدية منه الي غيره فاما من عصي الله تعالي في نفسه فمنهم من
نظر بعين الرحمة الي العصاة كلهم ومنهم من شدد الانكار واختار المهاجرة فقد كان احمد
يهجر الاكابر في ادني كلمة هجر يحيي بن معين في قوله لا اسال احدا شيا ولو حمل السلطان الي
شيا لاخذته وهجر الحارث المحاسبي في تصنيفه في الرد علي المعتزلة وقال انك تورد اولا شبهتهم
وتحمل الناس علي التفكر فيه ثم ترد عليهم وهجر ابا ثور في تاويل قوله صلي الله عليه وسلم ان الله خلق
آدم علي صورته وهذا امر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال فان كان
الغالب علي القلب النظر الي اضطرار الخلق وعجزهم وانهم مسخرون لما قدر لهم اورث هذا
تساهلا في المعاداة والبغض له وجه ولكن يلتبس بالمداهنة فاكثر البواعث علي الاغضاء
علي المعاصي المداهنة ومراعاة القلوب والخوف من وحشتها ونفارها وقد يلبس ذلك
الشيطان علي الغبي الاحمق بانه نظر بعين الرحمة ومحك ذلك ان ينظر اليه بعين الرحمة ان جني
علي خاص حقه ويقول انه قد سخر له والقدر لا ينفع منه الحذر وكيف لا يفعله وقد كتب عليه فمثل
هذا قد يصح له نية في الاغماض عن الجناية علي حق الله وان كان يغتاظ عند الجناية علي حقه

ويترجم عند الحمايه علي حق الله تعالى فهو مداهن مغرور ممكور من مكايد الشيطان فليتنبه
له فان قلت فما الدرجات في اظهار البغض بالهجر والاعراض وقطع الرفق والاعانه فهل
يجب ذلك حتى يعصي العبد بتركه فاقول ذلك لايدخل في ظاهر العلم تحت التكليف والايجاب فانا
نعلم ان الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة
ما كانوا يهجرون بالكلية بل كانوا منقسمين فيه الي من يغلظ القول ويظهر البغض والي من
يعرض عنه ولايتعرض له والي من ينظر اليه بعين الرحمة ولا يوثر المقاطعة والتباعد فهذه
دقايق دينيه يختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحد علي ما يقتضيه
حاله ووقته ومقتضى الاحوال في هذه الامور اما مكروهة واما مندوبة فيكون في رتبة الفضائل
ولا ينتهي الي التحريم والايجاب فان الداخل تحت التكليف اصل المعرفة بالله سبحانه وتعالى واصل الحب
لله تعالى وذلك قد لا يتعدى من المحبوب الي غيره وانما المتعدي افراط الحب واستيلاؤه وذلك
لايدخل في الفتوى تحت ظاهر التكليف في حق عوام الخلق اصلا بيان مراتب الذين
يبغضون في الله عز وجل وكيفية معاملتهم فان قلت اظهار البغض والعداوة بالفعل ان لم
يكن واجبا فلاشك انه مندوب اليه والفساق علي مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم
وهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا ام لا فاعلم ان المخالف لامر الله تعالى لايخلو اما ان يكون مخالفا
في عقده او في عمله والمخالف في العقد اما مبتدع او كافر والمبتدع اما داع الي بدعته او ساكت
اما بعجزه او باختياره فاقسام الفساد في الاعتقاد ثلثه الاول الكفر والكافر ان كان حربيا محاربا
فهو مستحق للقتل او الاسترقاق وليس بعد هذين اهانة واما الذمي فانه لا يجوز ايذاؤه
الا بالاعراض عنه والحايه بالاضطرار الي اضيق الطرق وترك المفاتحه بالسلام فاذا قال
السلام عليك قلت وعليك والاولي الكف عن مخالطته ومعاملته ومواكلته فاما الانبساط معه
والاسترسال اليه كما يسترسل الي الاصدقاء فهو مكروه كراهية شديدة يكاد ينتهي ما يقوى منه الي
حد التحريم قال الله عز وجل لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا
آباءهم او ابناءهم او اخوانهم الآية وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن والمشرك لا تراءى ناراهما وقال
الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض الآية وقوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة الآية الثاني المبتدع
الذي يدعو الي بدعته فان كانت البدعة بحيث يكفر بها فامره اشد من الذمي لانه لا يقر بجزيه

ولا تسامح بعقد ذمه وان كان مما لا يكفر فيها فامره بينه وبين الله تعالى اخف من امر الكافر
لا محالة ولكن الامر في الانكار عليه اشد منه على الكافر لان شر الكافر غير متعد فان المسلمين
اعتقدوا كفره فلا يلتفتون الى قوله اذ لا يدعي لنفسه الاسلام واعتقاد الحق اما المبتدع الذي
يدعو الى البدعة ويزعم ان ما يدعو اليه حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متعد فالاستحباب
في اظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه اشد وان سلم في خلوة
فلا باس برد جوابه وان علم ان الاعراض عنه والسكوت عن جوابه يقبح في نفسه بدعته ويؤثر
في زجره فترك الجواب اولى لان جواب المسلم وان كان واجبا يسقط بادنى غرض حتى
يسقط بكون الانسان في الحمام او في قضاء حاجة وغرض الزجر اهم من هذه الاعراض وان كان
في ملاء فترك الجواب تنفير للناس عنه وتقبيح لبدعته في اعينهم وكذلك الاولى كف الاحسان
والاعانة عنه لا سيما فيما يظهر للخلق قال صلى الله عليه وسلم من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه
امنا وايمانا ومن اهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الاكبر ومن الان له واكرمه او لقيه
ببشر فقد استخف بما انزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم الثالث المبتدع العامي الذي
لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فامره اهون والاولى ان لا يفاتح بالتغليظ والاهانة
بل يتلطف به في النصح فان قلوب العوام سريعة التقلب فان لم ينفع النصح وكان في الاعراض
عنه تقبيح لبدعته في عينه تاكد الاستحباب في الاعراض وان علم ان ذلك لا يؤثر فيه لجمود
طبعه ورسوخ عقده في قلبه فالاعراض اولى لان البدعة اذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت بين
الخلق وعم فسادها واما العاصي بفعله وعمله لا بالاعتقاد فلا يخلو اما ان يكون بحيث يتاذى
به غيره كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والتضريب بين الناس بالمشي بالنميمة وامثالها
او كان مما يقتصر عليه ولا يؤذي غيره وذلك ينقسم الى ما يدعو غيره الى الفساد كصاحب الماخور الذي
يجمع بين الرجال والنساء ويهيئ اسباب الشرب والفساد لاهله او لا يدعو غيره الى فعله كالذي
يشرب ويزني وهذا الذي لا يدعو غيره اما ان يكون عصيانه بكبيرة او بصغيرة وكل واحد فاما ان
يكون مصرا عليه او غير مصر فهذه التقسيمات يحصل منها ثلثة اقسام ولكل قسم منها رتبة وبعضها
اشد من بعض فلا نسلك بالكل مسلكا واحدا القسم الاول وهو اشدها ما يتضرر به الناس كالظلم
والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة فهؤلاء الاولى الاعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض
عن معاملتهم لان المعصية شديدة فيما يرجع الى ايذاء الخلق ثم ينقسمون الى من يظلم في الدماء

والي من يظلم في الاموال والي من يظلم في الاعراض وبعضها اشد من بعض والاستحباب في اهانتهم
والاعراض عنهم موكد جدا مهما كان يتوقع من الاهانة زجرا لهم او لغيرهم كان الامر فيه اكد واشد
والثاني صاحب الماخور والذي يهيئ اسباب الفساد ويسهل طرقها الي الخلق فهذا لا يوذي
الخلق في دنياهم ولكن يختلج بفعله دينهم وان كان علي وفق رضاهم فهو قريب من الاول ولكنه اخف
منه فان المعصية بين العبد وبين الله تعالي الي العفو اقرب ولكنه من حيث انه متعد علي الجملة
الي غيره فهو شديد وهذا ايضا يقتضي الاهانة والاعراض والمقاطعة وترك جواب السلام اذا ظن فيه
نوع من الزجر له او لغيره الثالث الذي يفسق في نفسه بشرب خمر او ترك واجب او مقارفة محظور
يخصه فالامر فيه اخف ولكنه في وقت مباشرته ان صودف يجب منعه بما يمتنع به منه ولو بالضرب
والاستخفاف فان النهي عن المنكر واجب واذا فرغ منه وعلم ان ذلك من عادته وهو مصر عليه
فان تحقق ان نصحه يمنعه من العود وجب النصح وان لم يتحقق ولكنه كان يرجو فالافضل النصح والزجر
بالتلطف او بالتغليظ ان كان هو الانفع فاما الاعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث
يعلم انه مصر وان النصح ليس ينفعه فهذا فيه نظر وسنة العلماء فيه مختلفة والصحيح ان ذلك يختلف
باختلاف نية الرجل فعند هذا يقال الاعمال بالنيات اذ في الرفق والنظر بعين الرحمة الي الخلق
نوع من التواضع وفي العنف والاعراض نوع من الزجر والمستفتي فيه القلب فما يراه اميل الي هواه
ومقتضي طبعه فالاولي ضده اذ قد يكون استخفافه به وعنفه عن كبر وعجب والتذاذ باظهار
العلو والادلال بالصلاح وقد يكون رفقه عن مداهنة واستمالة قلب للوصول به الي غرض او لخوف
من تاثير في جاه او مال بظن قريب او بعيد وكل ذلك تردد علي اشارات الشيطان وبعيد عن
اعمال اهل الآخرة فكل راغب في اعمال الدين مجتهد مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة
هذه الاحوال والقلب هو المفتي وقد يصيب الحق في اجتهاده وقد يخطي وقد يقدم علي اتباع هواه
وهو عالم به وقد يقدم وهو بحكم الغرور ظان انه عامل لله تعالي وسالك طريق الآخرة وسياتي بيان
هذه الدقائق في كتاب الغرور من ربع المهلكات ويدلك علي تخفيف الامر في الفسق القاصر الذي
هو بين العبد وبين الله ما روي ان شارب خمر ضرب مرات بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يعود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يشرب فقال صلى الله عليه وسلم لا تكن عونا
للشيطان علي اخيك او لفظ هذا معناه وكان هذا اشارة الي ان الرفق اولي من العنف والتغليظ

بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته

اعلم انه لا يصلح للصحبة كل انسان قال

صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل فلابد وان يتميز بخصال يرغب
بسببها في صحبته ويشترط تلك الخصال بحسب الفوايد المطلوبة من الصحبة اذ معنى الشرط ما لا بد منه
للوصول الى المقصود وبالاضافة الى المقصود يظهر الشرط ويطلب من الصحبة فوايد دينية ودنيوية
اما الدنيوية فكالانتفاع بالمال او الجاه او مجرد الاستيناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك
غرضنا واما الدينية فيجتمع فيها اغراض مختلفة منها الاستفادة من العلم والعمل ومنها الاستفادة
من الجاه تحصنا به عن ايذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة ومنها استفادة المال للاكتفاء
به عن تضييع الاوقات في طلب القوت ومنها الاستعانة في المهمات فيكون عدة في المصايب
وقوة في الاحوال ومنها التبرك بمجرد الدعاء ومنها انتظار الشفاعة قال بعض السلف استكثروا من
الاخوان ما استطعتم فان لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة اخيك وروي في غريب
التفسير في قوله ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال يشفعهم في اخوانهم فيدخلهم الجنة
معهم ويقال اذا غفر للعبد شفع في اخوانه ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والالفة
والمخالطة وكره العزلة والانفراد فهذه فوايد تستدعي كل فايدة شروطا لا تحصل الا بها ولا يخفى
تفصيلها اما على الجملة فينبغي ان يكون فيمن يؤثر صحبته خمس خصال ان يكون عاقلا حسن الخلق غير
فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا اما العقل فهو راس المال وهو الاصل ولا خير في صحبة الاحمق
والى القطيعة والوحشة يرجع عاقبتها وان طالت قال علي رضي الله عنه فلا تصحب اخا الجهل واياك واياه
فكم من جاهل اردى حليما حين واخاه يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاه وللشيء على الشيء مقاييس واشباه
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه كيف والاحمق قد يضرك وهو يريد نفعك واعانتك من حيث لا يدري
اني لآمن من عدو عاقل واخاف خلا يعتريه جنون فالعقل فن واحد وطريقه ادري فارصد والجنون فنون
وقيل مقاطعة الاحمق قربان الى الله تعالى وقال الثوري النظر الى وجه الاحمق خطيئة مكتوبة
ونعني بالعاقل الذي يفهم الامور على ما هي عليها اما بنفسه واما اذا فهم وعلم واما حسن الخلق
فلا بد منه اذ رب عاقل يدرك الاشياء على ما هي عليها ولكن اذا غلبه غضب او شهوة او بخل
او جبن اطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم اخلاقه فلا خير في
صحبته واما الفاسق المصر على الفسق فلا فائدة في صحبته لان من يخاف الله كف شره ومن لا
يخاف الله لا يؤمن على غائلته ولا يوثق بصداقته بل يتغير بتغير الاغراض قال الله عز وجل
ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه الآية وقال تعالى ولا يصدنك عنها من لا يؤمن بها

واتبع هواه وقال فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا وقال تعالى واتبع سبيل
من اناب الي وفي مفهوم ذلك كله زجر عن الفاسق واما المبتدع ففي صحبته خطر سراية البدعة
وتعدي شومها اليه فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة فكيف يوثر صحبته وقد قال عمر رضي
في الحث على طلب التدين في الصديق فيما روا ابن المسيب عليك باخوان الصدق تعش في
اكنافهم فانهم زينة في الرخا وعدة في البلا وضع امر اخيك على احسنه حتى يجيك ما يغلبك منه
واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الامين ولا امين الا من خشي الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم من
فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله تعالى واما حسن الخلق فقد جمعه
علقمة العطاردي في وصيته لابنه يا بني ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من
اذا خدمته صانك واذا صحبته زانك وان قعدت بك مؤنتك مانك واذا مددت يدك بخير مدها وان راى
منك حسنة عدها وان راى سيئة سدها اصحب من اذا سالته اعطاك وان سكت ابتداك
وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت صدق قولك وان حاولت امرا امرك وان تنازعتما
آثرك فكانه جمع بهذا الكلام جميع حقوق الصحبة وشرط ان يكون قايما بجميعها قال ابن اكثم قال
المامون واين هذا فقيل له يدري لم اوصاه بذلك قال لانه اراد ان لا يصحب احدا وقال بعض
الادبا لا تصحب من الناس الا من يكتم سرك ويستر عيبك ويكون معك في النوايب ويوثرك بالرغايب
وينشر حسنك ويطوي سيك فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك وقال علي رضي الله عنه رجزا ان
اخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك ومن اذا ريب زمان صدعك شتت شمل نفسه
ليجمعك وقيل الناس اربعة فواحد حلو كله فلا تشبع منه واخر مر كله فلا يوكل منه واخر فيه حموضة
فخذ من هذا قبل ان ياخذ منك واخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر الصادق
لا تصحب خمسة الكذاب فانك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد
منك القريب والاحمق فانك لست منه على شي يريد ان ينفعك فيضرك والبخيل فانه يقطع منك
احوج ما يكون اليه والجبان فانه يسلمك ويفر عند الشدة والفاسق فانه يبيعك باكلة او
اقل منها قال الطمع فيها ثم لا ينالها وقال الجنيد فاسق حسن الخلق احب الي ان يصحبني
من قاري سي الخلق وقيل لا تصحب الا احد رجلين رجل تتعلم منه شيا من امر دينك فينفعك
او رجل تعلمه شيا من امر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه وقال ابن ابي الحواري
قال لي استاذي يا با احمد لا تصحب الا احد الرجلين رجل ترتفق به في دنياك او رجل تزيد معه

ينتفع به في آخرتك والاشتغال بغير هذين حمق وقال سهل اجتنب صحبة ثلثة من اصناف الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين واعلم ان هذه الكلمات اكثرها غير محيطة بجميع اغراض الصحبة والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالاضافة اليها فليس ما يشترط للصحبة في مقاصد الدنيا مشروطا في الصحبة للآخرة والاخوة كما قال بشر ثلثة اخ لآخرتك واخ لدنياك واخ لتانس به وقلما يجتمع هذه المقاصد في واحد بل يتفرق علي جميع فيتفرق الشروط فيهم لا محالة قال المامون الاخوان ثلثة احدهم مثله مثل الغذاء لا يستغني عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه في وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج اليه قط ولكن العبد قد يبتلي به وهو الذي لا انس فيه ولا نفع وقيل مثل جملة الناس مثل الشجر والنبات منها ما له ظل وليس له ثمر وهو الذي ينتفع في الدنيا دون الآخرة فان نفع الدنيا كالظل السريع الزوال ومنها ما له ثمر وليس له ظل وهو مثل من يصلح للآخرة دون الدنيا ومنها ما له ثمر وظل جميعا ومنها ما ليس له واحد منهما كام غيلان تمزق الثياب لا طعم فيه ولا شراب ومثاله من الحيوانات الفار والعقرب قال الله عز وجل يدعو لمن ضره اقرب من نفعه الآية الناس شتى اذا ما انت ذقتهم لا يستوون كما لا يستوي الشجر هذا له ثمر حلو مذاقته وذاك ليس له طعم ولا ثمر فاذن من لم يجد رفيقا يواخيه ويستفيد به احد هذه المقاصد فالوحدة اولي به قال ابو ذر الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة واما الديانة وعدم الفسق قال الله تع واتبع سبيل من اناب الي ولان مشاهدة الفسق والفساق يهون امر المعصية علي القلب ويبطل نفرة القلب عنه قال ابن المسيب لا تنظر الي الظلمة فيحبط اعمالكم الصالحة بل هولاء لا سلامة في مخالطتهم وانما السلامة في الانقطاع عنهم قال الله تعالي واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي سلامة والالف بدل من الهاء ومعناه انا سلمنا عن اثمكم وانتم سلمتم من شرنا فهذا ما اردنا ان نذكره من معاني الاخوة وشروطها وفوائدها فلنندفع في ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بحقها واما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لان الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري ومجالسة الحريص تحرك الحرص ومجالسة الزاهد يزهد في الدنيا فلذلك يكره صحبة طلاب الدنيا ويستحب صحبة الراغبين في الآخرة قال علي رضي الله عنه احيوا الطاعات بمجالسة من يستحيي منه وقال احمد رحمه الله ما اوقعني في بلية الا صحبة من لا احتشمه وقال لقمان يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان القلوب تحيي بالحكمة كما يحيي

الارض الميتة بوابل المطر **الباب الثاني في حقوق الاخوة والصحبة** اعلم ان عقد الاخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضي النكاح حقوقا يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح كما سبق ذكره في كتاب آداب النكاح فكذا عقد الاخوة فلاخيك عليك حق في المال وفي النفس وفي اللسان وفي القلب بالعفو والدعاء والاخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعها ثمانية جمل الحق الاول في المال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الاخوين مثل اليدين يغسل احديهما الاخرى وانما شبههما باليدين لا باليد والرجل لانهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الاخوان انما تتم اخوتهما اذا ترافقا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء والمشاركة في المال والحال وارتفاع الاختصاص والاستيثار والمواساة بالمال مع الاخوة على ثلث مراتب ادناها ان تنزله منزلة عبدك وخادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك فاذا سنحت له حاجة وكان عندك فضلة على حاجتك اعطيته ابتداء ولم تحوجه الى السؤال فان احوجته الى السؤال فهنا غاية التقصير في حق الاخوة الثانية ان تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته اياك في مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته على المال قال الحسن كان احدهم يشق ازاره لاخيه الثالثة وهي العليا ان تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين ومن ثمار هذه الرتبة الايثار بالنفس ايضا كما روي انه سعي بجماعة من الصوفية الى بعض الخلفاء فامر بضرب رقابهم وفيهم ابو الحسين النوري فبادر الى السياف ليكون هو اول مقتول فقيل له في ذلك فقال احببت ان اوثر اخواني بالحيوة في هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاة جميعهم في حكاية طويلة فان لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع اخيك فاعلم ان عقد الاخوة لم ينعقد بعد في الباطن وانما الجاري بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين فقد قال ميمون بن مهران من رضي من الاخوان بترك الافضال فليواخ اهل القبور واما الدرجة الدنيا فليست مرضية عند ذوي الدين روي ان عتبة الغلام جاء الى منزل رجل كان قد آخاه فقال احتاج من مالك الى اربعة آلاف فقال خذ الفين فاعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله عز وجل اما استحييت ان تدعي الاخوة في الله وتقول هذا ومن في الدرجة الدنيا من الاخوة ينبغي ان لا يعامله في الدنيا قال ابو حازم اذا كان لك اخ في الله

فلا يعامله في امور دنياك وانما اراد به من في هذه الرتبة اما المرتبة العليا فهي التي وصف الله تعالى
المؤمنين به في قوله عز وجل وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون اي كانوا خلطا في الاموال
لا يميز بعضهم رحله من بعض وكان فيهم من لا يصحب من قال رحلي لانه اضافه الى نفسه جاء فتح
الموصلي الى منزل اخ له وكان غايبا فامر اهله فاخرجت صندوقه ففتحه واخرج حاجته فاخبرت
الجارية مولاها فقال ان صدقت فانت حرة لوجه الله عز وجل سرورا بما فعل وجاء رجل الى
ابي هريرة وقال اني اريد ان اواخيك في الله تعالى فقال تدري ما حق الاخاء قال عرفني قال
لا يكون احق بدنياك ودرهمك مني قال لم ابلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عني وقال علي بن
الحسين لرجل هل يدخل احدكم يده في كم اخيه او كيسه فياخذ ما يريد من غير اذن قال لا
قال فلستم باخوان ودخل قوم على الحسن فقالوا يا ابا سعيد اصليت قال نعم قالوا فان اهل
السوق لم يصلوا بعد قال ومن ياخذ دينه من اهل السوق بلغني ان احدهم يمنع اخاه الدرهم
قاله كالمتعجب وجاء رجل الى ابرهيم بن ادهم وهو يريد بيت المقدس فقال له اني اريد ان ارافقك
فقال له ابرهيم على ان اكون املك لشيئك منك قال لا قال اعجبني صدقك وكان ابرهيم اذا رافقه
رجل لم يخالفه وكان لا يصحب الا من يوافقه وصحبه رجل شراك واهدى رجل في بعض المنازل
قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه واخذ حزمة من شرك فجعله في القصعة وردها الى صاحب
الهدية فلما جاء رفيقه قال اين الشرك قال ذلك الثريد الذي اكلته ايش كان قال كنت تعطيه
شراكين وثلثة قال اسمح يسمح لك واعطى مرة حمارا كان لرفيقه بغير اذنه رجلا راجلا فلما جاء
رفيقه سكت ولم يكره ذلك قال ابن عمر اهدي لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة
فقال اخي فلان احوج مني اليه فبعثه اليه فبعث ذلك الانسان الى اخر فلم يزل يبعث به واحد
الى اخر حتى رجع الى الاول بعد ان تداوله سبعة وروي ان مسروقا ادان دينا ثقيلا وكان على
اخيه خيثمة دين قال فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة وقضى دين
مسروق وهو لا يعلم ولما اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن
الربيع اثره بالمال والنفس فقال بارك الله لك فيهما فاثره بما اثره وكانه قبله ثم اثره وذلك مساواة له
والبداية ايثار والايثار افضل من المساواة وقال الداراني لو ان الدنيا كلها لي فجعلتها في فم اخ
من اخواني لاستقللتها له وقال ايضا اني لالقم اللقمة اخا من اخواني فاجد طعمها في حلقي
ولما كان الانفاق على الاخوان افضل من الصدقات على الفقراء قال علي رضي الله عنه لعشرون

درهما اعطيها اخي في الله احب الي من ان اتصدق بمائة درهم على المساكين وقال لان اصنع صاعا من
طعام واجمع عليه اخواني في الله احب الي من ان اعتق رقبة واقتدا الكل في الايثار برسول الله صلى الله عليه وسلم
فانه دخل غيضة مع بعض اصحابه فاجتنى منه سواكين احدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم
الى صاحبه فقال له يا رسول الله كنت احق بالمستقيم مني فقال ما من صاحب يصحب صاحبا ولو
ساعة من نهار الا سئل عن صحبته هل اقام فيه حق الله تعالى او اضاعه وخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى بير يغتسل عندها فامسك حذيفة بن اليمان الثوب على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وستره حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب
وقام يستر حذيفة من الناس فابى حذيفة وقال بابي وامي يا رسول الله لا تفعل فابى صلى الله عليه وسلم
الا ان يستره بالثوب حتى اغتسل فاشار بهذا الى ان الايثار هو القيام بحق الله تعالى في الصحبة
وقال صلى الله عليه وسلم ما اصطحب اثنان قط الا وكان احبهما الى الله ارفقهما بصاحبه وروي ان
مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غايبا فاخرج ابن واسع سلة فيها طعام
من تحت سرير الحسن فجعل ياكل فقال له مالك كف يدك حتى يجي صاحب البيت فلم يلتفت محمد الى
قوله واقبل على الاكل وكان ابسط منه واحسن خلقا فدخل الحسن فقال يا مويلك هذا كنا
لا يحتشم بعضنا بعضا حتى ظهرت انت واصحابك واشار بهذا الى ان الانبساط في بيوت الاخوان
من الصفا في الاخوة كيف وقد قال الله تعالى او صديقكم وقال تعالى او ما ملكتم مفاتحه اذ كان
الاخ يدفع مفاتيح بيته الى اخيه ويفوض له التصرف كما يريد وكان يتحرج عن الاكل بحكم التقوى
حتى انزل الله تعالى هذه الاية واذن لهم في الانبساط في طعام الاخوان والاصدقاء. الحق الثاني
في الاعانة بالنفس في قضاء الحاجة والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات
الخاصة وهذه ايضا لها درجات كما في المواساة بالمال فادناها القيام بالحاجة عند السؤال
والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار واظهار الفرح وقبول المنة قال بعضهم اذا استقضيت
اخاك الحاجة فلم يقضها فذكره ثانيه فلعله ان يكون قد نسي فان لم يقضها فكبر عليه واقرا قوله عز وجل
والموتى يبعثهم الله وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض اخوانه كبيرة فجاء بهديه فقال ما هذا قال
لما اسديت الي فقال خذ مالك عافاك الله اذا سالت اخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها
فتوضأ للصلوة وكبر عليه اربعا وعده في الموتى قال جعفر الصادق اني لاسارع الى قضاء حوائج
اعدائي مخافة ان اردهم فيستغنوا عني وهذا في الاعداء فكيف في الاصدقاء وكان في السلف

من يتفقد عيال اخيه واولاده اربعين سنة بعد موته يقوم بحاجتهم يتردد اليهم كل يوم ويمونهم بماله
وكانوا لا يفقدون الا عينه بل كانوا يرون منه ما راوه من ابيهم في حياته وكان الواحد منهم يتردد
الي باب دار اخيه ويسال ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة وكان يقوم بها من حيث لا
يعرفه اخوه وبهذا يظهر الشفقة والاخوة اذا لم يثمر الشفقة حتى يشفق علي اخيه كما يشفق علي نفسه
فلا خير فيها قال ميمون بن مهران من لم ينتفع بصداقته لم يضرك عداوته وقال صلى الله عليه وسلم الا ان
لله اواني في ارضه وهي القلوب واحب الاواني الي الله اصفاها واصلبها وارقها اصفاها من
الذنوب واصلبها في الدين وارقها على الاخوان وبالجملة فينبغي ان يكون حاجة اخيك مثل حاجتك
او اهم من حاجتك وان تكون متفقدا لاوقات الحاجة غير غافل عن احواله كما لا تغفل عن احوال
نفسك وتغنيه عن السوال واظهار الحاجة الي الاستعانة بل تقوم بحاجته كانك لا تدري انك قمت
به ولا تري لنفسك حقا بسبب قيامك بل تتقلد منة بقبوله سعيك في حقه وقيامك بامره فلا ينبغي
ان تقتصر علي قضاء الحاجة بل تجتهد في البداية بالاكرام بالزيارة والايثار والتقديم علي الاقارب
والولد وكان الحسن يقول اخواننا احب الينا من اهلينا واولادنا ان اهلينا يذكروننا بالدنيا واخواننا
يذكروننا بالآخرة وقال الحسن من شيع اخاه في الله بعث الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيمة يشيعونه
الي الجنة وفي الاثر ما زار رجل اخا في الله شوقا الي لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت
لك الجنة وقال عطاء تفقدوا اخوانكم بعد ثلث فان كانوا مرضى فعودوهم او مشاغيل فاعينوهم
او كانوا نسوا فذكروهم وروي ان ابن عمر كان يلتفت يمينا وشمالا بين يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فساله فقال احببت رجلا فانا اطلبه ولا اراه فقال اذا احببت احدا فاساله عن اسمه
واسم ابيه وعن منزله فان كان مريضا عدته وان كان مشغولا اعنته وفي رواية عن اسم جده وعشيرته
وقال الشعبي في الرجل يجالس الرجل فيقول اعرف وجهه ولا اعرف تلك معرفة النوكى وقيل لابن عباس
من احب الناس اليك فقال جليسي وقال ما اختلف رجل الي مجلسي ثلاثا من غير حاجة له
فعلمت ما مكافاته من الدنيا وقال سعيد بن العاص لجليسي علي ثلاث اذا دنا رحبت به
واذا حدث اقبلت عليه واذا جلس اوسعت له وقد قال الله تعالى رحماء بينهم اشارة الي الشفقة
والاكرام ومن تمام الشفقة ان لا ينفرد بطعام لذيذ وبالحضور في مسرة دونه بل يتنغص لفراقه
ويستوحش بانفراده عن اخيه **الحق الثالث** علي اللسان بالسكوت مرة والنطق اخرى
اما السكوت فهو ان يسكت عن ذكر عيوبه في حضرته وغيبته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد

عليه فيما يتكلم به فلا يماريه ولا ينازعه وان يسكت عن التجسس والسؤال عن احواله واذا راه
في طريق او في حاجة ولم يفاتحه بذكر غرضه من مصدره ومورده فلا يسأله عنه فربما يثقل
عليه ذكره او يحتاج الى ان يكذب فيه وان يسكت عن اسراره التي بثها اليه فلا يبثها الى
غيره البتة ولا الى اخص اصدقائه ولا يكشف شيئا منه ولو بعد القطيعة والوحشة فان ذلك
من لؤم الطبع وخبث الباطن وان يسكت عن القدح في احبابه واهله وولده وان يسكت عن
حكاية قدح غيره فيه فان الذي سبك من بلغك قال انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجه
احدا بشيء يكرهه والتأذي اولا من المبلغ ثم من القائل واخفاء ذلك من الحسد وبالجملة فليسكت
عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا الا اذا وجب عليه النطق في امر بمعروف او نهي عن منكر ولم
يجد رخصة في السكوت فاذ ذاك لا يبالي بكراهته فان ذلك احسان اليه في التحقيق وان
كان يظن انها اساءة في الظاهر اما ذكر مساويه وعيوبه ومساوي اهله فهو من الغيبة وذلك
حرام في حق كل مسلم ويزجرك عنه امران احدهما ان يطالع احوال نفسك فان وجدت فيها شيئا
واحدا مذموما فهون على نفسك ما تراه من اخيك وقدر انه عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة
الواحدة كما انك عاجز فيما انت مبتلى به فلا يستثقله بخصلة واحدة مذمومة فاي الرجال المهذب
وكل ما لا تصادفه من نفسك في حق الله فلا تنتظره من اخيك في حق نفسك فليس حقك عليه باكثر
من حق الله عليك والامر الثاني انك لو طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولم
تجد من تصاحبه اصلا فما من الناس احد الا وله محاسن ومساوي فاذا غلبت المحاسن المساوي
فهو الغاية والمنتهى فالمؤمن الكريم ابدا يحضر في نفسه محاسن اخيه لينبعث من قلبه التوقير والود
والاحترام واما المنافق اللئيم فانه ابدا يلاحظ المساوي والعيوب قال ابن المبارك المؤمن يطلب
المعاذير والمنافق يطلب العثرات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله من جار السوء
الذي ان راى خيرا ستره وان راى شرا اظهره وما من شخص الا ويمكن تحسين حاله بخصال
فيه ويمكن تقبيحه ايضا وروي ان رجلا اثنى على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان
من الغد ذمه فقال صلى الله عليه وسلم بالامس تثني عليه واليوم تذمه فقال والله لقد صدقت عليه
بالامس وما كذبت عليه اليوم انه ارضاني بالامس فقلت احسن ما علمت فيه واغضبني اليوم
فقلت اقبح ما علمت فيه فقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وكانه كره ذلك فشبهه بالسحر
ولذلك قال في خبر آخر البذاء والبيان شعبتان من النفاق وفي حديث آخر ان الله يكره لكم البيان

كل البيان ولذلك قال الشافعي ما احد من المسلمين يطيع الله فلا يعصيه ولا احد يعصي الله فلا يطيعه
فمن كانت طاعته اغلب من معاصيه فهو عدل واذا جعل مثل هذا عدلا في حق الله فبان تراه
عدلا في حق نفسك ومقتضى اخوتك اولي وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك
السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك اساءة الظن فسوء الظن
غيبة القلب وهو منهي عنه ايضا وحده ان يحمل فعله على وجه فاسد ما امكن ان يحمل على وجه حسن
فاما ما انكشف بيقين ومشاهدة فلا يمكنك ان لا تعلمه وعليك ان تحمل ما تشاهده على سهو ونسيان
ان امكن وهذا الظن ينقسم الى ما يسمى تفرسا وهو الذي يستند الى علامة فان كان ذلك
يحرك الظن تحريكا ضروريا لا يقدر على دفعه والى ما منشأه سوء اعتقادك فيه حتى يصدر منه
فعل له وجهان فيحملك سوء الاعتقاد على ان تنزله على الوجه الارذل من غير علامة تخصصه به
وذلك جناية عليه بالباطن وذلك حرام في حق كل مؤمن اذ قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم على المؤمن
دمه وعرضه وماله وان يظن به ظن السوء وقال اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث وسوء
الظن يدعو الى التجسس وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تجسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا
عباد الله اخوانا والتجسس في تطلع الاخبار والتحسس بالمراقبة بالعين فستر العيوب والتجاهل
والتغافل عنها شيمة اهل الدين فيكفيك تنبيها على كمال الرتبة في ستر القبيح واظهار الجميل
ان الله تعالى وصف به في الدعاء فقيل يا من اظهر الجميل وستر القبيح والمرضي عند الله تعالى
من تخلق باخلاقه وانه ستار العيوب غفار الذنوب ومتجاوز عن العبيد فكيف لا تتجاوز انت
عمن هو مثلك او فوقك وما هو بكل حال عبدك ومخلوقك قال عيسى عليه السلم كيف تصنعون
اذا رايتم اخاكم نايما فكشف الريح عنه ثوبه قالوا نستره ونغطيه قال بل تكشفون عورته قالوا
سبحان الله من يفعل هذا فقال احدكم يسمع في اخيه الكلمة فيزيد عليها او يشيعها باعظم
منها واعلم انه لا يتم ايمان المرء ما لم يحب لاخيه ما يحب لنفسه واقل درجات الاخوة ان يعامل
اخاه بما يحب ان يعامله به ولا شك في انه ينتظر منه ستر العورة والسكوت عن المساوي والعيوب
ولو ظهر له منه بعض ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه فما ابعده عن الحق اذا كان ينتظر
من اخيه ما لا يضمره له ولا يعزم عليه لاجله وويل عليه في نص كتاب الله تعالى حيث يقول ويل
للمطففين الآيات وكل من يلتمس من الانصاف اكثر مما يسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى
هذه الآية ومنشاء التقصير في ستر العورة او السعي في كشفها الداء الدفين في الباطن وهو

الحقد والحسد فان الحسود الحقود يمتلئ باطنه بالخبث ولكنه يحبسه في باطنه ويخفيه ولا
مهما لم يجد له مجالا فاذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء وترشح الباطن بخبثه الدفين
ومهما انطوى الباطن على حقد وخبث فالانقطاع اولى قال حكيم ظاهر العتاب خير من مكنون
الحقد ولا يزيد لطف الحقود الا وحشة منه ومن في قلبه سخيمة على مسلم فايمانه ضعيف وامره
مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله عز وجل قال عبد الرحمن بن حسان اني كنت باليمن
ولي جار يهودي يخبرني عن التورية فقدم علي اليهودي من سفر فقلت ان الله قد بعث فينا نبيا
فدعانا الى الاسلام واسلمنا وقد نزل علينا كتابا مصدقا للتورية فقال اليهودي صدقت ولكنكم
لا تستطيعون ان تقوموا بما جاءكم به انا نجد نعته ونعت امته انه لا يحل لامرئ ان يخرج من عتبة بابه
وفي قلبه سخيمة على اخيه المسلم ومن ذلك ان يسكت عن افشاء سره الذي استودعه وله ان ينكره
وان كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام فانه كما يجوز للرجل ان يخفي عيوب نفسه واسراره
وان احتاج الى الكذب فله ان يفعل ذلك في حق اخيه فان اخاه نازل منزلته وهما كشخص واحد
لا يختلفان الا بالبدن هذه حقيقة الاخوة وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرائيا وخارجا
عن اعمال العلانية فان معرفة اخيه بعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق وقد قال صلى الله عليه وسلم
من ستر عورة اخيه ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة وفي خبر آخر كانما احيى موؤدة وقال صلى الله عليه
وسلم اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو امانة وقال صلى الله عليه وسلم المجالس بالامانة الا ثلاثة
مجالس مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال الحرام او من غير حله
وانما يتجالس المتجالسان بالامانة لا يحل لاحدهما ان يفشي على صاحبه ما يكره قيل لاديب كيف
حفظك للسر قال انا قبره وقيل صدور الاحرار قبور الاسرار وقيل ان قلب الاحمق في فيه ولسان
العاقل في قلبه اي لا يستطيع الاحمق اخفاء ما في نفسه فيبديه من حيث لا يدري به فمن هذا
يجب مقاطعة الحمقى والتوقي عن صحبتهم بل عن مشاهدتهم وقد قيل لحكيم كيف تحفظ السر قال
اجحد المخبر واحلف للمستخبر وقال آخر استره واستر اني استره قال ابن المعتز ومستودعي سرا تبوأت كتمه
فاودعته صدري فصار له قبرا وقال آخر واراد الزيادة عليه وما السر في صدري كثاو بقبره
لاني ارى المقبور ينتظر النشرا ولكنني انساه حتى كانني بما كان منه لم احط ساعة خبرا ولو جاز كتم السر بيني وبينه
عن السر والاحشاء لم تعلم السرا وافشى بعضهم سرا له الى اخيه ثم قال حفظت فقال لا بل نسيت وكان
ابو سعيد الثوري يقول اذا اردت ان تواخي احدا فاغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن اسرارك

فان قال خيرا وكتم شرك فاصحبه وقيل لابي يزيد من نصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم
الله تعالي ثم يستر عليك كما يستر الله عز وجل وقال ذو النون لا خير في صحبة من لا يحب ان يراك الا
معصوما ومن افشي السر عند الغضب فهو اللئيم لان اخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة
كلها قال الحكيم لا تصحب من يتغير عليك عند اربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغي ان
يكون صدق الاخوة ثابتا علي اختلاف هذه الاحوال وتري الكريم اذا انصرم وصله يخفي القبيح ويظهر الاحسانا
وتري اللئيم اذا ينقضي وصله يخفي الجميل ويظهر البهتانا وقال العباس لابنه يا بني اني اري هذا
الرجل يعني عمر يقدمك علي الاشياخ فاحفظ عني خمسا لا تفشين له سرا ولا يغتابن عندك احدا
ولا يجرين عليك كذبا ولا تعصين له امرا ولا يطلعن منك علي خيانة فقال الشعبي كل كلمة من هذه
الخمس خير من الف ومن ذلك السكوت عن المماراة والمدافعة في كل ما يتكلم به اخوك قال ابن
عباس لا تمار سفيها فيؤذيك ولا حليما فيقليك وقال صلي الله عليه وسلم من ترك المراء وهو مبطل
بني له في ربض الجنة ومن تركه وهو محق بني له بيت في اعلي الجنة هذا مع ان تركه مبطلا واجب
وقد جعل ثواب الحق اعظم لان السكوت عن الحق اشد علي النفس من السكوت علي الباطل
وانما الاجر علي قدر النصب واشد الاسباب لاثارة الحقد بين الاخوان المماراة والمناقشة
فانها عين التدابر والتقاطع فان التقاطع يقع اولا بالاراء ثم بالاقوال ثم بالابدان وقد قال
صلي الله عليه وسلم لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا
المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله بحسب المؤمن الشر ان يحقر اخاه المسلم واشد
الاحتقار المماراة لان من رد علي غيره كلامه فقد نسبه الي الجهل والحمق او الي الغفلة والسهو
عن فهم الشيء علي ما هو عليه وكل ذلك استحقار وايغار للصدر وايحاش وفي حديث ابي امامة
قال خرج علينا رسول الله صلي الله عليه وسلم ونحن نتماري فغضب فقال صلي الله عليه وسلم ذروا
المراء لقلة خيره ذروا المراء فان نفعه قليل وانه يهيج العداوة بين الاخوان وقيل من لاحي
الاخوان وماراهم قلت مروءته وذهبت كرامته وقيل اعجز الناس من قصر في طلب الاخوان
وماراهم واعجز منه من ضيع من ظفر به وقال اياك ومماراة الرجال فانك لن تعدم مكر حليم او
مفاجاة لئيم وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة قال الحسن لا تشتر
عداوة رجل بمودة الف رجل وعلي الجملة فلا باعث علي المماراة الا اظهار التميز بمزيد العقل
والفضل واحتقار المردود عليه واظهار جهله وهذا يشتمل علي التكبر والاحتقار والايذاء

والنسبة الي الجهل والحمق ولا معنى للمعاداة الا هذا فكيف يبقى معه الاخوة والمصافاة قال
ابن عباس قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال
صلى الله عليه وسلم انكم لا تسعون الناس باموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط وجوه وحسن خلق والمماراة
مضادة لحسن الخلق وقد انتهى السلف في الحذر عن المماراة الي حد لم يروا السوال ايضا وقالوا
اذا قلت لاخيك قم فقال الي اين فلا تصحبه بل قالوا ينبغي ان يقوم ولا يسال قال ابو سليمان كان لي
اخ بالعراق فكنت اجيئه في النوائب فاقول اعطني من مالك شيا وكان يلقي الي كيسه فاخذ منه
ما اريد فجيئته فقلت احتاج الي شي فقال كم تريد فخرج حلاوة اخائه من قلبي وقال الاخر اذا طلبت
من اخيك مالا فقال ماذا تصنع به فقد ترك حق الاخاء. واعلم ان قوام الاخوة بالموافقة في الكلام
والفعل وبالشفقة قال ابو عثمان الحيري موافقة الاخوان خير من الشفقة وهو كما قال
الحق الرابع على اللسان بالنطق فان الاخوة كما يقتضي السكوت عن المماراة يقتضي ايضا النطق بالمحا
بل هو اخص بالاخوة لان من قنع بالسكوت صحب اهل القبور وانما يراد الاخوة ليستفاد منهم لا ليتخلص
عن اذاهم والسكوت معناه كف الاذي فعليه ان يتودد اليه بلسانه ويتفقده في احواله التي يحب ان
يتفقد فيها كالسوال عن عارض ان عرض واظهار شغل القلب بسبب استبطاء العافية عنه وكذا
جملة احواله التي يكرهها وينبغي ان يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بما يعني الاخوة المساهمة في السراء
والضراء والفضل قال صلعم اذا احب احدكم اخاه فليخبره وانما امر بالاخبار لان ذلك يوجب زيادة
حب فاذا عرفت انك تحبه احبك بالطبع لا محالة فاذا عرفت انه ايضا يحبك زاد حبك لا محالة فلا يزال
الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف والتحاب بين المومنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين
ولذلك علم فيهم الطريق فقال صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا ومن ذلك ان يدعوه باحب اسمائه
اليه في غيبته وحضوره قال عمر رضي الله عنه ثلث يصفين لك ود اخيك ان تسلم اولا عليه اذا لقيته
وتوسع له في المجلس وتدعوه باحب اسمايه اليه ومن ذلك ان تثني عليه بما يعرف من محاسن
احواله عند من يوثر هو الثناء عنده فان ذلك من اعظم الاسباب في جلب المحبة وكذلك
الثناء علي اولاده واهله وصنعته وفعله حتى علي عقله وخلقه وهيائته وخطه وشعره
وتصنيفه وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وافراط ولكن تحسين ما يقبل التحسين لا بد
منه واكد من ذلك ان يبلغه ثناء من اثنى عليه مع اظهار الفرح به فان اخفاء ذلك محض
الحسد ومن ذلك ان يشكره علي صنيعه في حقك بل علي نيته وان لم يتم قال علي رضي الله عنه من لم

يحمد اخاه على حسن النية لم يحمد على حسن الصنعة واعظم من ذلك اثرا في جلب المحبة الذب
عنه في غيبته مهما قصد بسوء او تعرض لعرضه بكلام صريح او تعريض فحق الاخوة التشمر في الحماية
والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه فالسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب
وتقصير في حق الاخوة وانما شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخوين باليدين يغسل احدهما الاخرى
لينصر احدهما الآخر وينوب عنه قال صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله
وهذا من الاسلام والخذلان فان اهماله لتمزيق عرضه كاهماله لتمزيق لحمه واخسس باخ يراك والكلاب
تفترسك وتمزق لحمك وهو ساكت لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك وتمزيق الاعراض اشد على
النفوس من تمزيق اللحوم ولذلك شبه الله عز وجل باكل لحوم الميتة فقال عز وجل ايحب احدكم
ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه والملك الذي يمثل في المنام ما يطالعه الروح من اللوح
المحفوظ بالامثلة المحسوسة يمثل الغيبة باكل الميتة حتى ان من يرى انه ياكل لحم ميتة فانه يغتاب
الناس لان ذلك الملك في تمثيله يراعي المشاركة والمناسبة بين الشيء وبين مثاله في المعنى
الذي يجري في المثال مجرى الروح لا في ظاهر الصورة فاذن حماية الاخوة بدفع ذم الاعداء
وتعنتهم واجب في عقد الاخوة قال مجاهد لا تذكر اخاك في غيبته الا كما تحب ان يذكرك في
غيبتك فاذن لك فيه معياران احدهما ان تقدر ان الذي قيل فيه لو قيل فيك وكان اخوك
حاضرا ما الذي كنت تحب ان يقوله اخوك فيك فينبغي ان تعامل المتعرض لعرضه به والثاني ان
تقدر انه حاضر من وراء جدار يستمع عليك ويظن انك لا تعرف حضوره فما كان يتحرك في قلبك
بمسمع منه ومرأى ينبغي ان يكون في مغيبه كذلك قال بعضهم ما ذكر اخ لي الا تصورت نفسي
في صورته فقلت فيه مثل ما احب ان يقال في وهذا من صدق الاسلام وهو ان لا يرى لاخيه
الا ما يراه لنفسه نظر ابو الدرداء الى ثورين يحرثان في فدان فوقف احدهما يحك جسمه فوقف
الآخر وبكى وقال هكذا الاخوان في الله يعملان لله فاذا وقف احدهما وافقه الآخر وبالموافقة
يتم الاخلاص ومن لم يكن مخلصا في اخائه فهو منافق والاخلاص استواء الغيب والشهادة
واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلوة والاختلاف والتفاوت في شيء من
ذلك مماذقة في المودة وهو دخل في الدين ووليجة في طريق المؤمنين ومن لا يقدر من نفسه
على هذا فالانقطاع والعزلة اولى به من المواخاة والمصاحبة فان حق الصحبة ثقيل
لا يطيقه الا محقق فلا جرم اجره جزيل لا يناله الا موفق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

احسن مجاورة يكن مسلما واحسن مصاحبة من صاحبك يكن مومنا فانظر كيف جعل الايمان
جزاء الصحبة والاسلام جزاء الجوار والفرق بين فضل الايمان وفضل الاسلام على حد الفرق
بين المشقة في القيام بحق الجوار والقيام بحق الصحبة فان الصحبة يقتضي حقوقا كثيرة
في احوال متقاربة مترادفة بل على الدوام والجوار يقتضي حقوقا قريبة في اوقات متباعدة لا تدوم
ومن ذلك التعليم والنصيحة فليس حاجة اخيه الى العلم باقل من حاجته الى المال فان كنت
غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وارشاده الى كل ما ينفعه في الدنيا والدين وان
علمته وارشدته فلم يعمل بمقتضى العلم فعليك نصيحته بان يذكر آفات ذلك الفعل وفوائد
تركه ويخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة لينزجر عنه وينبهه على عيوبه ويقبح القبيح في عينه
ويحسن الحسن ولكن ينبغي ان يكون ذلك في سر لا يطلع عليه احد فما كان على الملاء فهو توبيخ
وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة او قال صلى الله عليه وسلم المومن مرآة المومن
اي يرى منه ما لا يرى من نفسه فيستفيد المرء باخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد
كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة وقيل لمسعر اتحب من يخبرك بعيوبك
فقال ان نصحني فيما بيني وبينه فنعم وان قرعني في الملاء فلا وقد صدق لان النصح على الملاء
افتضاح والله تعالى يعاتب المومن تحت كنفه وفي ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا وقد
يدفع كتاب عمله مختوما الى الملائكة الذين يحفون به الى الجنة فاذا قاربوا باب الجنة اعطوه
الكتاب مختوما ليقراه بتاركا الله وعن واما اهل المقت فينادون على رؤس الاشهاد فتشهد
جوارحهم بفضائحهم فيزدادون بذلك خزيا وافتضاحا نعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر فالفرق
بين التوبيخ والنصيحة بالاسرار والاعلان كما ان الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث
على الاغضاء فان اغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه من اصلاح اخيك بالاغضاء فانك مدار
وان اغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فانت مداهن قال ذو النون
لا يصحب مع الله تعالى الا بالموافقة ولا مع الخلق الا بالمناصحة ولا مع النفس الا بالمخالفة ولا
مع الشيطان الا بالعداوة فان قلت اذا كان في النصح ذكر العيوب وفيه ايحاش للقلب
فكيف يكون ذلك من حق الاخوة فاعلم ان الايحاش انما يحصل بذكر عيوب يعلمه اخوك من
نفسه فاما تنبيهه على ما لا يعلمه فهو عين الشفقة وهو استمالة القلوب اعني قلوب
العقلاء واما الحمقى فلا يلتفت اليهم فان من نبهك على فعل مذموم تعاطيته او صفة مذمومة

اتصفت بها لتزكي نفسك عنها كان لمن ينبهك على حية او عقرب تحت ذيلك وقد همت باهلاكك
فان كنت بكره ذلك فما اشد حمقك والصفات المذمومة عقارب وحيات وهن في الآخرة
مهلكات فانها يلدغ القلوب والارواح والمها اشد مما يلدغ الظواهر والاجساد وهي مخلوقة
من نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة ولذلك كان عمر رضي الله عنه يستهدي ذلك من اخوانه ويقول
رضي الله عن امرئ اهدى الي عمر عيوبه وقد قال لسلمان وقد قدم عليه ما الذي بلغك عني مما تكره
فاستعفى فالح عليه فقال بلغني ان لك حلتين يلبس احديهما بالنهار والاخرى بالليل وبلغني
انك جمعت بين ادامين على مائدة واحدة فقال اما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما فقال
لا وكتب حذيفة المرعشي الي يوسف بن اسباط بلغني انك بعت دينك بحبتين وقفت على صاحب
لبن فقلت بكم هذا فقال بسدس فقلت له لا بثمن فقال هو لك وكان يعرفك اكشف عن
راسك قناع الغافلين وانتبه عن رقدة النائمين واعلم ان من قرا القرآن ولم يستغن
وآثر الدنيا لم آمن ان يكون بآيات الله تعالى من المستهزئين وقد وصف الله تعالى الكاذبين
ببغضهم الناصحين اذ قال ولكن لا تحبون الناصحين وهذا في عيب هو غافل عنه فاما اذا علمت
انه يعلمه عن نفسه وانما هو مقهور من طبعه فلا ينبغي ان يكشف فيه ستره ان كان يخفيه وان
كان يظهره فلابد من التلطف في النصح بالتعريض مرة وبالتصريح اخرى الي حد لا يؤدي الي
الايحاش فان علمت ان النصح غير مؤثر وانه يضطر من طبعه الي الاصرار عليه فالسكوت عنه
اولي وهذا كله مما يتعلق بمصالح اخيك في دينه او دنياه اما ما يتعلق بتقصيره في حقك
فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتغامي عنه والتعرض لذلك ليس من النصح في شيء
نعم ان كان بحيث يؤدي استمراره عليه الي القطيعة فالعتاب في السر خير من القطيعة
والتعريض به خير من التصريح والمكاتبة خير من المشافهة والاحتمال خير من الكل اذ ينبغي
ان يكون قصدك من اخيك اصلاح نفسك بمراعاتك اياه وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره
لا الاستعانة به والاسترفاق منه قال ابو بكر الكتاني صحبني رجل وكان على قلبي ثقيلا فوهبته
يوما على ان يزول ما في قلبي فلم يزل فاخذت بيده يوما الي البيت وقلت له ضع رجلك على
خدي وابى فقلت لابد ففعل فزال ذلك من قلبي وقال ابو علي الرباطي صحبت عبد الله
الرازي وكان يدخل البادية فقال على ان يكون انت الامير او انا فقلت بل انت فقال وعليك
الطاعة فقلت نعم فاخذ مخلاة ووضع فيها الزاد وحمل على ظهره فاذا قلت اعطني قال الست

انا الامير فعليك الطاعة فاخذنا المطر ليله فوقف علي راسي الى الصباح وعليه كساء وانا جالس
يمنع عني المطر فكنت اقول مع نفسي ليتني مت ولم اقل انت الامير الحق الخامس العفو عن الزلات
والهفوات وهفوة الصديق لا تخلو اما ان يكون في دينه بارتكاب معصية او في حقك بتقصير في
الاخوة اما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية واصرار عليها فعليك التلطف في نصحه بما
يقيم اوده ويجمع شمله ويعيد الى الصلاح حاله فان لم تقدر وبقي مصرا فقد اختلف طرق الصحابة
والتابعين في ادامة حق مودته او مقاطعته فذهب ابو ذر رضي الله عنه الى الانقطاع وقال
اذا انقلب اخوك عما كان عليه فابغضه من حيث احببته وراي ذلك من مقتضى الحب والبغض
في الله واما ابو الدرداء وجماعة من الصحابة ذهبوا الى خلافه فقال ابو الدرداء اذا تغير اخوك عما
كان فلا تدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم اخرى وقال النخعي لا تقطع اخاك
ولا تهجره عند الذنب بذنبه فانه يركبه اليوم ويتركه غدا وقال ايضا لا تحدثوا الناس بزلة العالم
فان العالم يزل الزلة ثم يتركها وفي الخبر اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته وفي حديث
عمر قد سال عن اخ كان اخاه فخرج الى الشام فسال عنه بعض من قدم عليه فقال ما فعل
اخي قال ذاك اخو الشيطان قال مه قال انه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر قال اذا اردت
الخروج فاذني فكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر
الذنب وقابل التوب الاية ثم عاتبه بعد ذلك وعذله فلما قرا الكتاب بكى وقال صدق الله
ونصح لي عمر فتاب ورجع وحكي ان اخوين ابتلي احدهما بهوى فاظهر على اخيه وقال اني
قد اعتللت فان شئت ان لا تنعقد على محبتي فافعل فقال ما كنت لاحل عقد اخوتك لاجل
خطيئتك ابدا ثم عقد اخوه بينه وبين الله تعالى ان لا ياكل ولا يشرب حتى يعافي الله اخاه من
هواه فطوى اربعين يوما في كلها يساله عن هواه فيقول القلب مقيم على حاله وما زال ينحل
هو من الغم والجوع حتى زال الهوى عن قلب اخيه بعد الاربعين فاخبره بذلك فاكل وشرب
بعد ان كاد يتلف هزلا وضرا وحكي عن اخوين من السلف انقلب احدهما عن الاستقامة فقيل
لاخيه الا تهجره فقال احوج ما كان الي في هذا الوقت اذ وقع في عثرته ان آخذ بيده والطف
له في المعاتبة وادعو له بالعود الى ما كان عليه وروي في الاسرائيليات ان اخوين عابدين في
جبل نزل احدهما ليشتري من المصر درهم لحما فراى بغيه عند لحام فرمقها وعشقها ثم اتبعها
واقام عندها ثلثه ايام واستحيى ان يرجع الى اخيه من اجل جنايته فافتقده اخوه واهتم بشانه

ونزل الى المدينة فلم يزل يسال عنه حتى دل عليه فدخل عليه وهو جالس معها فاعتنقه وقبله وانكر
الاخر انه يعرفه لفرط استحيائه منه فقال قم يا اخي فقد علمت شانك وقصتك وما كنت قط احب الي
ولا اعز من ساعتك هذه فلما راي ان ذلك لم يسقط عن عينه قام وانصرف معه فهذه طريقة قوم
وهي الطف وافقه من طريقة ابي ذر وطريقة الحسن واسلم فان قلت فلم قلت هذا الطف
وافقه ومقارف هذه المعصية لا يجوز مواخاته ابتداء فيجب مقاطعته انتهاء لان الحكم اذا
ثبت بعلة فالقياس ان يزول بزوالها وعلة عقد الاخوة التعاون في الدين ولا يستمر ذلك مع
مقارفة المعصية فاقول اما كونه الطف فلما فيه من الرفق والاستمالة والتعطف المفضي الى
الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة
اصر واستمر واما كونه افقه فمن حيث ان الاخوة عقد ينزل منزلة القرابة فاذا انعقدت تاكد
الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ومن الوفاء به ان لا يهمل ايام حاجته وفقر الدين
اشد من فقر المال وقد اصابته جائحة والمت به آفة افتقر بسببها في دينه فينبغي ان يراقب
ويراعي ولا يهمل بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص من الواقعة التي المت به فالاخوة
عدة النائبات وحوادث الزمان وهذا من اشد النوائب والفاجر اذا صحب تقيا وهو
ينظر الى خوفه ومداومته فسيرجع على قرب ويستحيي من الاصرار بل الكسلان يصحب الحريص
في العمل فيعمل حياء منه قال جعفر بن سليمان مهما فترت في العمل نظرت الى محمد بن
واسع واقباله على الطاعة فيرجع نشاطي الى العبادة وفارقني الكسل وعملت عليه اسبوعا
وهذا التحقيق وهو ان الصداقة لحمة كلحمة النسب والقريب لا يجوز ان يكون ممن يهجر اخاه
وقرابته بالمعصية ولذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في عشيرته فان عصوك فقل
اني بريء مما تعملون مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب والى هذا اشار ابو الدرداء لما قيل له
الا تبغض اخاك وقد فعل كذا فقال انما ابغض عمله والا فهو اخي وانا اخوه واخوة الدين
اوكد من اخوة القرابة ولذلك قيل لحكيم انما احب اليك اخوك او صديقك فقال انما احب
اخي اذا كان صديقا وكان الحسن يقول كم من اخ لم يلده امك ولذلك قيل المودة لا يحتاج
الى قرابة والقرابة يحتاج الى مودة وقال جعفر الصادق مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة
ومودة سنة رحم ماسة من قطعها قطعه الله فاذن الوفاء بعقد الاخوة اذا سبق انعقادها
واجب وهذا جواب من ابتداء المواخاة مع الفاسق فانه لم يتقدم له حق فان تقدمت له قرا

فلاجرم لا ينبغي ان يقاطع بل يجامل والدليل عليه ان ترك المواخاة والصحبة ابتداء ليس بمذموم ولا
مكروه بل قال قائلون الانفراد اولى فاما قطع الاخوة في دوامه فمنهي عنه ومذموم في نفسه
ونسبته الي تركه ابتداء كنسبة الطلاق الي ترك النكاح والطلاق ابغض الى الله من ترك
النكاح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة
قال بعض السلف في زلات الاخوان ود الشيطان ان يلقي على احدكم مثل هذا حتى تهجروه
وتقطعوه فماذا اتقيتم من محبة عدوكم وهذا لان التفريق بين الاحباب من محاب الشيطان
كما ان مقارفة العصيان من محابه فاذا حصل للشيطان احد غرضيه فلا ينبغي ان يضاف
اليه الثاني والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم في الذي شتم الرجل الذي اتى فاحشة اذ قال مه وزجره
ولا تكونوا عونا للشيطان على اخيكم فبهذا كله تتبين الفرق بين الابتداء والدوام لان مخالطة
الفساق محذور ومفارقة الاخوان والاحباب ايضا محذور وليس من سلم عن معارضة غيره
كالذي لم يسلم وفي الابتداء قد سلم فرأينا ان المهاجرة والتباعد هو الاولى وفي الدوام تعارضا
فكان الوفاء بحق الاخوة اولى هذا كله في زلته في دينه اما زلته بما يوجب ايحاشه فلا خلاف
في ان العفو والاحتمال اولى بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن ويتصور تمهيد عذر فيه
قريب او بعيد فهو واجب بحق الاخوة فقد قيل ينبغي ان تستنبط لزلة اخيك سبعين عذرا
فان لم يقبله قلبك فقل لقلبك يعتذر اليك اخوك سبعين عذرا فلا تقبله فانت المذنب
لا اخوك فان ظهر بحيث لا يقبل التحسين فينبغي ان لا تغضب ان قدرت ولكن ذلك لا يمكن وقد قال
الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان فلا تكن
حمارا ولا شيطانا واسترض قلبك بنفسك نيابة عن اخيك واحترز ان تكون شيطانا ان لم تقبل
قال الاحنف حق الصديق ان تحتمل منه ثلاثا ظلم الغضب وظلم الدالة وظلم الهفوة وقال اخر
ما شتمت احدا قط لانه ان شتمني كريم فانا احق من غفرها يعني زلته وان كان لئيما فلا اجعل
عرضي له غرضا ثم تمثل وقال واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما وقد قيل
خذ من خليلك ما صفا ودع الذي فيه الكدر فالعمر اقصر من معاتبة الخليل على العثر ومهما اعتذر
اليك اخوك صادقا او كاذبا فاقبل عذره قال صلى الله عليه وسلم من اعتذر اليه اخوه فلم
يقبل فعليه مثل اثم صاحب المكس وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن سريع الغضب سريع الرضا
فلم يصفه بانه لا يغضب ولذلك قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والعادمين الغيظ

وهذا لان العادة لاتنتهي الى ان يخرج الانسان فلاينالم بل ينتهي الى ان يصبر عليه ويحتمل وكما ان
التالم بالخرج مقتضى لطبع البدن فالتالم باسباب الغضب طبع للقلب لايمكن قلعه ويمكن ضبطه
وكظمه والعمل بمقتضاه ممكن وقد قال الشاعر ولست بمستبق اخا لاتلمه على شعث اي الرجال
المهذب قال ابو سليمان لاحمد بن ابي الحواري اذا واخيت اخا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما
يكرهه فانك لاتامن ان ترى في اخوانك ما هو شر من الاول قال فجربته فوجدته كذلك وقال بعضهم
الصبر على مضض الاخ خير من معاتبته والمعاتبة خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقيعة
وينبغي ان لايبالغ في البغض عند الوقيعة قال الله عز وجل عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين
عاديتم منهم مودة وقال صلى الله عليه وسلم احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما وابغض
بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما وقال عمر رضي الله عنه لايكون حبك كلفا ولا بغضك
تلفا وهو ان تحب تلف صاحبك الحق السادس من حقوق الاخوة والصحبة المودعة في الباب
الثاني من كتاب آداب الصحبة والمعاشرة الدعاء للاخ في حيوته ومماته بكل ما يحبه لنفسه ولاهله
وكل متعلق به فيدعو له كما يدعو لنفسه ولايفرق بين نفسك وبينه فان دعاءك له دعاء لنفسك
على التحقيق فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل لاخيه في ظهر الغيب قال الملك
ولك بمثل ذلك وفي لفظ آخر يقول الله تعالى بك ابدا وفي الحديث يستجاب للرجل في اخيه
ما لا يستجاب له في نفسه وفي الحديث دعوة الاخ لاخيه في الغيب لاترد وكان ابو الدردا
يقول لادعو لسبعين من اخواني في سجودي اسميهم باسمائهم وكان محمد بن يوسف الاصفهاني
يقول واين مثل الاخ الصالح اهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك
مهتم بما قدمت يدعو لك في ظلمة الليل وانت تحت اطباق الثرى وكان الاخ الصالح يقتدي
بالملائكة اذ جاء في الخبر اذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم يفرحون
له بما قدم ويسالون عنه ويشفقون عليه ويقال من بلغه موت اخيه فترحم عليه واستغفر له
كتب له كانه شهد جنازته وصلى عليه وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الميت في قبره
مثل الغريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولد او والد او اخ او قريب وانه ليدخل على قبور
الاموات من دعاء الاحياء من الانوار مثل الجبال وقال بعض السلف الدعاء للاموات بمنزلة
الهدايا للاحياء فيدخل الملك على الميت معه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية
لك من عند اخيك فلان من عند قريبك فلان فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية الحق السابع

الوفاء والاخلاص ومعنى الوفاء الثبات على الحب وادامته الى الموت معه وبعد الموت مع اولاده
واصدقايه فان الحب انما يراد للاخرة فان انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي ولذلك قال صلعم
في سبعة الذين يظلهم الله اجتمعا على ذلك وتفرقا وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثير في
حال الحيوة ولذلك روي انه صلى الله عليه وسلم اكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال انها كانت
ياتينا ايام خديجة وان كرم العهد من الدين فمن الوفاء مراعاة جميع اصدقايه واقاربه والمتعلقين
به مراعاتهم اوقع في قلب الصديق من مراعاة الاخ نفسه فان فرحه بتفقد من يتعلق به اكثر اذ لا
يدل على قوة الشفقة والحب الا تعديها من المحبوب الى كل من يتعلق به حتى الكلب الذي على باب
داره ينبغي ان يتميز في القلب عن ساير الكلاب ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان
فانه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخيين في الله ومتحابين فيه فانه يجهد نفسه لافساد
ما بينهما قال الله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم وقال مخبرا عن يوسف
من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ويقال ما تواخى اثنان في الله فيفرق بينهما الا بذنب
يرتكبه احدهما وكان بشر يقول اذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله من يونسه وذلك لان الاخوان
سلاة للهموم وعون على الدين ولذلك قال ابن المبارك الذ الاشياء مجالسة الاخوان والانقلاب
الى الكفاية والمودة الدايمة هي التي تكون في الله وما يكون لغرض يزول بزوال الغرض ومن ثمرات
المودة في الله ان لا يكون مع حسد في دين ودنيا وكيف يحسد وكل ما هو لاخيه فاليه يرجع فايدته
وبه وصف الله المحبين في الله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويوثرون على انفسهم ووجود
الحاجة هو الحسد ومن الوفاء ان لا يتغير حاله في التواضع مع اخيه وان ارتفع شانه واتسعت
ولايته وعظم جاهه فالترفع على الاخوان بما يتجدد من الاحوال لوم قال الشاعر ان الكرام اذا
ما اسهلوا ذكروا من كان يالفهم في المنزل الخشن واوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب
من الناس الا من اذا افتقرت اليه قرب منك وان استغنيت لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع
عليك وقال بعض الحكماء اذا ولي اخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير وحكى الربيع
ان الشافعي رضي الله عنه اخا رجلا ببغداد ثم ان اخاه ولي السيبين فتغير له عما كان فكتب الشافعي
اليه هذه الابيات اذهب فودك من فوادي طالق ابدا وليس طلاق ذات البين فان ارعويت
فانها تطليقة ويدوم ودك لي على ثنتين وان امتنعت شفعتها بمثالها فيكون تطليقين في حيضين
فاذا الثلث اتتك مني بتة لم تغن عنك ولاية السيبين واعلم انه ليس من الوفاء موافقة الاخ فيما

يخالف الحق في امر يتعلق بالدين بل من الوفاء له المخالفة فقد كان الشافعي رضي الله عنه اخي محمد
بن الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما تقيم بمصر غيري فاعتل محمد فعاده الشافعي وقال مرض
الحبيب فعدته فمرضت من حذري عليه واتي الحبيب يعودني فبرأت من نظري اليه وظن الناس
لصدق مودتهما انه يفوض امر حلقته بعد وفاته اليه فقيل للشافعي في علته التي مات فيها الي
من نجلس بعدك يا عبد الله فاستشرف له محمد بن الحكم وهو عند راسه ليومي اليه فقال الشافعي
سبحان الله ايشك في هذا ابو يعقوب البويطي فانكسر لها محمد ومال اصحابه الي البويطي مع ان
محمدا كان قد حمل عنه مذهبه كله لكن البويطي كان افضل وكان اقرب الي الزهد والورع فنصح
الشافعي لله وللمسلمين وترك المداهنة ولم يوثر رضا الخلق علي رضا الله تعالي فلما توفي انقلب
محمد بن الحكم عن مذهبه ورجع الي مذهب ابيه ودرس كتب مالك وهو من كبار اصحاب مالك رضي الله عنه
وآثر البويطي الزهد والخمول ولم يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف
كتاب الام الذي ينسب الآن الي الربيع بن سليمان ويعرف به وانما صنفه البويطي ولكن لم يذكر
نفسه فيه ولم ينسبه الي نفسه فزاد الربيع فيه وتصرف واظهره والمقصود ان الوفاء بالمحبة من تمامها
قال الاحنف الاخاء جوهرة رقيقة ان لم تحرسها كانت معرضة للآفات فاحرسها بالكظم حتي تعتذر
الي من ظلمك وبالرضا حتي لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من اخيك التقصير ومن آثار الصدق
والاخلاص وتمام الوفاء ان يكون شديد الجزع من المفارقة نفور الطبع عن اسبابه كما قيل وجدت
مصيبات الزمان جميعها سوي فرقة الاحباب هينة الخطب انشد ابن عيينة هذا البيت قال
لقد عهدت اقواما فارقتهم منذ ثلثين سنة ما يخيل الي ان حسرتهم ذهبت من قلبي ومن الوفاء
ان لا يسمع بلاغات الناس علي صديقه لاسيما من يظهر اولا انه محب لصديقه كيلا يتهم ثم يلقي
الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من دقايق الحيل في التضريب ومن لا يحترز منه
لم تدم مودته اصلا قال رجل لحكيم قد جئتك خاطبا لمودتك قال ان جعلت مهرها ثلثا فعلت لا تسمع
علي بلاغة ولا تخالفني في امري ولا يعطيني عشوة ومن الوفاء ان لا يصادق عدو صديقه قال
الشافعي اذا اطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك الحق الثامن التخفيف وترك التكليف
والتكليف وذلك بان لا يكلف اخاه ما يشق عليه بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفههم
عن ان يحمله شيئا من اعبائه ولا يستمد منه من جاه ومال ولا يكلفه التواضع له والتفقد لاحواله والقيام
بحقوقه ويحمل موونة قال بعضهم من اقتضي من اخوانه ما لا يقتضونه فقد ظلمهم ومن اقتضي منهم مثل

ما يقتضونه فقد اتعبهم ومن لم يقتض فهو المتفضل عليهم وقال بعضهم من جعل نفسه في قدره
تعب واتعبهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا وتمام التخفيف بطي بساط التكليف حتى لا يستحيي
فيما لا يستحيي من نفسه قال الجنيد ما تواخى اثنان في الله فاستوحش احدهما من صاحبه الا لعلة
في احدهما وقال علي رضي الله عنه شر الاصدقاء من تكلف لك ومن احوجك الى مداراة والجاك
الى اعتذار وقال الفضيل انما تقاطع الناس بالتكلف يزور احدهما اخاه فيتكلف له فيقطعه
ذلك عنه وقالت عائشة رضي الله عنها المؤمن اخو المؤمن لا يغتنمه ولا يحتشمه وقال الجنيد صحبت
اربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلثون رجلا حارث المحاسبي وطبقته وسري السقطي
وطبقته وابن الكريني وطبقته فما تواخى اثنان في الله واستوحش الا لعلة في احدهما وقيل
لبعضهم من نصحب فقال من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ كان جعفر بن
محمد يقول اثقل اخواني علي من يتكلف لي واتحفظ منه واخفهم على قلبي من اكون معه كما اكون
وحدي وقال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص باثم يكون
ذلك لك وعليك وانت على ان تحفظ منه اذا علم ان ذلك ينقصه عندهم وقال بعضهم كن مع
ابناء الدنيا بالادب ومع ابناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقال آخر لا تصحب الا
من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر اليك اذا اسأت ويحمل عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة
نفسه وقائل هذا قد ضيق طريق الاخوة على الناس وليس الامر كذلك بل ينبغي ان يواخي كل
متدين عاقل ويعزم على ان يقوم بهذه الشرايط ولا يكلفه هذه الشروط حتى يكثر اخوانه
اذ به يكون مواخيا في الله والا كانت مواخاته لحظوظ نفسه فقط ولذلك قال رجل للجنيد قد عز
الاخوان في هذا الزمان اين اخ في الله فاعرض الجنيد حتى اعاده ثلاثا فلما اكثر قال له ان اردت
اخا يكفيك مؤنتك ويتحمل اذاك فهذا لعمري قليل وان اردت اخا في الله تحمل انت مؤنته وتصبر
على اذاه فعندي جماعة اعرفهم منك الرجل واعلم ان الناس ثلثة رجل تنتفع بصحبته
ورجل تقدر على ان تنفعه فلا تتضرر به ولكن لا تنتفع به ورجل لا تقدر ايضا على ان تنفعه وهو
الاحمق او السيء الخلق فهذا الثالث ينبغي ان تجتنب فاما الثاني فلا تجتنب لانك تنتفع في
الآخرة بشفاعته وبدعائه وبثوابك على القيام به وقد اوحى الله تعالى الى موسى ان اطعتني
فما اكثر اخوانك اي ان واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم قال بعضهم صحبت الناس خمسين سنة
فما وقع بيني وبينهم خلاف لاني كنت معهم على نفسي ومن هنا سمته كثر اخوانه ومن التخفيف

وترك التكلف ان لا يعترض في نوافل العبادات لان طائفة من الصوفية يصحبون على شرط المساواة
بين اربع معاني ان اكل احدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له افطر وان
نام الليل كله لم يقل له قم وان صلى كله لم يقل له نم ويستوي حالاه عنده بلا مزيد ولا نقصان
لان ذلك ان تفاوت حرك الطبع الى الريا والتحفظ لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت الفته
ومن خفت مؤنته دامت مودته وقال بعض الصحابة ان الله تعالى لعن المتكلفين وقد قال صلى الله
عليه وسلم انا والاتقياء من امتي برآء من التكلف وقال بعضهم اذا عمل الرجل في بيت اخيه اربع
خصال فقد تم انسه به اذا اكل عنده ودخل الخلاء ونام وصلى فذكر ذلك لبعض المشايخ فقال
وهي ان يحضر مع الاهل بيت اخيه ويجامعها فان البيت يتخذ للاستخفاء في هذه الامور الخمس
والا فالمساجد اروح لقلوب المتعبدين فاذا فعل هذه الخمس فقد تم الاتحاد وارتفعت الحشمة
وتأكد الانبساط وقول العرب في تسليمهم يشير الى ذلك اذ يقول مرحبا واهلا وسهلا اي لك
عندنا مرحب وهو السعة في القلب والمكان ولك عندنا اهل تأنس بهم بلا وحشة منا ولك
عندنا سهولة في ذلك كله اي يشتد علينا اذ لا يتم التخفيف وترك التكليف الا بان يرى نفسه
دون اخوانه ويحسن الظن بهم ويسيء بنفسه فاذا راهم خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو
خيرا منهم قال ابو معوية الاسود اخواني كلهم خير مني قيل وكيف قال كلهم يرى الفضل لي عليه
ومن فضلني على نفسي فهو خير مني وقد قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله ولا خير في
صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له فهذه اقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة والكمال في
رؤية الفضل للاخ ولذلك قال سفيان اذا قيل لك يا شر الناس فغضبت فانت شر الناس اي
ينبغي ان تكون معتقدا ذلك في نفسك ابدا وسيأتي وجه ذلك في كتاب العجب والكبر وقد
قيل في معنى التواضع ورؤية الفضل للاخوان تذلل لمن ان تذللت له يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لا يزال على الاصدقاء يرى الفضل له وقال آخر كم من صديق عرفته بصديق
صار احظى من الصديق العتيق ورفيق رأيته في طريق صار عندي هو الصديق الحقيق
ومهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر اخاه وهذا في عموم المسلمين مذموم قال صلى الله عليه وسلم
بحسب المؤمن من الشر ان يحقر اخاه المسلم ومن تتمة الانبساط وترك التكلف ان يشاور اخوانه
في كل ما يقصده ويقبل اشاراتهم فقد قال تعالى وشاورهم في الامر وينبغي ان لا يخفى عنهم
شيئا من اسراره كما روي عن يعقوب ابن اخي معروف قال جاء اسود بن سالم الى عمي معروف

وكان مواخيا له فقال ان بشر بن الحارث يحب مواخاتك وهو يستحيي ان يشافهك بذلك وقد ارسلني
اليك يسالك ان يعقد له فيما بينك وبينه اخوة يحتسبها ويعتد بها الا انه يشترط فيها شروطا لا يحب
ان يشتهر بذلك ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة فانه يكره كثرة الالتقاء فقال معروف
اما انا اذا احببت احدا لم احب مفارقته ليلا ونهارا ولزومه في كل وقت ولا يؤثره على نفسي
في كل حال ثم ذكر من فضل الاخوة والحب في الله احاديث كثيرة ثم قال منها وقد آخى رسول الله صلعم
عليا رضي الله عنه فشاركه في العلم وقاسمه البدن وانكحه افضل بناته واجملهن اليه وخصه
بذلك لمواخاته واني اشهدك اني قد عقدت له اخوة بيني وبينه وعقدت اخاءه في الله لرسالتك
ولمسالته على ان لا يزورني ان كره ذلك ولكني ازوره متى احببت وامره ان يلقاني في مواضع
يلتقي فيها وامره ان لا يخفي عني شيئا من شانه وان يطلعني على جميع احواله فاخبر سالم بشرا بذلك
فرضي به وسر به فهذا جامع حقوق الصحبة وقد اجملناه مرة وفصلناه اخرى ولا يتم ذلك الا بان
يكون على نفسك للاخوان ولا يكون لنفسك عليهم وان تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد
بحقوقهم جميع جوارحك اما البصر فبان تنظر اليهم نظر مودة يعرفونها منك وتنظر الى محاسنهم
وتتعامى عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم في وقت اقبالهم عليك وكلامهم معك روي انه صلى الله عليه
وسلم كان يعطي كل من جلس اليه نصيبه من وجهه وما استصغاه احد الا ظن انه اكرم الناس
عليه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مسالته وتوجهه للجالس اليه وكان مجلسه مجلس
حيا وتواضع وامانة وكان صلى الله عليه وسلم اكثر الناس تبسما وضحكا وتعجبا مما حدثوا به وكان
ضحك اصحابه عنده التبسم اقتداء منهم بفعله وتوقيرا له صلى الله عليه وسلم واما السمع فبان تسمع
كلامهم متلذذا بسماعه ومصدقا به ومظهرا للاستبشار به ولا تقطع عليهم حديثهم بمرادة ومنازعة
ومداخلة واعتراض فان ارهقك عارض اعتذرت اليهم وتحرس سمعك عن سماع ما يكرهون واما
اللسان فقد ذكرنا حقوقه والقول فيه يطول ومن ذلك ان لا ترفع صوتك عليهم ولا تخاطبهم
الا بما يفهمونه واما اليدان فلا تقبضهما عن معونتهم في كل ما يتعاطى باليد واما الرجلان فان
تمشي وراءهم مشي الاتباع لا مشي المتبوعين ولا تتقدمهم الا بقدر ما يقدمونه ولا تقرب منهم
الا بقدر ما يقربونه وتقوم لهم اذا اقبلوا ولا تقعد الا بقعودهم وتقعد حيث يقصد ومهما تم الاتحاد
خف حمله من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثناء فانها من حقوق الصحبة وفي ضمنها
نوع من الاجنبية والتكلف فاذا تم الاتحاد انطوى بساط التكلف بالكلية فلا تسلك به الا مسلك

نفسه لان هذه الآداب الظاهرة عنوان الآداب الباطنة وصفاء القلب ومهما عرفت القلوب
استغني عن تكلف اظهار ما فيها ومن كان نظره الي صحبة الخلق تارة يعوج وتارة يستقيم ومن
كان نظره الي الخالق لزم الاستقامة ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحب لله والخلقه وزين ظاهره
بالعبادة لله والخدمة لعباده فانها اعلي انواع الخدمة اذ لا وصول اليها الا بحسن الخلق ويدرك
العبد بحسن الخلق درجة القايم الصايم وزيادة خاتمة لهذا الباب يذكر جملة من آداب المعيشة
والمجالسة مع اصناف الخلق يلتقطه من كلام بعض الحكماء ان اردت حسن المعيشة فالق
صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وتوقر في غير كبر وتواضع في غير مذلة
وكن في جميع امورك في اوسطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم ولا ينظر في عطفيك ولا يكثر
الالتفات ولا يقف علي الجماعات واذا جلست فلا يستوفز وتحفظ من تشبيك اصابعك والعبث
بلحيتك وخاتمك وتخليل اسنانك وادخال اصبعك في انفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب
عن وجهك وكثرة التمطي والتثاوب في وجوه الناس وفي الصلوة وغيرها وليكن مجلسك هاديا
وحديثك منظوما مرتبا واصغ الي الكلام الحسن ممن حدثك بغير اظهار تعجب مفرط ولا تساله
اعادته واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن اعجابك بولدك ولا جاريتك ولا شعرك
وتصنيفك وساير ما يخصك ولا تتصنع بصنع المراة في التزين ولا تتبذل بتبذل العبد وتوق
كثرة الكحل والاسراف في الدهن ولا تلح في الحاجات ولا تشجع احدا علي الظلم ولا تعلم اهلك
وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان راوه قليلا هنت عندهم وان كان كثيرا لم تبلغ قط
رضاهم واخفهم في غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل امتك ولا عبدك فيسقط وقارك
واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك ولا تكثر الاشارة
بيديك ولا تكثر الالتفات الي من وراءك ولا تجث علي ركبتيك واذا هدا غضبك فتكلم وان
قربك سلطان فكن منه علي حد السنان وان استرسل اليك فلا تامن انقلابه عليك وارفق
به رفقك بالصبي وكلمه بما يشتهيه ولا يحملن لطفه بك ان يدخل بينه وبين اهله وولده وحشمه
وان كنت لذلك مستحقا عنده فان سقطة الداخل بين الملك واهله سقطة لا تنعش وزلة لا تقال
واياك وصديق العافية فانه اعدي الاعداء ولا تجعل مالك اكرم من عرضك واذا دخلت مجلسا
فالادب البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون اقرب الي
التواضع وان تخص بالسلام من قرب منك عند الجلوس ولا تجلس علي الطريق فان جلست

فادبه غض البصر ونصر المظلوم واغاثه الملهوف وعون الضعيف وارشاد الضال ورد السلام
واعطاء السايل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والارتياد لموضع البصاق فلا يبصق في جهه
القبله ولا عن يمينك ولكن عن يسارك وتحت قدمك اليسرى ولا بمجالس الملوك فان فعلت
فادبه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوايج وتهذيب الالفاظ والاعراب
في الخطاب والمذاكرة باخلاق الملوك وقلة المداعبه وكثرة الحذر منهم وان ظهرت المودة وان لا
يتجشا بحضرته ولا يتخلل بعد الاكل عنده وعلى الملك ان يحتمل كل شي الا افشاء السر والقدح في
الملك والتعرض للحرم ولا بمجالس العامة فان فعلت فادبه ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغا
الى اراجيفهم والتغافل عما يجري في سو الفاظهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة اليهم واياك ان تمازح
لبيبا او غير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجتري عليك لان المزاح يخرق الهيبة ويسقط
ماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الدين ويشين فقه الفقيه ويجري السفيه ويسقط
المنزلة عند الحليم ويمقته المتقون وهو يميت القلب ويباعد عن الرب تعالى ويكسب الغفله
ويورث الذلة وبه تظلم السراير وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب وتبين الذنوب وقد قيل لا يكون
المزاح الا من سخف او بطر ومن بلي في مجلس بمزاح فليذكر الله عند قيامه قال صلى الله عليه وسلم من جلس
في مجلس بمزاح فليذكر الله عند قيامه قال صلى الله عليه وسلم من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه
فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك
واتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك

الباب الثالث

في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من تدلي بهذه الاسباب

اعلم ان الانسان اما ان يكون وحده او مع غيره واذا تعذر عيش الانسان وحده الا بمخالطة من هو
من جنسه لم يكن بد من تعلم ادب المخالطة وكل مخالط ففي مخالطته ادب والادب على قدر
حقه وحقه على قدر رابطته التي بها وقعت المخالطة والرابطة اما القرابة وهي اخصها او اخوة
الاسلام وهي اعمها واما الجوار واما صحبة السفر والمكتب او الدرس واما الصداقة والاخوة ولكل
واحد من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم آكد وللمحرم حق ولكن
حق الوالدين آكد ولذلك حق الجار يختلف بحسب قربه من الدار وبعده ويظهر التفاوت
عند النسبة حتى ان البلدي في بلاد الغربة يجري مجرى القريب في الوطن لاختصاصه بحق الجوار
في البلد ولذلك حق المسلم يتاكد بتاكد المعرفة وللمعارف درجات فليس حق الذي عرف

بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسماع بل لا بد منه والمعرفة بعد وقوعها يتاكد بالاختلاط ولذلك الصحبة
يتفاوت درجاتها فحق الصحبة في الدرس والمكتب اكد من حق صحبة السفر وكذلك الصداقة يتفاوت
درجاتها فحق الصحبة في الدرس والمكتب اكد من حق صحبة فانها اذا قويت صارت اخوة فان
ازدادت صارت محبة فان ازدادت صارت خلة والخليل اقرب من الحبيب والمحبة ما يتمكن من
حبة القلب والخلة ما تخلل سر القلب وكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلا وتفاوت
درجات الصداقة لا يخفى بحكم المشاهدة والتجربة فاما كون الخلة فوق الاخوة فمعناه ان لفظ
الخلة عبارة عن حالة هي اتم من الاخوة ويعرفه من قوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا
لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله اذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع اجزاء قلبه
ظاهرا وباطنا ويستوعبه ولم يكن يستوعب قلبه سوى حب الله وقد منعته الخلة عن الاشتراك
فيه مع انه اتخذ عليا رضي الله عنه اخا فقال علي مني بمنزلة هرون من موسى الا النبوة فعدل
بعلي عن النبوة كما عدل بابي بكر عن الخلة فشارك ابو بكر عليا رضي الله عنهما في الاخوة وزاد
عليه بمقاربة الخلة واهليته لو كان للشرك في الخلة مجال فانه نبه عليه بقوله لاتخذت
ابا بكر خليلا وكان صلى الله عليه وسلم حبيب الله وخليله وقد روي انه صعد المنبر يوما مستبشرا
فرحا فقال ان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا فانا حبيب الله وانا خليل الله اذن
ليس قبل المعرفة رابطة ولا بعد الخلة درجة وما سواهما من الدرجات بينهما وقد ذكرنا حق
الصحبة والاخوة ويدخل فيه ما يوض وراءهما من المحبة والخلة وانما تتفاوت الرتب في تلك الحقوق
كما سبق بحسب تفاوت رتب المحبة والاخوة حتى تنتهي اقصاها الى ان توجب الايثار بالنفس
والمال كما آثر ابو بكر رضي الله عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وكما آثر طلحة رضي الله عنه بدنه اذ جعل
نفسه وقاية لشخصه العزيز صلوات الله عليه فنحن الآن نريد ان نذكر حق اخوة الاسلام وحق الرحم
وحق الوالدين وحق الجوار وحق الملك اعني ملك اليمين فان ملك النكاح قد ذكرنا حقوقه
في كتاب آداب النكاح حقوق المسلم هي ان يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه ويشمته
اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات ويبر قسمه اذا اقسم عليه وينصح له اذا استنصحه
ويحفظ بظهر الغيب اذا غاب ويحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه ورد جميع ذلك في آثار
واخبار وقد روي انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اربع من حق المسلم
عليك ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تدعو لمدبرهم وان تحب تائبهم وقال ابن عباس رضي

في معنى قوله رحماء بينهم قال مدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم اذا نظر الطالح الي الصالح
من امة محمد صلي الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به واذا نظر
الصالح الي الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له ومنها ان يحب للكافة ما يحبه لنفسه ويكره
لهم ما يكره لنفسه قال النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول مثل المومنين
في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعي سايره بالحمى وروي ابو موسي عنه
صلي الله عليه وسلم انه قال المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا ومنها ان لا يوذي احدا
من المسلمين بفعل ولا قول قال النبي صلي الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده
وقال صلي الله عليه وسلم في حديث طويل يامره بالفضايل فان لم يقدر فدع الناس من الشر
فانها صدقة تصدق بها عن نفسك وقال ايضا افضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه
ويده وقالوا من المومن قال من امنه المومنون علي انفسهم واموالهم قالوا من المهاجر قال
من هجر السوء واجتنبه وقال رجل يا رسول الله ما الاسلام قال ان يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون
من لسانك ويدك وقال مجاهد يسلط علي اهل النار الجرب فيحتكون حتى يبدو عظم احدهم
من جلده فينادي يا فلان هل يوذيك هذا فيقول نعم فيقال هذا بما كنت توذي المومنين
وقال صلي الله عليه وسلم لقد رايت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت
توذي الناس وقال ابو برزة يا رسول الله علمني شيا انتفع به قال اعزل الاذي عن طريق المسلمين
وقال صلي الله عليه وسلم من زحزح عن طريق المسلمين شيا يوذيهم كتب الله له بها حسنة ومن كتب
له حسنة اوجب له بها الجنة وقال صلي الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يشير الي اخيه بنظرة توذيه وقال
لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال صلي الله عليه وسلم ان الله تعالي يكره اذي المومنين وقال
الربيع خيثم الناس رجلان مومن فلا توذه وجاهل فلا تجاهله ومنها ان يتواضع لكل مسلم
ولا يتكبر عليه فان الله لا يحب كل مختال فخور وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الله اوحى الي ان
تواضعوا حتى لا يفخر احد علي احد ثم ان تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالي خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين وعن ابن ابي اوفي قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يانف ولا
يستكبر ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي حاجته ومنها ان لا يسمع بلاغات الناس
بعضهم علي بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال صلي الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات
وقال الخليل بن احمد من نم اليك نم عنك ومن اخبرك بخبر غيرك اخبر غيرك بخبرك ومنها ان لا يزيد في

الهجرة لمن يوفه على ثلثة ايام مهما غضبت عليه قال ابو ايوب الانصاري قال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم
ان يهجر اخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدا بالسلام
وقال صلى الله عليه وسلم من اقال مسلما عثرته اقاله الله يوم القيمة قال عكرمة قال الله تع ليوسف
بعفوك عن اخوتك رفعت ذكرك في الدارين قالت عائشة رضي الله عنها ما انتقم رسول الله صلى الله
عليه وسلم لنفسه قط الا ان يصاب حرمة الله فينتقم لله وقال ابن عباس ما عفا رجل عن مظلمة
الا زاده الله بها عزا وقال صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة ما زاد الله رجلا بعفو الا عزا
وما من احد تواضع لله الا رفعه الله تعالى ومنها ان يحسن الى كل من قدر منهم ما استطاع لا
يميز بين الاهل وغير الاهل روي على بن الحسين عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلعم
اصنع المعروف الى اهله فان لم يصب اهله فانت من اهله وباسناده قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم راس العقل بعد الدين التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل
بر وفاجر قال ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احد بيده فينزع يده حتى
يكون الرجل هو يرسله ولم يكن يرى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن احد يكلمه الا
اقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى تفرغ من كلامه ومنها ان لا يدخل على احد منهم الا باذنه
بل يستاذن ثلاثا فان لم يوذن انصرف قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستيذان
ثلاثا فالاول يستنصتون والثاني يستصلحون والثالث ياذنون او يردون
ومنها ان يخالق الجميع بخلق حسن ويعامله بحسب طريقته فانه ان اراد الجاهل بالعلم
واللاهي بالفقه والغني بالبيان آذى وتاذى ومنها ان يوقر المشايخ ويرحم الصبيان قال
جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا
والتلطف بالصبيان من عادة النبي صلى الله عليه وسلم وقال من اجلال الله اكرام ذي الشيبة
المسلم ومن تمام توقير المشايخ ان لا يتكلم بين ايديهم الا بالاذن قال جابر قدم وفد جهينة
على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه وسلم فاين الكبر وفي الخبر
ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله في سنه من يكرمه وهذه بشارة بدوام الحيوة فليتنبه
له فلا يوفق لتوقير الشيوخ الا من قضى له بطول العمر وقال صلى الله عليه وسلم لا يقوم الساعة
حتى يكون الولد غيظا والمطر قيضا ويفيض اللئام فيضا ويغيض الكرام غيضا ويجترئ
الصغير على الكبير واللئيم على الكريم كان صلى الله عليه وسلم يقدم من سفره فيتلقاه الصبيان

فيقف عليهم ثم يامر بهم فيرفعوا اليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويامر اصحابه ان يحملوا فربما تفاخر
الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض حملني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه وحملك انت
وراءه ويقول بعضهم امر اصحابه ان يحملوك وراءهم وكان يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة وليسميه
فياخذه ويضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح به بعض من يراه فيقول لا تزرموا الصبي حتى يقضي
بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ويبلغ سرور اهله فيه والا يروا انه تاذى ببوله فاذا انصرفوا اغتسل ثوبه
بعده ومنها ان يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفيقا قال صلى الله عليه وسلم على من
حرمت النار قالوا الله ورسوله اعلم قال على الهين اللين السهل القريب وقال ابو هريرة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب السهل الطلق وقال بعضهم يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة
فقال ان من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام وقال عبد الله بن عمر البر شيء هين وجه
طليق وكلام لين وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة
وقال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى بطونها من ظهورها وظهورها من بطونها
فقال اعرابي لمن هي يا رسول الله فقال لمن طيب الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام
وقال معاذ بن جبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء
بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحم اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض
الجناح قال انس عرضت لنبي الله صلى الله عليه وسلم امراة وقالت لي معك حاجة وكان معه ناس
من اصحابه فقال اجلسي في اي نواحي السكك شئت اجلس اليك ففعل فجلس اليها حتى قضت
حاجتها وقال وهب بن منبه ان رجلا من بني اسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل سبعة
ايام فسال الله تعالى ان يريه كيف يغوي الشياطين الناس فلما طال عليه ذلك ولم يجب قال
لو اطلعت على خطيئتي وذنبي بيني وبين ربي لكان خيرا لي من هذا الامر الذي طلبته فارسل الله اليه
ملكا فقال له ان الله ارسلني اليك وهو يقول لك ان كلامك هذا الذي تكلمت به احب الي مما مضى
من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فاذا جنود ابليس قد احاطت بالارض واذا ليس احد من الناس
الا الشيطان حوله كالذباب فقال اي رب من ينجو من هذا فقال الورع اللين ومنها ان لا يعد
مسلما بوعد الا ويفي به قال صلى الله عليه وسلم العدة عطية وقال العدة دين وقال ثلث في المنافق
اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وقال ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام
وصلى وذكر ذلك ومنها ان ينصف الناس من نفسه ولا ياتي اليهم الا بما يحب ان يؤتى اليه قال صلعم

لا تستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلث خصال الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل
السلام وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فليأته موتته وهو يشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وليأت الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وقال صلى الله عليه وسلم
يا ابا الدرداء احسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما قال
الحسن اوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام باربع وقال فيهن جماع الامر لك ولولدك واحدة لي
وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الخلق فاما الذي لي تعبدني لا تشرك بي شيئا
واما الذي لك فعمل اجزيك به افقر ما تكون اليه واما الذي بيني وبينك فعليك الدعاء وعلي الاجابة
واما الذي بينك وبين الناس فتصحبهم بالذي تحب ان يصحبوك به وسال موسى عليه السلم الله تعالى
فقال اي رب اي عبادك اعدل قال من انصف الناس من نفسه ومنها ان يزيد في توقير من بدل
هيأته وثيابه على علو منزلته فينزل الناس منازلهم روي ان عائشة رضي الله عنها كانت في سفر
فنزلت منزلا فوضعت طعامها فجاء سائل فقالت عائشة ناولوا هذا المسكين وصاحب مر رجل على
دابة فقالت ادعوه الى الطعام فقيل لها تعطين المسكين وتدعوا هذا الغني فقالت ان الله تعالى
قد انزل الناس منازل لا بد لنا من ان ننزلهم تلك المنازل هذا المسكين يرضى بقرص ويقبح بنا ان
نعطي هذا الغني على هذه الهيئة قرصا وروي انه عليه السلم دخل بعض بيوته فدخل عليه اصحابه
حتى دحس وامتلا فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكانا فقعد على الباب فلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم رداءه فالقاه اليه فقال له اجلس على هذا فاخذه جرير ووضعه على وجهه
وجعل يقبله ويبكي ثم لفه ورمى به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما كنت لاجلس على ثوبك
اكرمك الله كما اكرمتني فنظر النبي صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا ثم قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وكذلك
كل من له عليه حق قديم فليكرمه روي ان ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ارضعته جاءت
اليه فبسط لها رداءه ثم قال لها مرحبا يا امي ثم اجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعي تشفعي
وسلي تعطي فقالت قومي فقال اما حقي وحق بني هاشم فهو لك فقام الناس من كل ناحية
قالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد واحد سهمانه ووهب لها سهمانه بحنين فبيع من عثمان
رضي الله عنه بمائة الف درهم ولربما اتاه من يأتيه وهو على وسادة جالس فلا يكون فيها سعة
يجلس معه فينزعها ويضعها تحت الذي يجلس اليه فان ابى عزم عليه حتى فعل ومنها ان يصلح ذات
البين بين المسلمين ان وجد اليه سبيلا قال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة الصيام

والصلوة والصدقة قالوا بلى فقال اصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة وقال
صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة اصلاح ذات البين وعن انس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس اذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر يا رسول الله بابي انت وامي ما الذي اضحكك قال رجلان
من امتي جثيا بين يدي رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من هذا فقال الله تعالى
رد على اخيك مظلمته فقال يا رب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع
باخيك من حسناته شيء فقال يا رب فليحمل عني من اوزاري ثم فاضت عين رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالبكاء فقال ان ذلك يوم عظيم يوم يحتاج الناس الى ان يحملوا عنهم من اوزارهم قال
فيقول الله تعالى للمتظلم ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال يا رب اري مداين من فضة وقصورا
من ذهب مكللة باللؤلؤ لاي نبي هذا او لاي صديق او لاي شهيد هذا قال الله تعالى لمن اعطاني
الثمن قال يا رب ومن يملك قال انت تملكه قال بماذا يا رب قال بعفوك عن اخيك فادخله الجنة
ثم قال اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله تبارك وتعالى يصلح بين المومنين يوم القيمة وقد قال
صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا وهذا يدل على وجوب الاصلاح
لان ترك الكذب واجب لا يسقط الواجب الا بواجب اوكد منه وقال صلى الله عليه وسلم كل الكذب
مكتوب الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكذب بين اثنين فيصلح بينهما او يكذب
لامراته ليرضيها ومنها ان يستر عورات المسلمين كلهم قال صلى الله عليه وسلم من ستر على مسلم ستره
الله في الدنيا والآخرة وقال لا يستر عبد عبدا الا ستره الله يوم القيمة وقال ابو سعيد الخدري قال صلى الله عليه وسلم
لا يرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لماعز لما اخبره لو سترته
بثوبك كان خيرا لك فاذن على المسلم ان يستر عورة نفسه لحق اسلامه واجب عليه لحق اسلام غيره
قال ابو بكر رضي الله عنه لو اخذت شاربا لاحببت ان يستره الله ولو اخذت سارقا لاحببت ان
يستره الله وروي ان عمر كان يعس بالمدينة ذات ليلة فراي رجلا وامراة على فاحشة فلما
اصبح قال للناس ارايتم لو ان اماما راي رجلا وامراة على فاحشة فاقام عليهما الحد ما كنتم
فاعلين فقالوا انما انت امام فقال علي رضي الله عنه ليس ذلك لك اذن يقام عليك الحد ان الله
لم يامن على هذا الامر اقل من اربعة شهداء ثم تركهم ما شاء الله ان يتركهم ثم سالهم فقال القوم
مثل مقالتهم الاولى فقال علي مثل مقالته وهذا يشير الى ان عمر رضي الله عنه كان مترددا في ان
الوالي هل له ان يقضي بعلمه في حدود الله فلذلك راجعهم في معرض التقدير لا في معرض الاخبار

خيفة من ان لا يكون له ذلك فيكون قاذفا بإخباره ومال رأي علي الي انه ليس له ذلك وهذا
اعظم الادلة علي طلب الشرع لستر الفواحش فان افحشها الزنا وقد نيط باربعة من العدول
يشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالمرود في المكحلة وهذا قط لا يتفق وان علمه القاضي تحقيقا لم
يكن له ان يكشف فانظر الي الحكمة في حسم باب الفاحشة بإيجاب الرجم الذي هو اغلظ العقوبات
ثم انظر الي كثيف ستر الله كيف اسبله علي العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه فنرجو
ان لا يحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر ففي الحديث ان الله تعالي اذا ستر علي عبد عورة في الدنيا
فهو اكرم من ان يكشف في الآخرة وان كشفها في الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها اخرى وعن
عبد الرحمن بن عوف قال حرست مع عمر رضي الله عنه ليلة بالمدينة فبينا نحن نمشي اذ ظهر لنا
سراج فانطلقنا نؤمه فلما دنونا اذا باب مغلق علي قوم لهم اصوات ولغط فاخذ عمر بيدي
وقال لي اتدري بيت من هذا قلت لا قال هذا بيت ربيعة بن امية بن خلف وهم الآن شرب
قلت اري انا قد اتينا ما نهانا الله عنه قال الله تعالي ولا تجسسوا فرجع عمر وتركهم وهذا يدل
علي وجوب الستر وترك التتبع وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعوية انك ان تتبعت عورات الناس
افسدتهم او كدت تفسدهم وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان
في قلبه لا تغتابوا الناس ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته
يفضحه ولو كان في جوف بيته وقال ابو بكر رضي الله عنه لو رايت احدا علي حد من حدود الله ما احددته
ولا دعوت له احدا حتى يكون معي غيري وقال بعضهم كنت قاعدا مع عبد الله بن مسعود اذ جاءه رجل
باخر فقال هذا نشوان فقال عبد الله بن مسعود استنكهوه فوجدوه نشوان فحبسه حتى ذهب
سكره ثم دعا بسوط فكسر ثمره ثم قال للجلاد ارفع يدك واعط كل عضو حقه فجلده وعليه قباء او مرطي
فلما فرغ قال للذي جاء به ما انت منه قال عمه قال عبد الله ما ادبت فاحسنت الادب ولا سترت
الخزية انه ينبغي للامام اذا انتهي اليه حد ان يقيمه ان الله عفو يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا
ثم قال اني لاذكر اول رجل قطعه النبي صلى الله عليه وسلم اتي بسارق فقطعه فكانما اسف وجهه
فقالوا يا رسول الله كانك كرهت قطعه قال وما يمنعني لا تكونوا عونا للشيطان علي اخيكم انه ينبغي
للسلطان اذا انتهي اليه حد ان يقيمه ان الله عفو يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا الا تحبون
ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم وفي رواية كانما سف في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
رماد لشدة تغيره وروي ان عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل في

بيت سفي فتسور عليه فوجد عنده امراة وعنده خمر فقال يا عدو الله اظننت ان الله يستر
وانت علي معصية فقال وانت يا امير المومنين فلا تعجل ان اكن عصيت الله واحدة فقد عصيت
الله في ثلاث قال الله تعالي ولا تجسسوا وقد تجسست وقال تعالى ليس البر بان تاتوا البيوت
من ظهورها وقد تسورت علي وقد قال الله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم وقد دخلت بيتي
بغير اذني فقال عمر هل عندك من خير ان عفوت عنك قال نعم والله يا امير المومنين لين عفوت
عني لا اعود الي مثلها فعفا عنه فخرج وتركه وقال رجل لعبد الله بن عمر يا ابا عبد الرحمن كيف
سمعت النبي صلي الله عليه وسلم يقول في النجوى يوم القيمة قال سمعته يقول ان الله تعالي ليدني
منه المومن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس يقول اتعرف ذنب فيقول نعم يا رب حتى اذا
قرره بذنوبه وراي في نفسه انه قد هلك قال له يا عبدي اني لم استرها عليك في الدنيا الا وانا
اريد ان اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته واما الكافرون والمنافقون فيقول الاشهاد
هولا الذين كذبوا علي ربهم الا لعنة الله علي الظالمين وقال صلي الله عليه وسلم كل امتي معافي
الا المجاهرون وان المجاهرة ان يعمل الرجل سوا ثم يخبر به وقال صلي الله عليه وسلم علي من استمع خبر قوم
هم له كارهون صب في اذنه الانك يوم القيمة ومنها ان يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس
عن سو الظن ولالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا
قال الله تعالي ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال صلي الله عليه وسلم
كيف ترون من يسب ابويه فقالوا وهل من احد يسب ابويه قال نعم يسب ابوي غيره فيسبون
ابويه وقد روي انس بن مالك ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كلم احدي نسايه فمر به رجل
فدعاه رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله من كنت
اظن فيه فاني لم اكن اظن بك فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وفي رواية
اني خشيت ان يقذف في قلبكما شيا وكانا رجلين فقال علي رسلكما انها صفية الحديث
وكانت قد زارته في العشر الاواخر من رمضان وقال عمر رضي الله عنه من اقام نفسه مقام
التهمة فلا يلومن من اساء به الظن ومر برجل تكلم امراة علي ظهر الطريق فعلاه
بالدرة فقال يا امير المومنين انها امراتي فقال فهلا حيث لا يراك الناس ومنها ان يشفع
لكل من له حاجة من المسلمين الي من له عنده منزلة ويسعى في قضا حاجته بما يقدر قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم اني اوتى واسال ويطلب الي الحاجة وانتم عندي فاشفعوا توجروا

ويقضي الله علي يدي نبيه ما احب وقال معوية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشفعوا كي توجروا
اني اريد الامر فاوخره كي يشفعوا الي فتوجروا وقال صلى الله عليه وسلم ما من صدقة افضل من
صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة تحقن بها الدم وتجر بها المنفعة الي آخر وبدفع بها
المكروه عن آخر وروي عكرمة عن ابن عباس ان زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث انظر اليه
خلفها يبكي ودموعه تسيل علي لحيته فقال صلى الله عليه وسلم للعباس الا تعجب من شدة حب مغيث
لبريرة وشدة بغض بريرة مغيثا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو راجعتيه فانه ابو ولدك قالت
يا رسول الله اتامرني فافعل قال لا انما انا شافع ومنها ان يبدا كل مسلم بالسلام قبل الكلام
وتصافحه عند السلام قال صلى الله عليه وسلم من بدا بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدا
بالسلام وقال بعضهم دخلت علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم اسلم ولم استاذن فقال النبي صلعم
ارجع وقل السلام عليكم وادخل وروي جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم بيوتكم
فسلموا علي اهلها فان الشيطان اذا سلم احدكم لم يدخل بيته وقال انس خدمت النبي صلعم
ثمانى حجج فقال لي يا انس اسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلم علي من لقيته من امتي يكثر حسناتك
واذا دخلت منزلك فسلم علي اهلك يكثر خير بيتك وقال صلى الله عليه وسلم واذا حييتم بتحية
فحيوا باحسن منها او ردوها وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة
حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحابوا الا ادلكم علي عمل اذا عملتموه تحاببتم قالوا بلي يا رسول الله
قال افشوا السلام بينكم وقال ايضا اذا سلم المسلم علي المسلم فرد عليه صلت عليه
الملايكه سبعين مرة وقال صلى الله عليه وسلم الملايكه تعجب من المسلم يمر علي المسلم لا يسلم عليه
وقال صلى الله عليه وسلم يسلم الراكب علي الماشي واذا سلم واحد من القوم اجزا عنهم وقال
قتادة كانت تحية من قبلكم السجود فاعطي الله تعالي هذه الامة السلام وهي تحية اهل
الجنة وكان ابو مسلم الخولاني يمر علي قوم فلا يسلم ويقول لا يمنعني الا اني اخشى ان لا
يردوا فيلعنكم الملايكه والمصافحة ايضا سنة مع السلام وجاء رجل الي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال سلام عليكم فقال صلى الله عليه وسلم عشر حسنات فجاء آخر فقال سلام عليكم
ورحمة الله فقال عشرون فقال آخر سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلثون وكان انس يمر
علي الصبيان فيسلم ويروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك وروى عبد الحميد بن
بهرام انه صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فالوى بيده للتسليم

واشار عبد الحميد بين الحكاية وقال صلي الله عليه وسلم لا تبدوا اليهود والنصاري بالسلام واذا
لقيتم احدهم في الطريق فاضطروهم الي اضيق الطرق قالت عايشه ان رهطا من اليهود دخلوا
علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال النبي صلي الله عليه وسلم عليكم فقالت
عايشه بل عليكم السام واللعنة فقال صلي الله عليه وسلم يا عايشة ان الله يحب الرفق في كل شي قالت
عايشه الم يسمع ما قالوا قال فقد قلت عليكم وقال صلي الله عليه وسلم يسلم الراكب علي الماشي والماشي
علي القاعد والقليل علي الكثير والصغير علي الكبير وقال صلي الله عليه وسلم لا تشبهوا باليهود والنصاري
وان تسليم اليهود الاشارة بالاصابع وتسليم النصاري الاشارة بالاكف قال ابو عيسى اسناده ضعيف
وقال صلي الله عليه وسلم اذا انتهي احدكم الي مجلس فليسلم فان بدا له ان يجلس فليجلس ثم اذا قام
فليسلم فليست الاولي باحق من الاخرة وقال انس قال صلي الله عليه وسلم اذا التقي المومنان
فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسعة وستون لاحسنهما بشرا وقال عمر رضي الله عنه سمعت
النبي صلي الله عليه وسلم يقول اذا التقي المسلمان فسلم كل واحد علي صاحبه وتصافحا نزلت بينهما
مائة رحمة للبادي تسعون وللمصافح عشر وقال الحسن المصافحة يزيد في الود وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم تمام تحياتكم بينكم المصافحه وقال صلي الله عليه وسلم قبلة المسلم اخاه
المصافحة ولا باس بتقبيل يد المعظم في الدين تبركا به وتوقيرا روي عن ابن عمر قال قبلنا يد النبي
صلي الله عليه وسلم وعن كعب بن مالك لما نزلت توبتي اتيت النبي صلي الله عليه وسلم فقبلت يده
وروي ان اعرابيا قال يا رسول الله ائذن لي فاقبل راسك ويدك قال فاذن له ففعل ولقي ابو
عبيدة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فصافحه وقبل يده وتنحيا يبكيان وعن البراء بن عازب
انه سلم علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو يتوضا فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوءه ورد عليه
ومد يده اليه فصافحه فقال يا رسول الله ما كنت اري هذا الا من اخلاق الاعاجم فقال رسول الله
صلي الله عليه وسلم ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما وعن النبي صلي الله عليه وسلم
انه قال اذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لانه ذكرهم السلام
وان لم يردوا عليه رد عليه ملا خير منهم واطيب او قال وافضل والانحناء عند السلام منهي عنه
قال انس قلنا يا رسول الله اينحني بعضنا لبعض قال لا قال فيتصافح قال نعم فالالتزام والتقبيل
فقد ورد عند القدوم من السفر وقال ابو ذر ما لقيته صلي الله عليه وسلم الا صافحني وطلبني يوما
فلم اكن في البيت فلما اخبرت جئت وهو علي سرير فالتزمني فكانت اجود واجود والاخذ بالركاب

في توقير العلماء وورد به الاثر فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت واخذ عمر بعضد زيد حتى قعد
وقال هكذا فافعلوا بزيد واصحاب زيد والقيام مكروه قال انس ما كان شخص احب الينا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك وروى انه صلى الله عليه وسلم
قال مرة اذا رايتموني فلا تقوموا كما يصنع الاعاجم قال عيسى عليه السلم من سره ان يمثل له الرجال
قياما فليتبوأ مقعده من النار وقال صلى الله عليه وسلم لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه
ولكن توسعوا وتفسحوا وكانوا يحترزون عن ذلك لهذا النهي وقال صلى الله عليه وسلم اذا اخذ القوم
مجالسهم فان دعا رجل اخاه فاوسع له فلياته فانما هي كرامة اكرم بها اخاه فان لم يوسع له فلينظر
الى اوسع مكان يجده فيجلس فيه وروى انه سلم رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبول
فلم يجب فيكره السلام على من يقضي حاجته ويكره ان يقول ابتداء عليك السلام قال رجل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ان عليك السلام تحية الميت قالها ثلاثا ثم قال اذا لقي
احدكم اخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله ويستحب للداخل اذا سلم ولم يجد مجلسا ان لا ينصرف
بل يقعد وراء الصف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في المجلس اذ اقبل ثلثة نفر فاقبل
اثنان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما احدهما فوجد فرجة فجلس فيها واما الثاني فجلس خلفه
واما الآخر فادبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم عن النفر الثلثة اما
احدهم فاوى الى الله فآواه الله واما الثاني فاستحيى فاستحيى الله منه واما الثالث فاعرض فاعرض
الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل ان
يتفرقا وسلمت ام هاني على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذه فقيل له فقال صلى الله عليه
وسلم مرحبا بام هاني ومنها ان يصون عرض اخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر
ويرد عليه ويناضل دونه روى ابو الدرداء ان رجلا نال من رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرد عنه رجل فقال صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض اخيه كان له حجابا من النار وقال
صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار
جهنم يوم القيمة وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ذكر عنده اخوه المسلم وهو يستطيع
نصره فلم ينصره ادركه الله به في الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده اخوه المسلم فنصره نصره الله
بها في الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم من حمى عرض اخيه المسلم في الدنيا بعث الله
تعالى له ملكا يحميه يوم القيمة عن النار وقال جابر وابو طلحة سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول ما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمته الا نصره الله تعالى في موطن
يحب نصرته وما من امرئ خذل مسلما في موضع ينتهك فيه حرمته الا خذله الله في موضع يحب فيه
نصرته ومنها تشميت العاطس قال صلى الله عليه وسلم في العاطس يقول الحمد لله على كل حال
ويقول الذي يشمته يرحمكم الله ويرد عليه العاطس فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم وعن ابن
مسعود قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول اذا عطس احدكم فليقل الحمد لله رب
العالمين فاذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فاذا قالوا فليقل يغفر الله لي ولكم وشمت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطسا ولم يشمت آخر فقال انه حمد الله وانت سكت وقال صلى الله عليه
وسلم يشمت المسلم اذا عطس ثلاثا فان زاد فهو زكام وروي انه شمت عاطسا ثم عطس
اخرى فقال انك مزكوم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عطس غض صوته
واستتر بثوبه او يده وروي خمر وجهه وقال ابو موسى الاشعري كان اليهود يتعاطسون
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء ان يقول يرحمكم الله وكان يقول يهديكم الله وروي عبد
الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه ان رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلوة فقال
الحمد لله حمدا طيبا كثيرا مباركا فيه كما يرضاه ربنا وبعد ما يرضى والحمد لله على كل حال فلما
سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال من صاحب الكلمات فقال انا يا رسول الله ما اردت بهن الا
خيرا فقال لقد رايت اثني عشر ملكا كلهم يبتدرونها ايهم يكتبها وقال صلى الله عليه وسلم
من عطس عنده فسبق الى الحمد لم يشتك خاصرته وقال ابرهيم عليه السلم العطاس من الله
والتثاوب من الشيطان فاذا تثاوب احدكم فليضع يده على فيه فاذا قال آه آه فانه
الشيطان يضحك من جوفه وقال ابرهيم النخعي اذا عطس في قضاء الحاجة فلا باس بان يذكر
الله وقال الحسن يحمد الله في نفسه وقال كعب قال موسى عليه السلم يا رب اقريب انا فاناجيك
ام بعيد فاناديك فقال انا جليس من ذكرني فقال فانا نكون على حال نجلك ان نذكرك عليها
كالجنابة والغايط قال فاذكرني على كل حال ومنها انه اذا بلي بذي شر فينبغي ان يجامله
ويتقيه قال بعضهم خالص المومن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة فان الفاجر يرضى بالخلق
الحسن في الظاهر وقال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وهذا
معنى المداراة وهو مع من يخاف شره قال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن قال ابن عباس في معنى
قوله ويدرون بالحسنة السيئة اي الفحش والاذى بالسلام والمداراة وقال في معنى قوله

ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض تمال بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة وقالت عايشة
استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايذنوا له فبيس رجل العشيرة فلما دخل
الان له القول حتى ظننت ان له عنده منزلة فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذي قلت ثم النت
له القول فقال يا عايشة ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيمة من تركه الناس اتقاء لحشه
اتجرها وفي بر المومن عرضه فهو له صدقة وفي الاثر خالطوا الناس باعمالهم وزايلوهم بالقلوب
وقال محمد بن الحنفية ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل
الله له فرجا ومنها ان يجتنب مخالطة الاغنيا ويخلط بالمساكين ويحسن الى الايتام
كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين
وكان سليمان في ملكه اذا دخل المسجد فراي مسكينا جلس اليه وقال مسكين جالس مسكينا
وقيل ما كان من كلمة يقال لعيسى احب اليه من ان يقال له يا مسكين وقال كعب الاحبار
ما في القرآن من يا ايها الذين آمنوا فهو في التورية يا ايها المساكين وقال عبادة بن الصامت
ان للنار سبعة ابواب ثلثة للاغنيا وثلثة للنساء وواحد للفقراء والمساكين وقال الفضيل
بلغني ان نبيا من الانبيا قال كيف لي ان اعلم رضاك عني قال انظر كيف رضا المساكين
عنك وقال صلى الله عليه وسلم اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى يا رسول الله قال
الاغنيا وقال موسى الهي اين ابغيك قال عند المنكسرة قلوبهم وقال صلى الله عليه وسلم لا تغبطن
فاجرا بنعمه فانك لا تدري الى ما يصير بعد الموت فان من ورائه طالبا حثيثا واما اليتيم فقال
صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما من ابوين مسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة البتة وقال
صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وهو يشير باصبعيه وقال صلى الله عليه وسلم
من وضع يده على راس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة يمر عليها يده حسنة وقال صلى الله عليه وسلم
خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه
ومنها النصيحة لكل مسلم والجهد في ادخال السرور على قلبه قال صلى الله عليه وسلم المومن
يحب للمومن ما يحب لنفسه وقال لا يومن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال
صلى الله عليه وسلم ان احدكم مرآة اخيه فاذا رآى به شيا فليمط عنه وقال صلى الله عليه وسلم
من قضى حاجة لاخيه فكانما خدم الله عمره وقال صلى الله عليه وسلم من اقر عين مومن
اقر الله عينيه يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار

قضاها او لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين وقال صلى الله عليه وسلم من فرج عن مغموم او اعان
مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة وقال صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما قيل
كيف ينصره ظالما قال يمنعه من الظلم وقال صلى الله عليه وسلم ان من احب الاعمال الى الله ادخال
السرور على المومن وان تفرج عنه غما او تقضي عنه دينا او يطعمه من جوع وقال صلى الله عليه وسلم
من حمى مومنا من منافق بعث الله اليه ملكا يحمي لحمه يوم القيمة من نار جهنم وقال صلى الله عليه وسلم
خصلتان ليس فوقهما شئ من الشر الشرك بالله والضر لعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شئ من
البر الايمان بالله والنفع لعباد الله وقال صلى الله عليه وسلم من لم يهتم للمسلمين فليس منهم وقال
معروف الكرخي من قال اللهم اصلح امة احمد اللهم ارحم امة احمد اللهم فرج عن امة احمد كل يوم ثلث
مرات كتبه الله من الابدال وبكى علي بن الفضيل يوما فقيل له ما يبكيك فقال ابكي على من ظلمني
اذا وقف غدا بين يدي الله تعالى وسئل عن ظلمه ولم يكن له حجة ومنها ان يعود مرضاهم والمعرفة
والاسلام كاف في اثبات هذا الحق ونيل فضله وادب العائد خفة الجلسة وقلة السوال واظهار
الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع وعند الاستيذان ان لا يقابل الباب
ويدق برفق ولا يقول انا اذا قيل من ولا يقول يا غلام ولكن يحمد ويسبح وقال صلى الله عليه وسلم
تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته او على يده ويسأله كيف هو وتمام تحياتكم المصا
وقال صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا قعد في مخارف الجنة حتى اذا قام وكل به سبعون الف
ملك يصلون عليه حتى الليل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عاد الرجل المريض خاض في
الرحمة فاذا قعد عنده غرق فيها وقال صلى الله عليه وسلم اذا عاد المسلم اخاه او زاره قال الله تعالى
له طبت وطاب ممشاك وتبوات منزلا في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد بعث الله تبارك
وتعالى اليه ملكين فقال انظرا ماذا يقول لعواده فان هو اذا جاؤه حمد الله واثنى عليه رفعا ذلك
الى الله وهو اعلم فيقول لعبدي علي ان توفيته ان ادخله الجنة وان انا شفيته ان ابدل له لحما
خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان اكفر عنه سيئاته وقال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب
منه وقال عثمان مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم
اعيذك بالله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد من شر ما تجد قالها مرارا ودخل
صلى الله عليه وسلم على علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهو مريض فقال قل اللهم اني اسئلك
تعجيل عافيتك وصبرا على بليتك وخروجا من الدنيا الى رحمتك فانك ستعطى احداهن

للعليل ايضا ان يقول اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما احد ، وقال علي بن ابي طالب اذا اشتكى احدكم
بطنه فليسال امراته شيا من صداقها فيشتري به عسلا ويشربه بماء السماء فيجتمع له الهني والمري
والشفاء والمبارك وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة الا اخبرك بامر هو حق من تكلم به في اول
مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يا رسول الله قال يقول لا اله الا الله يحيي ويميت
وهو حي لا يموت سبحان الذي بدا العباد والبلاد والحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال
الله اكبر كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم ان انت امرضتني لتقبض روحي في مرضي
هذا فاجعل روحي في ارواح من سبقت لهم منك الحسنى وباعدني من النار كما باعدت اوليك
الذين سبقت لهم منك الحسنى وروي انه صلى الله عليه وسلم قال عيادة المريض فواق ناقة
وقال طاوس افضل العيادة اخفها وقال ابن عباس عيادة المريض مرة سنة فما ازددت فنافلة
وقال بعضهم عيادة المريض بعد ثلاث وقال صلى الله عليه وسلم اغبوا في عيادة المريض واربعوا
وجملة ادب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والفزع الى الدعاء والتوكل بعد الدواء على
خالق الدواء ومنها ان تشيع جنايزهم قال صلى الله عليه وسلم من شيع جنازة فله قيراط فان
وقف حتى دفن فله قيراطان وفي الخبر القيراط مثل احد ولما روي ابو هريرة هذا الحديث
وسمعه قال لقد فرطنا الى الآن في قراريط كثيرة والقصد من التشييع قضاء حق المسلمين
والاعتبار فان مكحول الدمشقي اذا راى جنازة قال اغد فانا رايحون موعظة بليغة وغفلة
سريعة تذهب الاول والآخر لا عقل له وخرج مالك بن دينار خلف جنازة اخيه وهو يبكي
ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ما صرت ولا والله لا اعلم ما دمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد
الجنايز فلا يدرى من نعزي لحزن القوم كلهم ونظر ابرهيم الزيات الى اناس يترحمون على ميت
فقال لو ترحمون انفسكم لكان اولى انه نجا من اهوال ثلاثة وجه ملك الموت قد راى ومرارة
الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد امن وقال صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى
واحد يتبعه اهله وماله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله ومنها ان يزور قبورهم والمقصود
الدعاء والاعتبار ورقة القلب قال صلى الله عليه وسلم ما رايت منظرا الا والقبر افظع منه قال
عمر رضي الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى القوم
منه فبكى وبكيت فقال ما يبكيكم فقلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر آمنة بنت وهب استاذنت
ربي في زيارتها فاذن لي فاستاذنت في ان استغفر لها فابى علي فادركني ما يدرك الولد

من الرقة وكان عثمان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ويقول سمعت رسول الله صلعم
يقول ان القبر اول منزل من منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر وان لم ينج منه فما
بعده اشد وقال مجاهد اول ما تكلم ابن آدم حفرته فتقول انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت
الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت لك فما اعددت لي وقال ابو ذر الا اخبركم بيوم فقري
يوم اوضع في قبري وكان ابو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له في ذلك فقال اجلس الى قوم يذكروني
معادي وان قمت لم يغتابوني وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم
فقد خان نفسه وخانهم وقال صلى الله عليه وسلم ما من ليلة الا ينادي منادٍ يا اهل القبور
من تغبطون قالوا نغبط اهل المساجد لانهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلي ويذكرون
الله ولا نذكره وقال سفيان من اكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن
ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا وكان اذا وجد
في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ساعة ثم قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا
ثم قال يا ربيع قد رجعت فاعمل قبل ان لا ترجع قال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد
العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى وقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني امية كانهم
لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم اما تراهم قد خلت بهم المثلات واصاب الهوام من ابدانهم
ثم بكى وقال والله ما اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور وقد امن عذاب الله وادب
زيارة الموتى خفض الجناح واظهار الحزن وقلة الحديث وترك التبسم وادب تشييع الجنازة
لزوم الخشوع وترك الحديث وملاحظة الميت والتذكر في الموت والاستعداد له وان يمشي
امام الجنازة بقربها والاسراع بالجنازة سنة فهذه جمل تنبه على ادب المعاشر مع عموم الخلق
والجملة الجامعة فيه ان لا يستصغر منهم احدا حيا كان او ميتا فيهلك لانك لا تدري لعل خير
منك فانه وان كان فاسقا فلعله يختم لك بمثل حاله ويختم له بالصلاح ولا ينظر اليهم بعين التعظيم
لهم في حال دنياهم فان الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها ومهما عظم اهل الدنيا في نفسك
فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله ولا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر في عينهم
ثم تحرم دنياهم فان لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو ادنى بالذي هو خير ولا تعادهم بحيث
تظهر العداوة فيطول الامر عليك في المعاداة ويذهب دينك ودنياك فيهم ويذهب دينهم فيك الا
اذا رايت منكرا في الدين فتعادي افعالهم القبيحة وتنظر اليهم بعين الرحمة لهم لتعرضهم لمقت

الله تعالى وعقوبته بعصيانهم فحسبهم جهنم يصلونها فما بالك تحقد عليهم ولا تسكن اليهم في مودتهم

لك وثنائهم في وجهك وحسن بشرهم لك فانك ان طلبت حقيقة ذلك لم تجد الا في الندر واحدا

ولا تبعد ولا تشك اليهم احوالك فيكلك الله اليهم ولا تطمع ان يكونوا لك في الغيب والسر كما في العلانية

فذلك طمع كاذب فانه يظفر به ولا تطمع فيما في ايديهم فتستعجل الذل ولا تنال الغرض ولا

تعل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم فان الله يلجئك اليهم عقوبة على التكبر باظهار الاستغناء

واذا سألت اخا منهم حاجة فقضاها فهو اخ مستفاد وان لم يقض فلا تعاتبه فيصير عدوا

تطول عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فلا يسمع منك ويعاديك

وليكن وعظك عرضا وارسالا من غير تنصيص على الشخص ومهما رأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر

الله الذي سخرهم لك واستعذ بالله ان يكلك اليهم واذا بلغك منهم غيبة او رأيت منهم شرا او

اصابك منهم ما يسوءك فكل امرهم الى الله واستعذ بالله من شرهم ولا تشغل نفسك بالمكافاة

فيزيد الضرر ويضيع العمر بشغله ولا تقل لهم لم يعرفوا موضعي واعتقد انك لو استحققت

ذلك لجعل الله لك موضعا في قلوبهم فالله المحبب والمبغض الى القلوب وكن فيهم سميعا

لحقهم اصم عن باطلهم نطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم واحذر صحبة اكثر الناس فانهم لا يقيلون

عثرة ولا يغفرون زلة ولا يسترون عورة ويحاسبون عن النقير والقطمير ويحسدون

على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطاء والنسيان ولا يعفون

يغرون الاخوان بالاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان

ان رضوا فظاهرهم الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق لا يؤمنون في حنقهم ولا يرجون في

ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون

ويتربصون بصديقهم ريب المنون من الحسد يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليجبهوك بها

في غضبهم ووحشتهم ولا تعول على مودة من لم تخبره حق الخبرة فان تصحبه مدة في دار

او موضع واحد فتجربه في عزلة وولايته وغناه وفقره او تسافر معه او تعامله في الدينار

والدرهم او تقع في شدة فتحتاج اليه فان رضيته في هذه الاحوال فاتخذه اباك ان كان

كبيرا وابنا ان كان صغيرا واخا ان كان مثلا لك فهذه جملة اداب المعيشة مع اصناف

الخلق **حقوق الجوار** اعلم ان الجوار يقتضي حقا وراء ما تقتضيه اخوة الاسلام فيستحق

الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم الجيران ثلثة جار له

حق واحد وجار له حقان وجار له ثلثة حقوق فالجار الذي له ثلثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم
فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم واما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق
الاسلام واما الجار الذي له حق واحد فالجار المشرك فانظر كيف اثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار
وقد قال صلى الله عليه وسلم احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وقال صلى الله عليه وسلم
مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وقال صلى الله عليه وسلم من كان يومن
بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال صلى الله عليه وسلم لا يومن عبد حتى يامن جاره بوايقه
وقال صلى الله عليه وسلم اول خصمين يوم القيمة جاران وقال صلى الله عليه وسلم اذا انت
رميت كلب جارك فقد آذيته وروي ان رجلا جاء الى ابن مسعود فقال له ان لي جارا
يوذيني ويشتمني ويضيق علي فقال له اذهب فان هو عصى الله فيك فاطع الله فيه وقيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتوذي جيرانها فقال صلعم
في النار وجاء رجل اليه صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اصبر ثم
قال له في الثالثة او الرابعة اطرح متاعك في الطريق قال فجعل الناس يمرون به فيقولون
ما لك فيقول آذاه جاره فجعلوا يقولون لعنه الله فجاءه جاره فقال رد متاعك والله لا اعود
وروي الزهري ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان
ينادي على باب المسجد الا ان اربعين دارا جار قال الزهري اربعون هكذا واربعون هكذا
واربعون هكذا واربعون هكذا ومال الى اربع جهات وقال صلى الله عليه وسلم اليمن والشوم
في المراة والمسكن والفرس فيمن المراة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشومها
غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها ويمن المسكن سعته وحسن جوار اهله وشومه ضيقه
وسوء جوار اهله ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشومه صعوبته واعلم انه ليس حق الجوار
كف الاذى فقط بل احتمال الاذى فان الجار ايضا قد كف اذاه فليس في ذلك قضاء حق ولا
يكفي احتمال الاذى بل لا بد من الرفق واسداء الخير والمعروف اذ يقال ان الجار الفقير يتعلق
بالجار الغني يوم القيمة ويقول يا رب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني وبلغ ابن
المقفع ان جارا له يبيع داره في دين ركبه وكان يجلس في ظل داره فقال ما قمت اذن بحرمة
ظل داره ان باعها معدما فدفع اليه ثمن الدار وقال لا تبعها وشكى بعضهم كثرة الفار
في داره فقيل له لو اقتنيت هرا فقال اخشى ان يسمع الفار صوت الهر فيهرب الى دار

الجيران فاكون قد احببت لهم ما لا احبه لنفسي وجملة حق الجار ان يبدا بالسلام ولا يطيل
معه الكلام ولا يكثر عن حاله السوال ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه في
العزاء ويهنيه في الفرح ويظهر الشركة في السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يطلع من السطح
علي عوراته ولا يضايقه في وضع الجذع علي جداره ولا في مصب الماء في ميزابه ولا في مطرح
التراب من فنائه ولا يضيق طريقه الي الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله الي داره ويستر
ما ينكشف له من عوراته وينعشه من صرعته اذا نابته نائبة ولا يغفل عن ملاحظة داره
عند غيبته ولا يتسمع عليه كلامه ويغض بصره عن حرمه ولا يديم النظر الي خادمته
ويتلطف لولده في كلمته ويرشده الي ما يجهله من امر دينه ودنياه هذا الي جملة الحقوق
التي ذكرناها للمسلمين وقد قال صلي الله عليه وسلم اتدرون ما حق الجار ان استعان بك
اعنته وان استقرضك اقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات اتبعت
جنازته وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح
الا باذنه وان اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك
ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي
نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله هكذا رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
عنه صلي الله عليه وسلم قال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمرو وغلام له يسلخ شاة فقال
يا غلام اذا سلخت فابدا بجارنا اليهودي حتي قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتي خشينا انه سيورثه وقال هشام
كان الحسن لا يري باسا ان يطعم الجار اليهودي والنصراني من اضحيتك وقال ابو ذر اوصاني
خليلي صلي الله عليه وسلم وقال اذا طبخت قدرا فاكثر ماءها ثم انظر بعض اهل بيت من جيرانك
فاغرف لهم منها وقالت عائشة قلت يا رسول الله ان لي جارين احدهما مقبل ببابه والآخر
ناء ببابه عني وربما كان الذي عندي لا يسعهما فايهما اعظم حقا فقال المقبل عليك ببابه
وراي الصديق ولده عبد الرحمن وهو يماظ جارا له فقال لا تماظ جارك فان هذا يبقي والناس
يذهبون قال الحسن بن عيسي النيسابوري سالت عبد الله بن المبارك قلت الرجل المجاور
ياتيني فيشكو غلامي انه اتي اليه امرا والغلام ينكر فاكره ان اضربه ولعله بري واكره ان
ادعه فيجد علي جاري فكيف اصنع فقال ان غلامك لعله ان يحدث حدثا يستوجب

فيه الادب فاحفظ عليه فاذا اشكا جارك فاديه علي ذلك الحدث فيكون قد ارضيت جارك
وادبته علي ذلك الحدث وهذا تلطف في الجمع بين الحقين وقالت عايشة رضي الله عنها خلال المكارم
عشر يكون في الرجل ولا يكون في ابيه ويكون في العبد ولا يكون في سيده يقسمها الله لمن
احب صدق الحديث وصدق الناس واعطاء السايل والمكافاة بالصنايع وصلة الرحم وحفظ
الامانة والذمم للجار والذمم للصاحب وقري الضيف واحسنهن الحيا وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم للنساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها شيا ولو فرسن
شاة وقال صلي الله عليه وسلم ان من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهني
وقال عبد الله قال رجل يا رسول الله كيف لي ان اعلم اذا احسنت او اساءت قال اذا سمعت
جيرانك يقولون قد احسنت فقد احسنت واذا سمعتهم يقولون قد اساءت فقد اساءت
وقال جابر قال النبي صلعم من كان له جار في حايط او شريك فلا يبعه حتي يعرضه عليه وقال
ابو هريرة قضي رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الجار يضع جذوعه في حايط جاره شاء ام
ابي وقال ابن عباس قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يمنعن احدكم جاره ان يضع خشبه
في حايطه وكان ابو هريرة يقول مالي اراكم عنها معرضين والله لارمينها بين اكتافكم وقد
ذهب بعض العلماء الي وجوب ذلك وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم من اراد الله به خيرا
عسله قيل وما عسله قال يحببه الي جيرانه حقوق الاقارب والرحم قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول الله تعالي انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من
اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم من سره ان
ينسا في اثره ويوسع عليه في رزقه فليصل رحمه وفي رواية من سره ان يمد له في عمره ويوسع
له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه وقيل لرسول الله صلي الله عليه وسلم اي الناس افضل فقال
اتقاهم لله واوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر وقال ابو ذر اوصاني خليلي صلعم
بصلة الرحم وان ادبرت وامرني ان اقول الحق وان كان مرا وقال صلي الله عليه وسلم ان الرحم
معلقة بالعرش وليس الواصل المكافي لكن الواصل الذي اذا انقطعت رحمه وصلها وقال
صلي الله عليه وسلم ان اعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتي ان اهل البيت ليكونوا فجارا فتنمي اموالهم
ويكثر عددهم اذا وصلوا ارحامهم وقال زيد بن اسلم لما خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم الي مكة
عرض له رجل فقال ان كنت تريد النساء البيض والنوق الادم فعليك ببني مدلج فقال صلي الله عليه وسلم

ان الله منع من بني مدلج بصلتهم الرحم وقالت اسماء بنت ابي بكر قدمت علي امي وهي مشركة
فقلت يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي مشركة افاصلها قال نعم وفي رواية افاعطيها
قال نعم صليها وقال صلى الله عليه وسلم الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان
ولما اراد ابو طلحة ان يتصدق بحايط له كان يعجبه عملا بقوله تعالى حتى تنفقوا مما تحبون قال يا رسول الله
هي في سبيل الله والفقراء والمساكين فقال صلى الله عليه وسلم وجب اجرك وتقسمه في اقاربك
وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وهو في معنى قوله افضل الفضائل
ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك وروي ان عمر كتب الى عماله مروا
الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا وانما قال ذلك لان التجاور يوجب التزاحم على الحقوق
وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم حقوق الوالدين والولد لا يخفى انه اذا تاكد حق
القرابة والرحم فاخص الارحام وامسها الولادة فيتضاعف تاكد الحق وقد قال صلى الله عليه وسلم
لن يجزي ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقال صلى الله عليه وسلم بر الوالدين افضل من
الصلوة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح مرضيا
لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن امسى مثل ذلك وان كان واحدا فواحدا
وان ظلما وان ظلما وان ظلما وقال صلى الله عليه وسلم يوجد ريحها من مسيرة خمس مائة عام ولا
يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وانه قال امك واباك واختك ثم ادناك فادناك ويروي ان الله تعالى
قال لموسى يا موسى انه من بر والديه وعقني كتبته برا ومن برني وعق والديه كتبته عاقا
وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما لم يقم له فاوحى الله اليه اتتعاظم ان تقوم لابيك وعزتي
لا اخرجت من صلبك نبيا وقال صلى الله عليه وسلم ما على احد اذا اراد ان يتصدق بصدقة
ان يجعلها لوالديه فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل اجورهما من غير ان ينقص من اجورهما
شيء قال مالك بن ربيعة بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة
فقال يا رسول الله هل بقي علي من بر ابوي شيء ابرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلوة عليهما
والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما وقال
صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه وقال صلى الله عليه وسلم بر الوالدة
على الوالد ضعفان وقال صلى الله عليه وسلم الوالدة اسرع اجابة قيل يا رسول الله ولم ذلك
قال هي ارحم من الاب ودعوة الرحم لا تسقط وساله رجل وقال يا رسول الله من ابر فقال بر

والدیک فقال لیس لی والدان قال برّ ولدک کما ان لوالدیک علیک حقا لذلک لولدک علیک حق
وقال صلی الله علیه وسلم رحم الله والدا اعان ولده علی برّه ای لم یحمله علی العقوق بسوء عمله وقید
قیل ولدک ریحانتک سبعا وخادمک سبعا ثم هو عدوک او شریکک قال انس قال صلی الله علیه
وسلم الغلام یعق عنه الیوم السابع ویسمی ویماط عنه الاذی فاذا بلغ ست سنین ادّبه
فاذا بلغ تسع سنین عزل فراشه فاذا بلغ ثلاث عشرة ضرب علی الصلوة فاذا بلغ ست عشرة
سنة زوّجه ثم اخذ بیده وقال قد ادبتک وعلمتک وانکحتک اعوذ بالله من فتنتک فی الدنیا
وعذابک فی الآخرة وقال صلی الله علیه وسلم من حق الولد علی الوالد ان یحسن ادبه ویحسن اسمه
وقال صلی الله علیه وسلم کل غلام رهین او رهینة بعقیقته تذبح [الیوم] السابع ویحلق راسه وقال قتادة
اذا ذبحت العقیقة اخذت صوفة منها فاستقبل بها اوداجها ثم توضع علی یافوخ الصبی حتی
یسیل منه الخیط ثم یغسل راسه ویحلق بعد وجاء رجل الی عبد الله ابن المبارک فشکا
الیه بعض ولده فقال هل دعوت علیه قال نعم قال انت افسدته ویستحب الرفق بالولد
رای الاقرع بن حابس النبی صلی الله علیه وسلم وهو یقبّل ولده الحسن فقال لی عشرة من الولد
ما قبلت واحدا منهم فقال من لا یرحم لا یرحم قالت عایشة قال رسول الله صلی الله علیه وسلم
یوما اغسل وجه اسامة فجعلت اغسله وانا ابیه فضرب یدی ثم اخذه فغسل وجهه ثم
قبله ثم قال قد احسن بنا اذ لم یکن جاریة وبعثر الحسن وهو علی المنبر فنزل فحمله وقرا قوله تعالی
انما اموالکم واولادکم فتنة وقال عبد الله بن شداد بینما رسول الله صلی الله علیه وسلم یصلی
بالناس اذ جاء الحسین فرکب عنقه وهو ساجد فاطال السجود بالناس حتی ظن انه حدث
امر فلما قضی صلوته قالوا قد اطلت السجود حتی ظننا انه قد حدث امر فقال ان ابنی قد ارتحلنی
فکرهت ان اعجله حتی یقضی حاجته وقال صلی الله علیه وسلم ریح الولد من ریح الجنة
وقال یزید بن معویة ارسل ابی الی الاحنف بن قیس فلما صار الیه قال یا بالحسن ما تقول
فی الولد فقال یا امیر المومنین ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذلیلة وسماء ظلیلة
وبهم نصول عن کل جلیلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم یمنحوک ودهم ویحبوک
جهدهم ولا تکن علیهم ثقلا فیملوا حیاتک ویحبوا وفاتک ویکرهوا قربک فقال له معویة
لله انت یا احنف لقد دخلت علی وانا مملوء غضبا وغیظا علی یزید فلما خرج الاحنف
من عنده رضی عن یزید وبعث الیه بمائتی الف درهم ومائتی ثوب فارسل یزید الی الاحنف

بمائة الف درهم ومائة ثوب قاسمه على الشطر فهذه هي الاخبار الدالة على تاكد حق الوالدين
وكيفية القيام بحقهما تعرفه مما ذكرناه في حق الاخوة فان هذه الرابطة آكد من الاخوة بل يزيد
ههنا امران احدهما ان اكثر العلماء على ان طاعة الابوين واجبة في الشبهات وان لم
تجب في الحرام المحض حتى اذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك ان تاكل معهما
لان ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم ولذلك ليس لك ان تسافر في مباح او نافلة الا باذنهما
والمبادرة الى الحج الذي هو فرض نفل لانه على التراخي والخروج لطلب العلم نفل الا اذا كنت
تطلب علم الفرض من الصلوة والصوم ولم يكن في بلدك من يعلمك ذلك لمن يسلم ابتدا
في بلد ليس فيها من يعلمه شرع الاسلام فعليه الهجرة ولا يتقيد بحق الوالدين قال ابو سعيد
الخدري هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن واراد الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم
هل باليمن ابواك قال نعم قال هل اذنا لك فقال لا فقال صلى الله عليه وسلم فارجع الى
ابويك فاستاذنهما فان فعلا فجاهد والا فبرهما ما استطعت فان ذلك خير ما تلقى الله
به بعد التوحيد وجاء آخر اليه صلى الله عليه وسلم ليستشيره في الغزو فقال الك والدة
قال نعم قال فالزمها فان الجنة عند رجليها وجاء آخر وطلب البيعة على الهجرة وقال ما
جئتك حتى ابكيت والدي قال فارجع اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما وقال صلى الله عليه وسلم حق
كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده وقال صلى الله عليه وسلم اذا استصعبت على احدكم
دابته او ساء خلق زوجته او واحد من اهل بيته فليؤذن في اذنه

حق المملوك

اعلم ان ملك النكاح قد سبق حقوقه في آداب النكاح فاما ملك اليمين فهو ايضا يقتضي
حقوقا في المعاشرة لا بد من مراعاتها فقد كان من آخر ما اوصى به النبي صلى الله عليه وسلم
ان قال اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل
ما لا يطيقون فما احببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم
ولو شاء لملكهم اياكم وقال صلى الله عليه وسلم للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف
من العمل ما لا يطيق وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيئ
الملكة وقال عبد الله بن عمر جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نعفو
عن الخادم فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة
وكان عمر يذهب الى العوالي كل يوم سبت فاذا وجد عبدا في عمل لا يطيقه وضع عنه منه

ويروي عن ابي هريرة انه رآي رجلا علي دابته وغلامه يسعي خلفه فقال يا عبد الله احمله فا
هو اخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وقالت
جاريه لابي الدرداء اني سممتك منذ سنة وما عمل فيك شيا فقال لم فعلت ذلك فقال اردت
الراحة منك قال اذهبي فانت حرة لوجه الله تعالى وقال الزهري متى قلت للمملوك اخزاك فهو
حر وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل له فما بلغ من حلمه
قال بينما هو جالس في داره اذ اتيه خادم له بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها
علي ابن له فعقره فمات فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روع هذه الجارية الا العتق
انت حرة لا باس عليك وكان عون بن عبد الله اذا عصاه غلامه قال ما اشبهك بمولاك مولاك
يعصي مولاه وانت تعصي مولاك واغضبه يوما فقال انما تريد ان اضربك اذهب فانت
حر وكان عند ميمون بن مهران ضيف فاستعجل علي جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة
ومعها قصعة مملوة فعثرت واراقتها علي راس سيدها ميمون فقال يا جارية احرقتني قالت
يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع الي ما قال الله تعالي قال وما قال الله تعالى قالت والكاظمين
الغيظ قال قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس قالت قد عفوت عنك قالت زد
فان الله تعالي يقول والله يحب المحسنين فقال انت حرة لوجه الله وقال ابن المنكدر ان رجلا
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول اسئلك بالله اسالك
بالله بوجه الله فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد فانطلق اليه فلما رآي رسول
الله صلى الله عليه وسلم امسك يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سالك بوجه الله فلما
تعتقه فلما رايتني امسكت يدك قال فانه حر لوجه الله يا رسول الله فقال لو لم يفعل لسفعت
وجهك النار وقال صلي الله عليه وسلم العبد اذا نصح لسيده واحسن عبادة الله فله اجره
مرتين ولما اعتق ابو رافع بكى وقال كان لي اجران فذهب احدهما وقال صلى الله عليه وسلم
عرض علي اول ثلاثة يدخلون الجنة واول ثلاثة يدخلون النار فاما اول ثلاثة يدخلون
الجنة فالشهيد وعبد مملوك احسن عبادة ربه ونصح لسيده وعفيف متعفف ذو عيال
واول ثلاثة يدخلون النار امير مسلط وذو ثروة لا يعطي حق الله وفقير فخور وعن ابي مسعود
الانصاري قال بينما انا اضرب غلاما لي فسمعت صوتا من خلفي اعلم ابا مسعود مرتين
فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقيت السوط فقال والله لله اقدر عليك منك

على هنا وقال صلى الله عليه وسلم اذا ابتاع احدكم الخادم فليكن اول شي يطعمه الحلو فانه

اطيب لنفسه رواه معاذ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم

خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل معه وان لم يفعل فليناوله وفي رواية اذا كفى احدكم مملوكه

صنعه طعامه فكفاه حره ومؤنته وقربه اليه فليجلسه وليأكل معه او ليأخذ اكله فليروغها

واشار بيده فليضعها في يده وليقل كل هذه ودخل على سلمان رجل وهو يعجن

فقال يا ابا عبد الله ما هذا قال بعثت الخادم في شغل فكرهنا ان نجمع عليه عملين وقال

صلى الله عليه وسلم من كانت عنده جارية فصانها واحسن اليها ثم اعتقها وتزوجها فذلك

له اجران وقد قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فجملة حق المملوك

ان يشركه في طعمته وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء

وان يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه بهفوته او بجنايته في معاصيه وجنايته

على حق الله والتقصير في طاعته مع ان قدرة الله عليه فوق قدرته وروي فضالة بن عبيد

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يسأل عنهم رجل فارق الجماعة او عصى امامه

فمات عاصيا فلا يسأل عنه وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت

بعده فلا يسأل عنها ورجل ينازع الله رداءه ورداؤه الكبرياء وازاره العز ورجل في شك

من الله والقنوط من الرحمة تم كتاب

آداب الصحبة والاخوة والمعاشرة مع

اصناف الخلق والحمد لله رب العالمين

العزلة

وهو الكتاب السادس من كتب احياء علوم الدين من ربع العادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي اعظم النعمة علي خيرة خلقه وصفوته بان صرف هممهم الي مؤانسته واجزل
حظهم من التلذذ بمشاهدة الايه وعظمته وروح اسرارهم بمناجاته وملاطفته وحقر في قلوبهم
النظر الي زينة الدنيا وزهرتها حتى اغتبط بعزلته كل من طويت الحجب عن مجاري فكرته فاستانس
بمطالعة سبحات وجهه تعالي في خلوته واستوحش بها عن الانس بالانس وان كان من
اخص خاصته والصلوة علي محمد سيد انبيائه وخيرته وعلي آله واصحابه سادة الخلق وايمته
بعد فان للناس اختلافا كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل احدهما علي الاخر
مع ان كل واحدة منهما لاينفك عن غوائل ينفر عنها وفوايد يدعو اليها وميل اكثر العباد والزهاد
الي اختيار العزلة وتفضيلها عن المخالطة وما ذكرناه في كتاب الصحبة من فضيلة المخالطة
والمواخاة والموالفة يكاد يناقض ما مال اليه الاكثرون من اختيار الاستيحاش والخلوة فكشف
الغطاء عن الحق فيه مهم ويحصل ذلك برسم بابين الباب الاول
في نقل المذاهب والحجج فيه الباب الثاني في كشف الغطاء
عن الحق بحصر الفوايد والغوائل الباب الاول
في نقل المذاهب والاقاويل وذكر حجج الفريقين فيه اما المذاهب فقد
اختلف الناس وظهر هذا الاختلاف بين التابعين فذهب الي اختيار العزلة وتفضيلها
علي المخالطة سفيان الثوري وابرهيم بن ادهم وداود الطايي والفضيل بن عياض وسليمان
الخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة المرعشي وبشر الحافي وقال اكثر التابعين باستحباب
المخالطة واستكثار المعارف والاخوان للتالف والتحبب الي المومنين والاستعانة بهم
في الدين تعاونا الي البر والتقوى ومال الي هذا سعيد بن المسيب والشعبي وابن ابي ليلى
وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك بن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعي
واحمد بن حنبل وجماعة والماثور عن العلماء من الكلمات ينقسم الي كلمات مطلقة يدل علي
الميل الي احد الراين والي كلمات مقرونة بما يشير الي علة الميل فلننقل الآن مطلقات
تلك الكلمات لتبيين المذاهب فيها ونقل ما هو مقرون بذكر العلة نورده عند التعرض للفوايد

والفوايد فقد روي عن عمر انه قال خذوا حظكم من العزلة وقال ابن سيرين العزلة عبادة وقال الفضيل
كفى بالله محبا وبالقرآن مونسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا وقال ابو الربيع الزاهد
لداود الطائي عظني قال صم الدنيا واجعل فطرك من الآخرة وفر من الناس فرارك من الاسد
وقال الحسن كلمات احفظهن من التورية قنع ابن آدم فاستغنى اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات
فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروته صبر قليلا فتمتع طويلا وقال وهيب بن الورد بلغنا ان الحكمة
عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت والعاشرة عزلة الناس وقال يوسف بن مسلم لعلي بن
بكار ما اصبرك على الوحدة وقد كان لزم البيت فقال كنت وانا شاب اصبر على اشد من هذا
كنت اجالس الناس ولا اكلمهم وقال سفيان الثوري هذا وقت السكوت وملازمة البيوت
وقال بعضهم كنت في السفينة ومعنا شاب من العلوية فمكث معنا سبعا لا يسمع له كلام
فقلنا له يا هذا لقد جمعنا الله واياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا فانشا يقول
قليل الهم لا ولد يموت ولا امر يحاذره يفوت قضى وطر الصبى وافاد علما فغايته التفرد والسكوت
وقال ابرهيم النخعي تفقه ثم اعتزل وكذا قال الربيع بن خثيم وقيل كان مالك بن انس يشهد
الجنائز ويعود المرضى ويعطي الاخوان حقوقهم فترك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول
لا يتهيا للمرء ان يخبر بكل عذر له وقيل لعمر بن عبد العزيز لو تفرغت لنا فقال ذهب الفراغ فلا
فراغ الا عند الله تعالى وقال الفضيل اني لاجد للرجل عندي يدا اذا لقيني ان لا يسلم علي واذا
مرضت ان لا يعودني وقال ابو سليمان الداراني بينما الربيع بن خثيم جالس على باب داره اذ جاء
حجر فصك جبهته فشجه فجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظت يا ربيع فقام ودخل داره فما جلس
بعد ذلك على باب داره حتى اخرجت جنازته وكان سعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد لزما
بيوتهما بالعقيق فلم يكونا ياتيان المدينة لجمعة وغيرها حتى ماتا بالعقيق وقال يوسف بن
اسباط سمعت سفيان الثوري يقول والله الذي لا اله الا هو لقد حلت العزلة وقال بشر بن
عبد الله اقل من معرفة الناس فانك لا تدري ما يكون يوم القيمة فان يكن فضيحة كان من
يعرفك قليلا ودخل على حاتم الاصم بعض الامراء فقال الك حاجة فقال نعم قال ما هي قال
ان لا تراني ولا اراك وقال رجل لسهل اريد ان اصحبك فقال اذا مات احدنا فمن يصحبه
فليصحبه الآن وقيل للفضيل ان عليا ابنك يقول لوددت اني في مكان ارى الناس
ولا يروني فبكى الفضيل وقال يا ويح علي افلا اتمها فقال لا اراهم ولا يروني وقال الفضيل

ايضا من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه وقال ابن عباس افضل المجالس مجلس في قعر بيتك
لا ترى ولا يرى فهذه اقاويل المائلين الى العزلة

ذكر حجج المائلين الى المخالطة ووجه ضعفها

احتج هولاء بقوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا وبقوله تعالى الف بين قلوبهم امتن على الناس
بالسبب المولف وهذا ضعيف لان المراد به تفرق الاراء واختلاف المذاهب في معاني كتاب
الله تعالى واصول الشريعة والمراد بالالفة نزع الغوايل من الصدور وهي الاسباب المثيرة
للفتن المحركة للخصومات والعزلة لا تنافي ذلك واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم المومن الف مالوف
ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف وهذا ايضا ضعيف فانه اشارة الى مذمة سوء الخلق الذي يمتنع
بسببه المؤالفة ولا يدخل تحته الحسن الخلق الذي ان خالط الف والف ولكنه ترك المخالطة
اشتغالا بنفسه وطلبا للسلامة من غيره واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة
فمات ميتة جاهلية وبقوله صلى الله عليه وسلم من شق عصا المسلمين والمسلمون في اسلام
دامج فقد خلع ربقة الاسلام وهذا ضعيف لان المراد به الجماعة التي اتفقت ارايهم على امام
بعقد البيعة والخروج عليهم بغي وذلك مخالفة بالراي وخروج عليهم وذلك محظور لاضطرار
الخلق الى امام مطاع يجمع رايهم ولا يكون ذلك الا بالبيعة من الاكثر فالمخالفة فيه تشويش
مثير للفتنة فليس في هذا تعرض للعزلة واحتجوا بنهيه صلى الله عليه وسلم عن الهجرة فوق ثلاث
اذ قال من هجر اخاه فوق ثلاث فمات دخل النار وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لامرئ ان يهجر
اخاه فوق ثلاث والسابق يدخل الجنة وقال من هجر اخاه ستة ايام فهو كسافك دمه قالوا
العزلة هجرة بالكلية وهذا ضعيف لان المراد به الغضب على الناس واللجاج فيه بقطع الكلام
والسلام والمخالطة المعتادة فلا يدخل فيه ترك المخالطة اصلا من غير غضب مع ان الهجرة
فوق ثلاث جائز في موضعين احدهما ان يرى فيه استصلاحا للمهجور في الزيادة والثاني ان
يرى لنفسه سلامة فيه والنهي وان كان عاما فهو محمول على ما وراء الموضعين المخصوصين
بدليل ما روي عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم هجرها ذا الحجة والمحرم
وبعض صفر وروي عمر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا وصعد
الى علية له وهي خزانته فلبث تسعا وعشرين فلما نزل قيل له انك كنت فيها تسعا وعشرين فقال
الشهر قد يكون تسعة وعشرين وروت عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل
لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلثة ايام الا ان يكون ممن لا يؤمن بوائقه فهذا صريح في التخصيص

وعلي هذا ينزل قول الحسن هجران الاحمق قربة الي الله تعالي فان ذلك يدوم الي الموت اذ الحماقة
لا ينسلخ عنها وذكر عند محمد بن عمر الواقدي رجل هجر رجلا حتى مات فقال هذا شي قد تقدم
فيه قوم سعد بن ابي وقاص كان مهاجرا لعمار بن ياسر حتى مات وعثمان كان مهاجرا لعبد الرحمن
بن عوف وعايشة كانت مهاجرة لحفصة وكان طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى مات
وكل ذلك يحمل علي رويتهم سلامتهم في المهاجرة واحتجوا بما روى ان رجلا اتي الجبل ليتعبد
فجي به الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال لا تفعل انت ولا احد منكم لصبر احدكم في بعض
مواطن الاسلام خير من عبادة احدكم اربعين عاما والظاهر ان هذا انما كان لما فيه من ترك
الجهاد مع شدة وجوبه في ابتداء الاسلام بدليل ما روي عن ابي هريرة انه قال غزونا
علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم فمررنا بشعب فيه عنبه طيبة الماء فقال واحد
لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولن افعل ذلك حتى اذكر لرسول الله صلي الله عليه وسلم فقال
عليه الصلوة والسلام لا تفعل فان مقام احدكم في سبيل الله خير من صلوة في اهله ستين عاما
الا تحبون ان يغفر الله لكم وتدخلوا الجنة اغزوا في سبيل الله فانه من قاتل في سبيل الله
فواق ناقة ادخله الله الجنة واحتجوا بما روي معاذ بن جبل انه صلى الله عليه وسلم قال
ان الشيطان ذيب الانسان كذيب الغنم ياخذ القاصيه والناحيه والشاردة واياكم
والشعاب وعليكم بالعامه والجماعة والمساجد وهذا انما اراد به من اعتزل قبل تمام العلم
وسياتي ان ذلك ينهى عنها الا الضرورة ذكر حجج المايلين الي تفضيل العزلة احتجوا
بقوله تعالي حكاية عن ابرهيم عليه السلم واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربي
الاية ثم قال تعالي فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا
جعلنا نبيا اشارة الي ان ذلك ترك العزلة وهذا ضعيف لان مخالطة الكفار لا فايدة
فيه الا دعوتهم الي الدين وعند الياس عن اجابتهم فلا وجه الا هجرتهم وانما الكلام في مخالطة
المسلمين وما فيها من البركة اذ روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء من جر
مخمر احب اليك او من هذه المطاهر التي يتطهر منها الناس فقال بل من هذه المطاهر
التماسا لبركة ايدي المسلمين وروي انه لما طاف بالبيت عدل الى زمزم ليشرب منها فاذا
التمر المنقع في الحياض الادم قد مغثه الناس بايديهم وهم يتناولون منه ويشربون فاستسقى
منه فقال استوني فقال العباس ان هذا النبيذ شراب قد مغث وخيض بالايدي افلا

اسک بشراب انظف من هذا في حجر مجمر في الست فقال اسعوني من هذا الذي تشرب منه الناس

التمس بركة ايدي المسلمين فشرب منه فاذن كيف تستدل باعتزال الكفار والاصنام على اعتزال

المسلمين مع كثرة البركة فيهم واحتجوا ايضا بقول موسى وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون وانه فزع الى

العزلة عند الياس منهم وقال في اصحاب الكهف واذ اعتزلتموهم وما يعبدون من دون الله فاووا

الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته امرهم بالعزلة وقد اعتزل نبينا صلى الله عليه وسلم قريشا لما آذوه

وجفوه ودخل الشعب وامر اصحابه باعتزالهم والهجرة الى ارض الحبشة ثم تلاحقوا به في المدينة

بعد ان اعلى الله كلمته وهذا ايضا اعتزال عن الكفار عند الياس منهم فانه صلى الله عليه وسلم لم يعتزل

المسلمين ولا من توقع اسلامه من الكفار واهل الكهف ما اعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون وانما

اعتزلوا الكفار وانما النظر في العزلة من المومنين واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن

عامر الجهني حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما النجاة قال ليسعك بيتك وامسك عليك

ذنبك وابك على خطيئتك وروي انه قيل له صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل فقال مومن مجاهد

بنفسه وماله في سبيل الله قيل ثم من قال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه

ويدع الناس من شره وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد التقي النقي الخفي وفي الاحتجاج

بهذه الاحاديث نظر فاما قوله لعبد الله بن عامر لا يمكن تنزيله الا على ما عرفه صلى الله عليه وسلم بنور

النبوة من حاله وان لزوم البيت كان اليق به واسلم من المخالطة فانه لم يامر جميع الصحابة بذلك ورب

شخص يكون سلامته في القعود في البيت وان لا يخرج الى الجهاد وذلك لا يدل على ان ترك الجهاد

افضل وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الذي يخالط الناس

ويصبر على اذاهم وعلى هذا يتنزل قوله رجل معتزل يعبد ربه ويدع الناس من شره فهذا اشارة

الى شرير بطبعه يتاذى الناس بمخالطته وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب التقي الخفي اشارة

الى ايثار الخمول وتوقي الشهرة وذلك لا يتعلق بالعزلة فكم من راهب معتزل يعرفه كافة الناس

وكم من مخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة فهذا يعرض لامر لا تعلق بالعزلة احتجوا بما روى انه صلعم

قال لاصحابه الا انبئكم بخير الناس قالوا بلى قال فاشار بيده نحو المغرب فقال رجل اخذ بعنان

فرسه في سبيل الله ينتظر ان يغير او يغار عليه الا انبئكم بخير الناس بعده واشار بيده نحو الحجاز

وقال رجل في غنيمة يقيم الصلوة ويؤتي الزكوة ويعلم حق الله في ماله اعتزل شرور الناس واذ

ظهر ان هذه الادلة لا تشفي منها من الجانبين فلابد من كشف الغطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها

ومقايسته بعضها بالبعض لتبين الحق فيه

الباب الثاني

في فوايد العزلة وغوايلها وكشف الحق في فضلها اعلم ان اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة وقد ذكرنا ان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص بحسب ما فصلنا من آفات النكاح وفوايده فلذلك القول فيما نحن فيه فلنذكر اولا فوايد العزلة وهي تنقسم الي فوايد دينية ودنيوية والدينية تنقسم الي تمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة بالمواظبة علي العبادة والفكر وتربية العلم والي تخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض الانسان لها بالمخالطة كالرياء والغيبة والسكوت عن الامر بالمعروف ومسارقة الطبع من الاخلاق الردية والاعمال الخبيثة من الجلساء السوء واما الدنيوية فتنقسم الي تمكن من التحصيل بالخلوة ليمكن المحترف في خلوته والي تخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة كالنظر الي زهرة الدنيا واقبال الخلق عليها وطمعه في الناس وطمع الناس فيه وانكشاف ستر مروته بالمخالطة والتاذي بسوء خلق الجليس في مرائه او سوء ظنه او نميمته او محاسدته او التاذي بسوء خلقته ونقله فالي هذا ترجع مجامع فوايد العزلة فلنحصرها في ستة فوايد

الفايدة الاولي الفراغ للعبادة والفكر والاستيناس بمناجاة الله تعالي عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف اسرار الله في امر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والارض فان ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة اليه ولهذا قال بعض العلماء لا يتمكن احد من الخلوة الا بالتمسك بكتاب الله تع والمتمسكون بكتاب الله تع هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذاكرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله ولا شك في ان هولاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر فالعزلة اولي بهم ولذلك كان صلى الله عليه وسلم في ابتداء امره يتبتل في جبل حراء ويعتزل اليه حتى قوي فيه نور النبوة وكان الخلق لا يحجبه عن الله تعالي حتى كان الناس يظنون ان ابا بكر خليله فاخبر عن استغراق همه بالله تعالي فقال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا لكن صاحبكم خليل الله تعالى ولن يتسع للجمع بين مخالطة الخلق ظاهرا والاقبال علي الله سرا الا قوة النبوة فلا ينبغي ان يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك ولا يبعد ان ينتهي درجة بعض الاولياء اليه فقد نقل عن الجنيد انه قال انا اكلم الله منذ ثلثين سنة والناس يظنون اني اكلمهم وهذا انما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا لا يبقي لغيره متسع وذلك غير منكر ففي المشتهرين بحب الخلق من يخالط الناس

ببدنه وهو لا يدري ما يقول وما يقال له لفرط عشقه لمحبوبه بل الذي دهاه لم يشوش عليه امر من امور دنياه قد استغرقه الهم بحيث يخالط الناس ولا يجيبهم ولا يسمع اصواتهم لشدة استغراقه وامر الآخرة اعظم عند العقلاء فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الاولى بالاكثرين الاستعانة بالعزلة ولذلك قيل لبعض الحكماء ما الذي اراد وا بالخلوة واختيار العزلة فقال ليستديموا بذلك دوام الفكرة وتثبت العلوم في قلوبهم ليحيوا حيوة طيبة ويذوقوا حلاوة المعرفة وقيل لبعض الرهبان ما اصبرك على الوحدة فقال لها انا وحدي انا جليس الله تعالى اذا شئت ان يناجيني قرات كتابه واذا شئت ان اناجيه صليت وقيل لبعض الحكماء الي اي شئ افضى بكم الزهد والخلوة فقال الى الانس بالله وقال سفيان بن عيينة لقيت ابرهيم بن ادهم في بلاد الشام فقلت له يا ابرهيم تركت خراسان قال ما تهنات بالعيش الا ههنا افر بديني من شاهق الي شاهق فمن رآني يقول موسوس او حمال او ملاح وقيل لغزوان الرقاشي هبك لا تضحك فما يمنعك من مجالسة اخوانك فقال اني اصبت راحة قلبي في مجالسة من اعده وقيل للحسن يا ابا سعيد ههنا رجل لم نره قط جالسا الا وحده خلف سارية فقال الحسن اذا رايتموه فاخبروني به فنظروا اليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي اخبرناك به واشاروا اليه فمضى اليه الحسن وقال له يا ابا عبد الله اراك قد حببت اليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس فقال امر شغلني عن الناس فقال فما يمنعك ان تاتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن تجلس اليه فقال امر شغلني عن الناس وعن الحسن فقال له الحسن وما ذلك الشغل رحمك الله قال اني اصبح وامسي بين نعمة وذنب فرايت ان اشغل نفسي بشكر الله على النعمة والاستغفار من الذنب فقال له الحسن انت يا عبد الله افقه عندي من الحسن وقيل بينما اويس القرني جالس اذ اتاه هرم بن حيان فقال له اويس ما جاء بك قال جئت لآنس بك فقال اويس ما كنت ارى احدا يعرف ربه فيانس بغيره وقال الفضيل اذا رايت الليل مقبلا فرحت به وقلت اخلو بربي واذا رايت الصبح ادركني استرجعت كراهة لقاء الناس وان يجيء من يشغلني عن ربي وقال عبد الواحد بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة قيل له وكيف ذلك قال يناجي الله في الدنيا ويجاوره في الآخرة وقال ذو النون المصري سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة ربه وقال مالك بن دينار من لم يانس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمي قلبه وضاع عمره وقال ابن المبارك ما احسن حال من انقطع الى الله تعالى ويروى عن بعض الصالحين

انه قال بينما انا اسير في بعض بلاد الشام اذا انا بعابد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر
الي تنحى الي اصل الشجرة وتستر بها فقلت سبحان الله تبخل علي بالنظر اليك فقال يا هذا اني اقمت
في هذا الجبل دهرا طويلا اعالج قلبي في الصبر عن الدنيا واهلها فطال في ذلك تعبي وفني
فيه عمري فسالت الله تعالي ان لا يجعل حظي من ايامي في مجاهدة قلبي فسكنه الله عن
الاضطراب والفه الوحدة والانفراد فلما نظرت اليك خفت ان اقع في الامر الاول فاليك
عني فاني اعوذ من شرك برب العارفين وحبيب القانتين ثم صاح واعماه من طول المكث
في الدنيا ثم حول وجهه عني ثم نفض يديه وقال اليك عني يا دنيا لغيري فتزيني واهلك فغري
ثم قال سبحان من اذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع اليه ما الهى
قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان فاذن في الخلوة انس بذكر الله واستكثار
لمعرفة الله وفيه قيل واني لاستغشي وما بي نعسة لعل خيالا منك يلقى خياليا واخرج من بين
الجلوس لعلني احدث عنك النفس بالسر خاليا ولذلك قال بعض الحكماء انما يستوحش
الانسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ ملاقاة الناس ويطرد الوحشة
عن نفسه فاذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها علي الفكر ويستخرج العلم
والحكمة وقيل الاستيناس بالناس من علامات الافلاس فاذن هذه فايدة جزيلة لكن
في حق بعض الخواص ومن تيسر له بدوام الذكر الانس بالله او بدوام الفكر التحقق في معرفة الله
تعالي فالتجرد له افضل من كل ما يتعلق بالمخالطة فان غاية العبادات وثمرة المعاملات
ان يموت الانسان محبا لله عارفا بالله ولا محبة الا بالانس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة
الا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة الفايدة الثانية
التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي
اربعة الغيبة والرياء والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من
الاخلاق الردية والاعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص علي الدنيا اما الغيبة فاذا عرفت في كتاب
آفات النفس من المهلكات وجوهها عرفت ان التحرز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها
الا الصديقون فان عادة الناس كافة التمضمض باعراض الناس والتفكه بها والتنقل بحلاوتها
في طعمتهم ولذتهم اليها يستروحون من وحشتهم في الخلوة فان خالطتهم ووافقت
اثمت وتعرضت لسخط الله وان سكت كنت شريكا والمستمع احد المغتابين وان انكرت ابغضك

فتركوا ذلك المغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة الي الغيبة وربما زادوا علي الغيبة وانتهوا الي الاستخفاف
والشتم واما الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من اصول الدين وهو واجب كما سياتي بيانه
في هذا الربع ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فان سكت عصى الله به وان
انكر تعرض لانواع من الضرر وربما يجره طلب الخلاص منه الي معاص اكبر مما نهى عنه ابتداء وفي العزلة
خلاص منه فان الامر في اهماله شديد والقيام به شاق وقد قام ابو بكر رضي الله عنه خطيبا وقال
ايها الناس انكم تقرؤون هذه الآية يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
وانتم تضعونها في غير مواضعها واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا راى الناس
المنكر فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله بعقاب وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله ليسال العبد حتى
يقول ما منعك اذ رايت المنكر في الدنيا ان تنكره فاذا لقن الله عبدا حجته فيقول يا رب رجوتك
وخفت الناس وهذا اذا خاف من ضرب او من لا يطاق ومعرفة حدود ذلك مشكل وفيه خطر
وفي العزلة خلاص وفي الامر بالمعروف اثارة للخصومات وتحريك لغوائل الصدور كما قيل وكم
سقت في آثاركم من نصيحة وقد يستفيد البغضة المستنصح ومن جرب الامر بالمعروف ندم عليه
غالبا فانه كجدار مايل يريد الانسان ان يقيمه فيوشك ان يسقط عليه فاذا سقط عليه فيقول
ليتني تركته مايلا نعم لو وجدوا اعوانا امسكوا الحايط حتى يحكموه بدعامة استقام وانت اليوم لا تجد
الاعوان فدعهم وانج براسك واما الريا فهو الداء العضال الذي يعسر على الاوتاد والابدال الاحتراز
عنه وكل من خالط الناس داراهم ومن داراهم راءاهم ومن راءاهم وقع فيما وقعوا وهلك كما هلكوا
واقل ما يلزم فيه النفاق فانك ان خالطت متعاديين ولم تلق كل واحد بوجه يوافقه صرت بغيضا
اليهما جميعا وان جاملتهما كنت من شرار الناس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من شرار الناس
ذا الوجهين الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه واقل ما يجب في مخالطة الناس اظهار الشوق
والمبالغة فيه ولا يخلو ذلك عن كذب اما في الاصل واما في الزيادة واظهار الشفقة بالسؤال
عن الاحوال فقولك كيف انت وكيف اهلك وانت في الباطن فارغ القلب من همومه نفاق
محض قال السري لو دخل علي اخ لي فسويت لحيتي بيدي لدخوله خشيت ان اكتب في جريدة
المنافقين وكان الفضيل جالسا وحده في المسجد الحرام فجاء اليه اخ له فقال له ما جاء بك
قال المؤانسة يا ابا علي قال هي والله بالمواحشة اشبه هل تريد الا ان تتزين لي واتزين لك
وتكذب لي واكذب لك اما ان تقوم عني واما ان اقوم عنك وقال بعض العلماء ما احب الله عبدا

الا احب ان لا يشعروه ودخل طاوس على الخليفه هشام فقال كيف انت يا هشام فغضب عليه وقال
لم لم يخاطبني بامير المومنين فقال لان جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك فخشيت ان اكون
كاذبا فمن امكنه ان يحترز هذا الاحتراز فليخالط الناس والا فليرض باثبات اسمه في جريدة
المنافقين فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون في قولهم كيف اصبحت وكيف حالك وفي
الجواب عنه وكان سوالهم عن احوال الدين لا عن احوال الدنيا قال حاتم الاصم لحامد اللفاف
كيف انت في نفسك قال سالم معافى فكره حاتم جوابه فقال يا حامد السلامة من وراء الصراط
والعافيه في الجنه وكان اذا قيل لعيسى صلوات الله عليه كيف اصبحت قال اصبحت لا املك
تقديم ما ارجو ولا استطيع دفع ما احاذر واصبحت مرتهنا بعمل والخير كله في يد غيري فلا فقير
افقر مني وكان الربيع بن خيثم اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحنا ضعفاء مذنبين نستوفي
ارزاقنا وننتظر آجالنا وكان ابو الدرداء اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحت بخير ان نجوت
من النار وكان سفيان الثوري اذا قيل له كيف اصبحت يقول اصبحت اشكو ذا الى ذا
واذم ذا الى ذا وافر من ذا الى ذا وقيل لاويس القرني كيف اصبحت فقال كيف يصبح رجل اذا
امسى لا يدري انه يصبح واذا اصبح لا يدري انه يمسي وقيل لمالك بن دينار كيف اصبحت قال
اصبحت لا ارضى حيوتي لمماتي ولا نفسي لربي وقيل لحكيم كيف اصبحت قال اصبحت آكل
رزق ربي واطيع عدوه ابليس وقيل لمحمد بن واسع كيف اصبحت قال ما ظنك برجل يرحل
كل يوم مرحلة الى الآخرة وقيل لحامد اللفاف كيف اصبحت فقال اصبحت اشتهي عافية
يوم الى الليل فقيل له الست في عافية كل الايام فقال العافية يوم لا اعصي الله فيه وقيل
لرجل وهو يجود بنفسه ما حالك فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ويدخل قبرا موحشا
بلا مونس وينطلق الى ملك عادل بلا حجة وقيل لحسان بن سنان ما حالك قال ما حال
من يموت ثم يبعث ثم يحاسب وقال ابن سيرين لرجل كيف حالك فقال وما حال من عليه
خمس مائة درهم دينا وهو معيل فدخل ابن سيرين منزله فاخرج له الف درهم فدفعها اليه
وقال خمس مائة فاقض بها دينك وخمس مائة عد بها على عيالك ولم يكن عنده غيرها ثم قال
والله لا اسال احدا من حاله ابدا وانما فعل ذلك لانه خشي ان يكون سواله عن غير اهتمام
بامره فيكون مرائيا منافقا فقد كان سوالهم عن امور الدين واحوال القلب في معاملة الله
وان سالوا عن امور الدنيا فعن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحال قال بعضهم اني

لاعرف اقواما كانوا لا يتلاقون ولو حكم احدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لم يمنعه واري الآن اقواما
يتلاقون ويسالون حتى عن الدجاجة في البيت ولو انبسط احدهم لحبه من ماله لمنعه فهل هذا
الا مجرد الرياء والنفاق وآية ذلك انك ترى هذا يقول كيف انت ويقول الآخر كيف انت فالسائل
لا ينتظر الجواب والمسئول يشتغل بالسؤال ولا يجيب وذلك لمعرفتهم بان ذلك عن رياء وتكلف
ولعل القلب لا يخلو عن ضغائن واحقاد والالسنة مطلقة بالسؤال قال الحسن انما كانوا
يقولون السلام عليك اذا سلمت القلوب فاما الآن كيف اصبحت عافاك الله كيف انت اصلحك
الله فان اخذنا بقولهم كانت بدعة لا ولا كرامة فان شاؤا غضبوا علينا وان شاؤا الا انما
قال ذلك لان البداية بقولك كيف اصبحت بدعة قال رجل لابي بكر بن عياش كيف اصبحت فما
اجابه وقال دعونا من هذه البدعة وقالوا انما حدث هذا في زمان الطاعون الذي كان يدعى
طاعون عمواس بالشام من الموت الذريع كان الرجل يلقاه اخوه غدوة فيقول كيف اصبحت
من الطاعون ويلقاه عشية فيقول كيف امسيت والمقصود ان الالتقاء في غالب العادات
ليس يخلو عن انواع من التصنع والرياء والنفاق وكل ذلك مذمومات بعضها محظورات وبعضها
مكروهة وفي العزلة الخلاص منها فان من لقي الخلق ولم يخالقهم باخلاقهم مقتوه واستثقلوه
واغتابوه وتشمروا لايذائه فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودنياه في الانتقام منهم واما
مسارقة الطبع لما يشاهده من اخلاق الناس واعمالهم فهو داء دفين قلما يتنبه له العقلاء
فضلا عن الغافلين فلا يجالس الانسان فاسقا مدة مع كونه منكرا عليه في باطنه الا ولو قاس
نفسه الى ما قبل مجالسته ادرك بينهما تفرقة في النفرة عن الفساد واستثقاله اذ يصير الفساد
بكثرة المشاهدة هينا على الطبع ويسقط وقعه واستعظامه منه وانما الوازع عنه شدة وقعه
في القلب فاذا صار مستصغرا بطول المشاهدة اوشك ان تنحل القوة الوازعة ويذعن
الطبع للميل اليه او لما دونه ومهما طالت مشاهدته للكبائر من غيره استحقر الصغائر من
نفسه ولذلك يزدري الناظر الى الاغنياء نعمة الله عليه فيؤثر مجالستهم في ان يستصغر ما عنده
ويؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما اتيح له من النعم فكذلك النظر الى المطيعين
والعصاة هذا تاثيره في الطبع فمن يقصر نظره على ملاحظة احوال الصحابة والتابعين
في العبادة والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار والى عبادته بعين
الاستحقار وما دام يرى نفسه مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال

واستيهاما للاقتدا، ومن نظر الي احوال اهل الزمان واعراضهم عن الله تع واقبالهم على الدنيا
واعتيادهم للمعاصي استعظم امر نفسه بادني رغبة في الخير يصادفها في قلبه وذلك هو الهلاك
ويكفي في تغيير الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلا من مشاهدته وبهذه الدقيقه يعرف سر قوله
صلى الله عليه وسلم عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة فانما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله وليس تنزل
عند الذكر عينه ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتداء بهم
والاستنكاف عما هو ملابس له من القصور والتقصير ومبدا الرحمة فعل الخير ومبدا فعل
الخير الرغبه ومبداء الرغبه ذكر احوال الصالحين فهذا معنى نزول الرحمة والمفهوم من فحوى
هذا الكلام ان عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لان كثرة ذكرهم يهون على الطبع امر المعاصي
واللعنة هي البعد ومبداء البعد من الله تعالى هو المعاصي والاعراض عن الله تع بالاقبال
على الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه المشروع ومبداء المعاصي سقوط
ثقلها وتفاحشها من القلب ومبداء سقوط الثقل وقوع الانس بها بكثرة السماع واذا
كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم بل صرح به رسول الله صلى الله عليه
وسلم حيث قال مثل الجليس السوء كمثل القين ان لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه فكما
ان الريح يعلق بالثوب ولا يشعر به فلذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر وقال
مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك ان لم يهب لك منه تجد ريحه ولهذا اقول من عرف
من عالم زلة حرم عليه حكايته لعلتين احديهما انه غيبة والثانية وهي اعظمهما ان حكايته
يهون على المستمعين امر تلك الزلة ويسقط من قلوبهم استعظامها والاقدام عليه فيكون
ذلك سببا لتهوين تلك المعصية فانه مهما وقع فيه فاستنكر ذلك دفع الاستنكار وقال كيف
يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون الي مثله حتى العلماء والعباد ولو اعتقد ان مثل ذلك
لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه موفق معتبر لشق عليه الاقدام فكم من شخص يتكالب
على الدنيا ويحرص على جمعها ويتهالك على حب الرياسة وتزيينها ويهون على نفسه قبحها
بان الصحابة رضي الله عنهم لم ينزهوا عن حب الرياسة وربما يستشهد عليه بقتال علي ومعوية
رضي الله عنهما ويخمن في نفسه بان ذلك لم يكن طلب للحق بل طلب الرياسة فهذا الاعتقاد الخطا
يهون عليه ارتكاب المعاصي في ابتغاء الرياسة والطبع اللئيم يميل الى اتباع الهفوات
والاعراض عن الحسنات بل الي تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتنزيل على مقتضى الشهوة

لمللهم وهي من دقائق مكايد الشيطان ولذلك وصف الله تعالى المراعين للشيطان فقال تعالى
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضرب صلى الله عليه وسلم لذلك مثلا قال مثل الذي
يجلس يستمع الحكمة ثم لا يحمل الا شر ما يسمع كمثل رجل اتى راعيا فقال له يا راعي اجزرني شاة
من غنمك قال اذهب فخذ خير شاة منها فذهب فاخذ باذن كلب الغنم وكل من سعل هفوات
الائمة ايضا فهذا مثاله ايضا ومما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته
ان اكثر الناس اذا راوا مسلما افطر في نهار رمضان استبعدوه استبعادا يكاد ينتهي الى اعتقادهم
كفره وقد يشاهدون من يخرج صلوات عن اوقاتها فلا ينفر عنها طباعهم كنفرتهم عن تاخير الصوم
مع ان صلوة واحدة لو تركها يستحق تاركها الكفر عند قوم وحز الرقبة عند قوم وترك صوم رمضان
لا يقتضيه ولا سبب له الا ان الصلوة يتكرر والتساهل فيها مما يكثر فسقط وقعها بالمشاهدة عن
القلب وكذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرير او شرب من اناء من فضة استبعدته النفوس واشتد
انكارها وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم الا بما هو اغتياب للناس ولا يستبعد منه والغيبة
اشد من الزنا فكيف لا يكون اشد من لبس الحرير ولكن كثرة مشاهدة الغيبة والمغتابين اسقط
وقعها عن القلوب وهون على النفس امرها فتفطن لهذه الدقائق وفر من الناس فرارك
من الاسد فانك لا تشاهد منهم الا ما يزيد في حرصك على الدنيا وغفلتك عن الآخرة ويهون
عليك المعصية ويضعف رغبتك في الطاعة فان وجدت جليسا يذكرك الله رؤيته وصورته وسيرته
فالزمه ولا تفارقه واغتنمه ولا تستحقره فانها غنيمة العاقل وضالة المؤمن وتحقق ان الجليس الصالح
خير من الوحدة وان الوحدة خير من الجليس السوء ومهما فهمت هذه المعاني ولاحظت طبعك
والتفت الى حال من اردت مخالطته لم يخف عليك ان الاولى التباعد عنه بالعزلة او التقرب اليه
بالخلطة واياك ان تحكم مطلقا على العزلة او الخلطة بان احدهما اولى اذ كل مفصل فاطلاق
القول فيه بلا او نعم خلف محض ولا حق في المفصل الا التفصيل **الفائدة الثالثة** الخلاص من
الفتن والخصومات وصيانة النفس والدين عن الخوض فيها والتعرض لاخطارها وقل ما تخلو
البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات والمعتزل عنهم في سلامة منها قال عبد الله بن عمرو بن
العاص لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتن ووصفها وقال اذا رايت الناس قد مرجت عهودهم
وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه فقلت فما تامرني فقال الزم بيتك واملك عليك
لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة ودع عنك امر العامة وروى ابو سعيد الخدري

ان النبي صلي الله عليه وسلم قال يوشك ان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعاب الجبال ومواقع
القطر يفر بدينه من الفتن وروي عبد الله بن مسعود انه صلي الله عليه وسلم قال ليأتي علي الزمان
زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من قرية الي قرية ومن شاهق الي شاهق ومن حجر الي
حجر كالثعلب الذي يروغ قيل ومتي ذلك يا رسول الله قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله فاذا كان
ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذاك يا رسول الله وقد امرتنا بالتزويج قال اذا كان ذلك الزمان
كان هلاك الرجل علي يدي ابويه فان لم يكن له ابوان فعلي يدي زوجته وولده فان لم يكن فعلي
يدي قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتي يورده
موارد الهلكة وهذا الحديث وان كان في العزوبة فالعزلة مفهوم منها اذ لا يستغني المتاهل عن
المعيشة والمخالطة ثم لا ينال المعيشة الا بمعصية الله ولست اقول هذا اوان ذلك الزمان فلقد
كان هذا باعصار قبل هذا العصر ولاجله قال سفيان الثوري والله لقد حلت العزلة وقال
ابن مسعود ذكر رسول الله صلي الله عليه وسلم الفتنة وايام الهرج قلت وما الهرج قال حين لا يامن
الرجل جليسه قلت فبم تامرني ان ادركت ذلك الزمان قال كف نفسك ويدك وادخل دارك قال
قلت يا رسول الله ان دخل علي داري قال فادخل بيتك قلت ان دخل علي بيتي قال فادخل مسجدك
واصنع هكذا وقبض علي الكوع وقل ربي الله حتي تموت وقال سعد لما دعي الي الخروج ايام معوية
قال لا الا ان تعطوني سيفا له عينان بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فاقتله وبالمؤمن فاكف
عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا علي محجة بيضاء فبيناهم كذلك يسيرون اذ هاجت ريح
عجاجة فضلوا الطريق والتبس عليهم فقال بعضهم الطريق ذات اليمين فاخذوا فيها فتاهوا وضلوا
وقال بعضهم الشمال فاخذوا فيها فتاهوا واناخ آخرون وتوقفوا حتي ذهبت الريح وتبين الطريق
فسلموا وجماعة فارقوا الفتن ولم يخالطوا الا بعد زوال الفتن وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه لما بلغه
ان الحسين رضي الله عنه توجه الي العراق فلحقه علي مسيرة ثلثة ايام قال له اين تريد قال العراق
فاذا معه طوامير وكتب فقال هذه كتبهم وبيعتهم فقال لا تنظر الي كتبهم ولا تاتهم فابى فقال اني
محدثك حديثا ان جبريل اتي النبي صلي الله عليه وسلم فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة
علي الدنيا وانك بضعة من رسول الله صلي الله عليه وسلم والله ما يليها احد منكم ابدا وما صرفها
عنكم الا للذي هو خير لكم فابى ان يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال استودعك الله من قتيل وكان
في الصحابة عشرة الاف فما خف ايام الفتن اكثر من اربعين رجلا وجلس طاوس في بيته فقيل له

في ذلك فقال فساد الزمان وجفا الائمة ولما بني عروة قصره بالعقيق لزمه فقيل له لزمت القصر
وتركت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رايت مساجدكم لاهية واسواقكم لاغية والفاحشة
في فجاجكم عالية وفيما هناك عما انتم فيه عافية فاذن الحذر من الخصومات ومثارات الفتن احدى فوايد
العزلة الفايدة الرابعة الخلاص من شر الناس فانهم يوذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن
والتهمة ومرة بالاقتراحات والاطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها ومارة بالنميمة او الكذب فربما يرون
منك من الاعمال والاقوال ما لا يبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم تدخرونها لوقت تظهر
فيه فرصة الشر فاذا اعتزلتهم استغنيت عن التحفظ عن جميع ذلك ولذلك قال بعض الحكماء لغيره اعلمك
بيتا خيرا من عشرة آلاف درهم فقال ما هو فقال اخفض الصوت ان نطقت بليل والتفت بالنهار
قبل المقال ليس للقول رجعة حين يبدو بقبيح يكون او جمال ولا شك ان من اختلط بالناس
وشاركهم في اعمالهم لم ينفك من حاسد وعدو يسيء الظن به ويتوهم انه يستعد لمعاداته ونصب
المكيدة عنه ولدسيس غائلة وراءه فالناس مهما اشتد حرصهم على شيء يحسبون كل صيحة عليهم
وقد اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم الا الحرص قال المتنبي اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه
وصدق ما يعتاده من توهم وعادى محبيه بقول عداته واصبح في ليل من الشك مظلم وقيل
معاشرة الاشرار تورث سوء الظن بالاخيار وانواع الشر الذي يلقاه الانسان من معارفه ومن
يختلط به كثيرة لسنا نطول بتفصيلها ففيما ذكرناه اشارة الى مجامعها وفي العزلة خلاص من
جميعها والى هذا اشار اكثر من اختار العزلة فقال ابو الدرداء اخبر تقله وقال الشاعر من حمد
الناس ولم يبلهم ثم بلاهم ذم من يحمد وصار بالوحدة مستانسا يوحشه الاقرب والابعد
وقال عمر رضي الله عنه في العزلة راحة من الخليط السوء وقيل لعبد الله بن الزبير الا تاتي المدينة
قال ما بقي فيها الا حاسد بنعمة او فرح بنقمة وقال ابن السماك كتب صاحب لنا اما بعد فان
الناس كانوا دواء يتداوى بهم فصاروا داء لا دواء لهم ففر منهم فرارك من الاسد وكان بعض
الاعراب يلازم شجرا ويقول هو نديم فيه ثلاث خصال ان سمع مني لم ينم علي وان تفلت في وجهه
احتمل وان عربدت معه لم يغضب فسمع الرشيد ذلك فقال زهدني في الندماء وكان بعضهم
لزم الدفاتر والمقابر فقيل له في ذلك فقال لم ار اسلم من الوحدة ولا اوعظ من قبر ولا جليس
امتع من دفتر وقال الحسن اريد الحج فسمع ثابت البناني وهو ايضا من اولياء الله فقال بلغني
انك تريد الحج فاحببت ان نصطحب فقال له الحسن ويحك دعنا نعاشر بستر الله عز وجل اني

اخاف ان يصطحب فيري بعضنا من بعض ما تمامت عليه وهذه اشارة الي فايدة اخرى في العزلة
وهو بقاء الستر علي الدين والمروة والاخلاق والفقر وساير العورات وقد مدح الله سبحانه
وتعالي المتسترين فقال يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال الشاعر ولا عار ان زالت
عن الحر نعمه ولكن عارا ان يزول التجمل ولا يخلوا الانسان في دينه ودنياه واخلاقه وافعاله عن
عورات الاولي في الدين والدنيا سترها ولا يبقي السلامة مع انكشافها وقال ابو الدرداء كان
الناس ورقا لا شوك فيه فالناس اليوم شوك لا ورق فيه واذا كان هذا حكم زمانه وهو في
اواخر القرن الاول فلا ينبغي ان يشك في ان الاخير شر وقال سفيان بن عيينة قال لي سفيان
الثوري في اليقظة في حيوته وفي الممات بعد موته اقل من معرفة الناس فان التخلص منهم
شديد ولا احسب رايت ما يكره الا ممن عرفت وقال بعضهم جئت الي مالك بن دينار وهو
قاعد وحده واذا كلب قد وضع حنكه علي ركبته فذهبت اطرده فقال دعه يا هذا هذا لا يضر
ولا يؤذي وهو خير من الجليس السوء وقيل لبعضهم ما حملك علي ان يتركهم الناس قال خشيت
ان اسلب ديني ولا اشعر وهذا اشارة الي مسارقة الطبع من اخلاق القرين السوء وقال
ابو الدرداء اتقوا الله واحذروا الناس فانهم ما ركبوا ظهر بعير الا ادبروه ولا ظهر جواد الا عقروه
ولا قلب مومن الا اخربوه وقال بعضهم اقلل المعارف فانه اسلم لدينك وقلبك واخف لسقوط
الحقوق عنك لانه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع وقال بعضهم انكر من تعرف
ولا يتعرف الي من لا تعرف ولا تعرف الفايدة الخامسة ان ينقطع طمع الناس عنك وينقطع
طمعك عن الناس فاما انقطاع طمع الناس ففيه كل الجدوى فان رضا الناس غاية لا يدرك
فاشتغال المرء باصلاح نفسه اولي ومن اهون الحقوق وايسرها حضور الجنازة وعيادة
المريض وحضور الولايم والاملاكات وفيها تضييع الاوقات والتعرض للآفات ثم قد يعوق
عن بعضها العوايق ويستقل فيها المعاذير ولا يمكن اظهار كل الاعذار فيقولون مضيت
علي فلان وقصرت في حقي ويصير ذلك سبب معاداة فقد قيل من لم يعد مريضا في وقت العيادة اشتهي
موته خيفة من تخجيله اذا صح علي تقصيره ومن عم الناس بالحرمان رضوا كلهم ولو خصص استوحشوا
وتعميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه المتجرد له طول النهار والليل فكيف من له مهم يشغله في دين
او دنيا قال عمرو بن العاص كثرة الاصدقاء كثرة الغرماء وقال ابن الرومي عدوك من صديقك مستفاد
فلا تستكثرن من الصحاب فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب وقال الشافعي

اصل كل عداوة اصطناع المعروف الي اللئام واما انقطاع طمعك عنهم فهو ايضا فايدة جزيلة فان من نظر الي زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ولا يري الا الخيبة في اكثر الاطماع فيتاذى به ومهما اعتزل لم يشاهد واذا لم يشاهد لم يشتهه ولم يطمع ولذلك قال الله تعالى لا تمدن عينيك الي ما متعنا به ازواجا منهم وقال صلى الله عليه وسلم انظروا الي من هو دونكم ولا تنظروا الي من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وقال عون بن عبد الله كنت اجالس الاغنياء فلم ازل مغموما كنت اري ثوبا احسن من ثوبي ودابة افره من دابتي فجالست الفقراء فاسترحت وحكي ان المزني رحمه الله خرج من باب جامع الفسطاط وقد اقبل محمد بن الحكم في موكبه فبهره ما راي من حاله وحسن هيئته فتلا قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون ثم قال بلى اصبر وارضى وكان فقيرا مقلا فالذي هو في بيته لا يبتلى بمثل هذه الفتن فان من شاهد زينة الدنيا فاما ان يقوى دينه ويقينه فيصبر فيحتاج ان يتجرع مرارة الصبر وهو امر من الصبر او تنبعث رغبته فيحتال في طلب الدنيا فيهلك هلاكا مؤبدا اما في الدنيا فبالطمع الذي يخيب في اكثر الاوقات فليس كل من يطلب الدنيا تتيسر له واما في الآخرة فبايثاره متاع الدنيا علي ذكر الله تعالي والتقرب اليه ولذلك قال ابن الاعرابي اذا كان باب الذل من جانب الغنى سموت الي العليا من جانب الفقر اشار الي ان الطمع يوجب في الحال ذلا **الفايدة السادسة** الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ومقاساة خلقهم واخلاقهم فان رؤية الثقيل هو العمى الاصغر قيل للاعمش مم عمشت عينك قال من النظر الي الثقلاء ويحكي انه دخل عليه ابو حنيفة فقال له في الخبر ان من سلب الله كريمتيه عوضه عنهما ما هو خير منهما فما الذي عوضك فقال في معرض المطايبة عوضني عنهما انه كفاني رؤية الثقلاء وانت منهم وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت الي ثقيل مرة فغشي علي وقال جالينوس لكل شيء حمى وحمى الروح النظر الي الثقلاء وقال الشافعي ما جالست ثقيلا الا وجدت الجانب الذي يليه من بدني كانه اثقل علي من الجانب الآخر وهذه الفوايد ما سوي الاوليين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها تتعلق ايضا بالدين فان الانسان مهما تاذي برؤية ثقيل لم يلبث ان يغتابه وان يستنكر ما هو صنع الله واذا تاذى من غيره بغيبة او سوء ظن او محاسدة او نميمة او غيرها لم يصبر عن مكافاته وكل ذلك يجر الى فساد الدين وفي العزلة سلامة من جميع ذلك فليفهم **آفات العزلة** اعلم ان من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد من الاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك الا بالمخالطة فكل

ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة وفواتها من آفات العزلة فانظر الى فوايد المخالطة والدواعي
اليها ما هي التعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتادب والتاديب والاستيناس والايناس ونيل
الثواب وانالته في القيام بالحقوق او اعتياد التواضع او استفادة التجارب من مشاهدة الاحوال
والاعتبار بها فلينفصل ذلك فانها من فوايد المخالطة وهي سبعة الفايدة الاولى التعليم
والتعلم وقد ذكرنا فضلهما في كتاب العلم وهما اعظم العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك الا
بالمخالطة الا ان العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة وبعضها ضروري في الدنيا فالمحتاج الى التعلم
لما هو فرض عليه عاص بالعزلة وان تعلم الفرض وكان لا يتاتى منه الخوض في العلوم وراي الاشتغال
بالعبادة فليعتزل وان كان يقدر على البروز في علوم الشرع والعقل فالعزلة في حقه قبل التعلم
غاية الخسران ولهذا قال النخعي وغيره تفقه ثم اعتزل الناس ومن اعتزل قبل التعلم فهو في الاكثر
مضيع اوقاته بنوم او فكر في هوس وغايته ان يستغرق الاوقات باوراد يستوعبها فلا
ينفك في اعماله بالبدن والقلب عن انواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله من حيث لا يدري
ولا ينفك في اعتقاده في الله وفي صفاته عن اوهام يتوهمها ويانس بها وعن خواطر فاسدة
تعتريه فيها فيكون في اكثر اوقاته ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد فالعلم هو اصل
الدين فلا خير في عزلة العوام والجهال اعني من لا يحسن العبادة في الخلوة ولا يعرف جميع
ما يلزمه فيها فمثال النفس مثال مريض يفتقر الى طبيب متلطف ليعالجها فالمريض الجاهل
اذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل ان يتعلم الطب تضاعف لا محالة مرضه فلا يليق العزلة
الا بالعالم واما التعليم ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية المعلم والمتعلم ومهما كان القصد اقامة
الجاه والاستكثار بالاصحاب والاتباع فهو هلاك الدين وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم وحكم
العالم في هذا الزمان ان يعتزل ان اراد سلامة دينه فانه لا يرى مستفيدا يطلب فايدة لدينه
بل لا طالب الا لكلام مزخرف يستمال بها العوام في معرض الوعظ او لجدال يتعقد يتوصل به
الى افحام الاقران ويتقرب به الى السلطان ويستعمل في معرض المنافسة والمباهاة واقرب علم
مرغوب فيه المذهب ولا يطلب غالبا الا للتوصل به الى التقدم على الامثال وتولي الآيات
واجتلاب الاموال وهولاء كلهم يقتضي الدين والحزم الاعتزال عنهم فان صودف طالب لله
متقرب بالعلم الى الله فاكبر الكباير الاعتزال وكتمان العلم منه ولا يصادف في بلدة كثيرة
اكثر من واحد او اثنين ان صودف ولا ينبغي ان يغتر الانسان بقول سفيان تعلمنا العلم

لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله وان الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون الى الله وانظر الى
اواخر اعمال الاكثرين منهم واعتبرهم انهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا متكالبين عليها
او راغبون عنها او زاهدون فيها وليس الخبر كالمعاينة واعلم ان العلم الذي اشار اليه
سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الانبياء والصحابة فان فيها التخويف
والتهديد والتحذير وهي سبب لاثارة الخوف من الله تعالى فان لم يؤثر في الحال اثر في
المآل فاما الكلام والفقه المجرد الذي يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات
المذهب فيه والخلاف لا يرد فيه الراغب للدنيا الى الله تعالى بل لا يزال متماديا في حرصه
الى آخر عمره ولعل ما اودعناه هذا الكتاب ان تعلم المتعلم رغبة في الدنيا فيجوز ان يرخص فيه
اذ يرجى ان ينزجر به في آخر عمره فانه مشحون بالتخويف بالله والترغيب في الآخرة والتحذير
من الدنيا وذلك مما يصادف في الاحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف في كلام ولا في
خلاف ولا في مذهب فلا ينبغي ان يخادع الانسان نفسه فان المقصر العالم بتقصيره اسعد
من الجاهل المغرور او المتجاهل المفتون وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك ان يكون
غرضه القبول والجاه وحظه تلذذ النفس في الحال باستشعار الادلال على الجهال والتكبر
عليهم فآفة العلم الخيلاء كما قاله صلى الله عليه وسلم ولذلك حكي عن بشر انه دفن سبعة عشر
قمطرا من كتب الاحاديث التي سمعها وكان لا يحدث ويقول اني اشتهي ان احدث فلذلك
لا احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت ولذلك قال حدثنا باب من الدنيا واذا قال
الرجل حدثنا فانما يقول اوسعوا لي وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري نعم الرجل انت
لولا رغبتك في الدنيا قال وفيماذا رغبت قالت في الحديث ولذلك قال ابو سليمان الداراني
من تزوج او كتب الحديث او اشتغل بالسفر فقد ركن الى الدنيا وهذه آفات قد نبهنا
عليها في كتاب العلم والحزم الاحتراز بالعزلة وترك الاستكثار من الاصحاب ما امكن بل الذي
يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب له ان كان عاقلا في هذا الزمان ان يترك فلقد
صدق ابو سليمان الخطابي حيث قال دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال
ولا جمال اخوان العلانية اعداء السر اذا لقوك تملقوك واذا غبت عنهم سلقوك من اتاك
كان عليك رقيبا واذا خرج كان عليك خطيبا اهل نفاق ونميمة وغل وخديعة ولا تغتر
باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل المال والجاه وان يتخذوك سلما الى اوطارهم وحمارا في

حاجاتهم ان قصرت في غرض من اغراضهم كانوا اشد اعدائك ثم يعتدون ترددهم اليك دالة
عليك ويرونه حقا واجبا لذلك ويعزمون عليك ان تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادي
عدوهم وتنصر قرابتهم وخادمهم ووليهم وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها ويكون لهم تابعا
خسيسا بعد ان كنت متبوعا رئيسا ولذلك قيل اعتزال العامة مروة تامة فهذا معنى كلام
وان خالف بعض الفاظه وهو حق وصدق فانك ترى المدرسين في رق ادايم وتحت حق
لازم ومنة ثقيلة ممن تردد اليه فكانه يهدي تحفة اليه فيرى حقه واجبا عليه وربما لا يختلف
اليه ما لم يتكفل برزق له على الادرار ثم المدرس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك من ماله
فلا يزال مترددا الى ابواب السلاطين ويقاسي الذل والشدايد مقاساة المهين حتى يسر له
على بعض وجوه السحت مال الحرام ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه ويسترذله
الى ان يسلم اليه ما يقدره نعمه مستانفة من عنده عليه ثم يبقى في مقاساة القسمة على
اصحابه ان سوى بينهم مقته المبرزون ونسبوه الى الحمق وقلة التمييز والقصور عن درك
مصارفات الفضل والقيام في مقادير الحقوق بالعدل وان فاوت بينهم سلقه السفها
بالسنة حداد وثاروا عليه ثوران الاساود والاساد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا
وفي مظالم ما ياخذه ويفرقه في العقبى والعجب انه مع هذا البلاء كله يمني نفسه بالاباطيل
وتدلة حبل الغرور ويقول لها لا تفتري عن صنعتك فانما انت بما تفعله مريد وجه الله
ومدوم شرع رسول الله وناشر علم دين الله وقايم بكفاية طلاب العلم من عباد الله واموال
السلاطين لا مالك لها وهي مرصدة للصالح واي مصلحة اكثر من تكثير اهل العلم فبهم يظهر
الدين ويتقوى اهله ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بادنى تامل ان فساد الزمان سببه لا
له الا كثرة امثال اوليك الفقهاء الذين ياكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحرام والحلال
فيلحظهم اعين الجهال ويستجري على المعاصي استجرايهم اقتداء بهم واقتفاء لاثارهم ولذلك
قيل ما فسدت الرعية الا بفساد الملوك وما فسد الملوك الا بفساد العلماء فنعوذ بالله
من الغرور والعمى فانه الداء الذي ليس له دواء. الفايدة الثانية النفع والانتفاع
اما الانتفاع فبالكسب والمعاملة وذلك لا يتاتى الا بالمخالطة والمحتاج اليه مضطر الى ترك
العزلة فيقع في جهاد من المخالطة ان طلب موافقة الشرع فيما ذكرناه في كتاب الكسب
وان كان معه مال لو اكتفى به قانعا لاقتنعه فالعزلة افضل له اذ فسدت طرق المكاسب في

الاكثر الامن العاصي الا ان يكون غرضه الكسب للصدقة فاذا اكتسب من وجهه وتصدق فهو
افضل من العزلة للاشتغال بالنافلة وليس بافضل من العزلة للاشتغال بالتحقق في معرفة
الله ومعرفة علوم الشرع ولا من الاقبال بكنه الهمة على الله تعالى والتجرد به لذكر الله اعني من
حصل له انس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة لا عن اوهام وخيالات فاسدة واما النفع
فهو ان ينفع الناس اما بماله او ببدنه فيقوم بحاجاتهم علي سبيل الحسبة ففي النهوض بقضاء
حوائج المسلمين ثواب وذلك لا ينال الا بالمخالطة ومن قدر عليه مع القيام بحدود الشرع
فهو افضل له من العزلة ان كان لا يشتغل في عزلته الا بنوافل الصلوات والاعمال البدنية
وان كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر او فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة
الفائدة الثامنة التأديب والتأدب ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة
في تحمل اذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة وهو
افضل من العزلة في حق من لم يهذب اخلاقه ولم يذعن لحدود الشرع شهواته ولهذا انتدب
خدام الصوفية في الرباطات فيخالطون الناس لخدمتهم واهل السوق للسؤال منهم كسرا لرعونة
النفس واستمدادا من بركة دعاء الصوفية المنصرفين بهمتهم الى الله تعالى كان هذا هو المبدأ
في الاعصار الخالية والان قد خالطته الاغراض الفاسدة ومال ذلك عن القانون كما مال
ساير شعاير الدين فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكثر بالاستتباع والتذرع الى جمع
المال والاستظهار بكثرة الاتباع فان كانت النية هذا فالعزلة خير منه ولو الى القبر وان
كانت النية رياضة النفس فهو خير من العزلة في حق المحتاج الى الرياضة وذلك مما يحتاج اليه
في بداية الارادة فبعد حصول الارتياض ينبغي ان يفهم ان الدابة لا يطلب من رياضتها عين
رياضتها بل المراد منها ان يتخذ مركبا تقطع به المراحل ويطوى على ظهره الطريق والبدن
مطية القلب يركبها ليسلك بها طريق الاخرة وفيها شهوات ان لم يكسرها جمحت به في الطريق
فمن اشتغل طول العمر بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها فلا يستفيد
منها الا الخلاص في الحال من عضها ورفسها وجمحها وهي لعمري فائدة مقصودة ولكنها حاصلة
من البهيمة الميتة وانما تراد الدابة لفائدة تحصل من حركتها فكذلك الخلاص عن اكثر الشهوات
في الحال حاصل بالنوم والموت فلا ينبغي ان يقنع بها كالراهب الذي قيل له يا راهب
فقال ما انا براهب انما انا كلب حبست نفسي حتى لا اعقر الناس وهذا حسن بالاضافة الى

من يعقل ولكن لاينبغي ان يقتصر عليه فان من تكمل نفسه ايضا لم يعقل الناس ايضا بل ينبغي
ان يتشوق الي الغاية المقصودة بها ومن فهم ذلك واهتدي الي الطريق وقدر علي السلوك
استبان له ان العزلة اعون عليه من المخالطة فالافضل لمثل هذا الشخص المخالطة
اولا والعزلة آخرا واما التاديب فانما نعني به ان يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم فانه
لايقدر علي تهذيبهم الا بمخالطتهم وحاله حال المعلم وحكمه حكمه ويتطرق اليه من دقايق
الآفات والرياء ما يتطرق الي نشر العلم الا ان مخايل طلب الدنيا من المريدين الطالبين
للارتياض ابعد منها من طلبة العلم ولذلك ترى فيهم قلة وفي طلبة العلم كثرة فينبغي ان
تقيس ما تيسر له من الخلوة بما تيسر له من المخالطة وتهذيب القوم ولتقابل احدهما بالآخر
ولتؤثر الافضل وذلك يدرك بدقيق الاجتهاد ويختلف بالاحوال والاشخاص فلا يمكن الحكم
عليه مطلقا بنفي واثبات الفايدة الرابعة الاستيناس والايناس وهو غرض من
يحضر الولايم والدعوات ومواضع المعاشرة والانس وهذا يرجع الي حظ النفس في الحال
وقد يكون ذلك علي وجه حرام كموانسة من لايجوز موانسته او علي وجه مباح وقد يستحب ذلك
لامر الدين وذلك فيمن يستانس بمشاهدة احواله واقواله في الدين كالانس بالمشايخ الملازمين
لسمت التقوى وقد يتعلق بحظ النفس ويستحب اذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعي
النشاط في العبادة فان القلوب اذا اكرهت عميت ومهما كان في الوحدة وحشة وفي
المجالسة انس يروح القلب فهي اولى اذ الرفق في العبادة من حزم العبادة ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم ان الله لايمل حتى تملوا وهذا امر لا يستغنى عنه فان النفس لا تالف الحق
علي الدوام مالم تروح في تكليفها وفي تكليفها الملازمة تنفير عن الدين ومن شاد هذا
الدين يغلبه فان الدين متين والايغال فيه برفق داب المستبصرين ولذلك قال ابن عباس
لولا مخافة الوسواس لم اجالس الناس وقال مرة لدخلت بلادا لا انيس بها فلا يستغني
المعتزل اذن عن رفيق يستانس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليلة ساعة فليجتهد في
طلب من لايفسد في ساعته تلك عليه ساير ساعاته فقد قال صلى الله عليه وسلم المرء علي
دين خليله فلينظر من يخالل وليحرص ان يكون حديثه عند اللقاء في امور الدين وحكاية
احوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات علي الحق والاهتداء الي الرشد ففي ذلك متنفس
ومستروح للنفس وفيه مجال لكل مشغول باصلاح نفسه فانه لاينقطع شكواه ولو عمر اعمارا

طويله والراضي عن نفسه مغرور قطعا فهذا النوع من الاستيناس في بعض اوقات النهار
ربما يكون افضل من العزلة في حق بعض الاشخاص فليتعهد فيه احوال القلب واحوال
الجليس اولا. المجالس الفائدة الخامسة في نيل الثواب وانالته اما النيل فبحضور
الجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين اما حضور الجمعة فلا بد منها وحضور الجماعة
في ساير الصلوات ايضا لا رخصة في تركها الا لخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضيلة
الجماعة ويزيد عليه وذلك لا يتفق الا نادرا وكذلك في حضور الاملاكات والدعوات ثواب من
حيث انه ادخال سرور على قلب مسلم واما انالته فهو ان يفتح الباب ليعوده الناس او يعزوه
في المصايب او يهنوه على النعم فانهم ينالون به ثوابا ولذلك اذا كان من العلماء واذن لهم
في الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالتمكين سببا فيه فينبغي ان يزن ثواب هذه المخالطات
بآفاتها التي ذكرناها وعند ذلك قد يترجح العزلة وقد يترجح المخالطة فقد حكي عن جماعة
من السلف مثل مالك وغيره ترك اجابة الدعوات وعيادة المرضى والجنائز بل كانوا احلاس
بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة وزيارة القبور وبعضهم فارق الامصار وانحاز الى قلل الجبال
تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل الفائدة السادسة من المخالطة التواضع فانه من
افضل المقامات ولا يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة فقد روي
في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى ظن انه نال
عند الله منزلة فاوحى الله الى نبيه قل لفلان انك قد ملات الارض نفاقا واني لا اقبل من
نفاقك شيئا قال فتخلى وانفرد في سرب تحت الارض قال الان قد بلغت محبة ربي فاوحى
الله الى نبيه انك لم تبلغ رضاي فدخل الاسواق وخالط العامة وجالسهم وواكلهم واكل الطعام
بينهم ومشى في الاسواق معهم فاوحى الله اليه الان قد بلغت رضاي فكم من معتزل في بيته
وباعثه التكبر ومانعه عن المحافل ان لا يوقر ولا يقدم او يرى الترفع عن مخالطتهم ارفع لمحله
وابقى لطراوة ذكره بين الناس وقد يعتزل خيفة من ان تظهر مقابحه لو خالط الناس فلا
يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ من البيت سترا على مقابحه ابقاء على
اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر او فكر وعلامة هؤلاء
انهم يحبون ان يزاروا ولا يحبون ان يزوروا ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين اليهم واجتماعهم
على بابه وطرقه وتقبيلهم يده على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي بغض اليه

المخالطة بزيارة الناس لبعض اليه زيارتهم له كما حكينا عن الفضيل حيث قال وهل جئتني الا
لازين لك وتزين لي وعن حاتم الاصم اذ قال للامير الذي زاره حاجتي ان لا اراك ولا يراني فمن
ليس مشغولا مع نفسه بذكر الله فاعتزاله عن الناس بسبب شدة اشتغاله بالناس لان قلبه متجرد
للالتفات الي نظرهم اليه بعين الوقار والاحترام والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه منها
ان التواضع والمخالطة لا تنقص عن منصب من هو كثير بعلمه او دينه اذ كان علي رضي الله عنه
يحمل التمر والملح في ثوبه ويده ويقول لا ينقص الكامل من كماله ما جر من نفع الي عياله وابو هريرة
وحذيفة وابن مسعود كانوا يحملون حزمة الحطب وجراب الدقيق علي اكتافهم وكان ابو هريرة
وهو والي والحطب علي راسه طرقوا لاميركم وكان سيد المرسلين عليه الصلوة والسلم يشتري
الشيء فيحمله الي بيته بنفسه فيقول صاحبه اعطني فيقول صاحب الشيء احق بحمله وكان
الحسين بن علي مر بالسوال وبين ايديهم كسر فيقولوا هلم الي الغداء يا ابن رسول الله فكان
يجلس علي الطريق ويأكل معهم ثم يركب ويقول ان الله لا يحب المستكبرين الوجه الثاني ان الذي
شغل نفسه بطلب رضاء الناس عنه وتحسين اعتقادهم مغرور لانه لو عرف حق المعرفة لعلم
ان الخلق لا يغني عنه من الله شيئا وان ضره ونفعه بيد الله فلا نافع ولا ضار سواه وان من
طلب رضاء الناس ومحبتهم بسخط الله عليه واسخط عليه الناس بل رضا الناس غاية لا ينال
ورضا الله اولى بالطلب ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه ليونس بن عبد الاعلي والله ما اقول
لك الا نصحا انه ليس الي السلامة من الناس سبيل فانظر ما يصلحك فافعله ولذلك قيل
من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور ونظر سهل الي واحد من اصحابه فقال اعمل
كذا وكذا فقال يا استاد لا اقدر عليه لاجل الناس فالتفت الي اصحابه وقال لا ينال عبد حقيقة
هذا الامر حتى يكون باحد وصفين عبد يسقط الناس من عينه فلا يري في الدنيا الا خالقه
وان احدا لا يقدر علي ان يضره وينفعه وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي باي حال
يرونه قال الشافعي رضه ليس من احد الا له محب ومبغض فاذا كان هكذا فكن مع اهل طاعة
الله تعالى وقيل للحسن يا ابا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الا تتبع سقطات
كلامك وتعسك في السوال فتبسم وقال هون علي نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى الجنان
ومجاورة الرحمن وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس فاني علمت ان خالقهم ورازقهم
ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم وقال موسى عليه السلم يا رب احبس عني السنة الناس فقال هذا

شي لم اصنعه لنفسي فكيف افعله بك فاوحي الله تعالى اليه ان لم يطب نفسا بان اجعلك علكا في افواه
الماضغين لم اكتبك من المتواضعين فاذن من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس واقوالهم
فيه فهو في عناء حاضر في الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون فاذن لا يستحب العزلة الا لمستغرق
الاوقات بربه ذكرا وفكرا وعبادة وعلما بحيث لو خالط الناس لضاعت اوقاته او كثرت آفاته
وتشوشت عليه عباداته فهذه غوايل خفية في اختيار العزلة ينبغي ان يتقى فانها مهلكات في صور
منجيات الفايدة السابعة التجارب فانها تستفاد من مخالطة الخلق ومجاري احوالهم والعقل الغريزي
ليس كافيا في تفهم مصالح الدين والدنيا وانما تفيدها التجربة والممارسة ولا خير في عزلة من لم تحنكه التجارب
فالصبي اذا اعتزل بقي غمرا جاهلا بل ينبغي ان يشتغل بالتعلم ويحصل له في هذا التعلم ما يحتاج اليه من
التجارب ويكفيه ذلك ويحصل بقية التجارب بسماع الاحوال فلا يحتاج الى المخالطة ومن اهم التجارب
ان يجرب نفسه واخلاقه وصفات باطنه وذلك لا يقدر عليه في الخلوة فان كل عسر بالخلا يسر وكل
غضوب او حسود او حقود اذا خلى ونفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات في انفسها
يجب اماطتها او قهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها فمثال القلب المشحون بهذه الخبائث
مثال دمل ممتلي بالصديد والمدة وقد لا يحس صاحبه المه ما لم يتحرك او يمسه غيره فان لم تكن له
يد تمسها او عين تبصر صورتها ولم يكن معه من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل في نفسه
واعتقد فقده ولكن لو حركه محرك او اصابه مشرط حجام لتفجر منه الصديد وفار فوران الشيء المختنق
اذا حبس عن الاسترسال فكذلك القلب المشحون بالبخل والحقد والغضب والحسد وساير
الاخلاق الذميمة انما تتفجر خبايثه اذا حرك وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون
لتزكية القلوب يجربون انفسهم فمن كان يستشعر في نفسه كبرا كان يحمل قربة ماء على ظهره بين الناس
او حزمة حطب على راسه ويتردد في الاسواق ليجرب به نفسه فان غوايل النفس ومكايد الشيطان
خفية قل من يتفطن لها ولذلك حكي عن واحد انه قال اعدت صلوة ثلثين سنة مع اني كنت اصليها
في الصف الاول ولكن تخلفت يوما لعذر فما وجدت موضعا في الصف الاول فوقفت في الصف الثاني
فوجدت نفسي تستشعر خجلة من نظر الناس الي وقد سبقت بالصف الاول فعلمت ان جميع صلواتي
كانت مشوبة بالرياء ممزوجة بلذة نظر الناس الي ورؤيتهم اياي في زمرة السابقين الى الخير فالمخالطة
لها فايدة ظاهرة في استخراج الخبائث واظهارها ولذلك قيل السفر يسفر عن الاخلاق فانه نوع
من المخالطة الدائمة وسيأتي غوايل هذه المعاني ودقائقها في ربع المهلكات فان الجهل بها يحبط

العمل الكثير وبالعلم يزكوا العمل القليل ولولا ذلك لما فضل العلم علي العمل اذ يستحيل ان يكون
العلم بالصلوة ولا يراد الا للصلوة افضل من الصلوة فانا نعلم ان ما يراد لغيره فذلك الغير اشرف
منه وقد قضى الشرع بتفضيل العالم علي العابد حتى قال صلي الله عليه وسلم فضل العالم علي العابد
كفضلي علي ادنى رجل من اصحابي فمعنى تفضيل العلم يرجع الي ثلاثة اوجه احدها ما ذكرناه والثاني
عموم نفعه اذ يتعدى فائدته والعمل لا يتعدي والثالث ان يراد به العلم بالله وصفاته وافعاله
فذلك افضل من كل عمل بل مقصود الاعمال صرف القلوب عن الخلق الي الخالق لتنبعث بعد
الانصراف اليه لمحبته ومعرفته فالعمل وعلم العمل مراد لهذا العلم وهذا العلم غاية المريدين والعمل
كالشرط له واليه الاشارة بقوله تعالي اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فالكلم الطيب
هو هذا العلم والعمل كالحمال الرافع الي مقصده فيكون المرفوع افضل من الرافع وهذا كلام معترض
لا يليق بهذا الكلام فلنرجع الي المقصود فنقول اذا عرفت فوايد العزلة وغوائلها تحققت ان الحكم
عليها مطلقا نفيا واثباتا خطا بل ينبغي ان ينظر الي الشخص وحاله والي الخليط وحاله والي
الباعث علي مخالطته والي الفائت بسبب مخالطته من هذه الفوايد المذكورة ويقاس الفائت
بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الافضل وكلام الشافعي هو فصل الخطاب اذ قال يا يونس
الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض
والمنبسط فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالاحوال وبملاحظة الآفات
والفوايد والآفات يتبين الافضل هذا هو الحق الصريح وكل ما سوي هذا فهو قاصر وانما هو اخبار
كل واحد عن حالة خاصة هو فيه فلا يجوز ان يحكم بها علي غيره المخالف له في الحال والفرق بين العالم
والصوفي في ظاهر العلم يرجع الي هذا وهو ان الصوفي لا يتكلم الا عن حاله فلا جرم يختلف
اجوبتهم في المسايل والعالم هو الذي يدرك الحق علي ما هو عليه ولا ينظر الي حال نفسه فينكشف الحق
عنه وذلك مما لا يختلف فان الحق واحد ابدا والقاصر عن الحق كثير لا يحصى ولذلك سيل الصوفية عن
الفقر فما من احد الا واجاب بجواب آخر وذلك حق بالاضافة الي حاله وليس بحق في نفسه اذ الحق
لا يكون الا واحدا ولذلك قال ابو عبد الله الجلا وقد سيل عن الفقر فقال اضرب بكمك الحايط
وقل ربي الله فهو الفقر وقال الجنيد الفقير هو الذي لا يسال ولا يعارض وان عورض سكت وقال
سهل ابن عبد الله الفقير الذي لا يسال ولا يدخر وقال آخر هو ان لا يكون لك فاذا كان لك لا
يكون لك من حيث لم يكن لك وقال ابرهيم الخواص هو ترك الشكوي واظهار اثر البلوى

انه لو سئل منهم مائة لسمع منهم مائة جواب مختلفة قل ما يتفق منها اثنان وذلك كله حق من وجه
فانه خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم يثبت احدهما لصاحبه
قدما في التصوف او يثني عليه بل كل واحد يدعي انه الواصل الى الحق والواقف عليه لان اكثر ترددهم
على مقتضى الاحوال التي تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون الا بانفسهم ولا يلتفتون الى غيرهم ونور العلم اذا
اشرق احاط بالكل وكشف الغطاء ودفع الاختلاف ومثال نظر هؤلاء ما رايت من نظر قوم في ادلة
الزوال بالنظر في الظل فقال بعضهم هو في الصيف قدمان وحكي عن آخر انه نصف قدم واخذ
يرد عليه وانه في الشتاء سبعة اقدام وحكي عن آخر انه خمسة اقدام واخذ يرد عليه فهذا يشبه اجوبة
الصوفية واختلافهم فان كل واحد من هؤلاء اخبر عن الظل الذي رآه ببلد نفسه فصدق في قوله
واخطا في تخطئة صاحبه اذ ظن ان العالم كله بلدة او هو مثل بلده كما ان الصوفي لا يحكم على
العالم الا بما هو حال نفسه والعالم بالزوال هو الذي يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه
بالبلاد فيخبر باحكام مختلفة في بلاد مختلفة في بعضها يستوي وفي بعضها لا يستوي وفي بعضها يطول وفي
بعضها يقصر فهذا ما اردنا ان نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة فان قلت فمن آثر العزلة ورآها
افضل له واسلم فما آدابه في العزلة فنقول انما يطول النظر في آداب المخالطة وقد ذكرناها في
كتاب آداب الصحبة واما آداب العزلة فلا تطول فينبغي للمعتزل ان ينوي بعزلته كف شر نفسه عن الناس
اولا ثم طلب السلامة من شر الاشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين
ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله تعالى رابعا فهذه آداب نيته ثم ليكن في خلوته مواظبا على
العلم والعمل والذكر والفكر ليجتني ثمرة العزلة وليمنع الناس عن ان يكثروا غشيانه وزيارته فيشوش
اكثر وقته وليكف عن السؤال عن اخبارهم وعن الاصغاء الى اراجيف البلد وما الناس مشغولون
به فان كل ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث في اثناء الصلوة او الفكر من حيث لا يحتسب فوقوع
الاخبار في السمع كوقوع البذر في الارض فلا بد وان ينبت وتتفرع عروقها واغصانها ويتداعى بعضها
الى بعض واحد مهمات المعتزل قطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله والاخبار ينابيع الوساوس واصولها
وليقنع باليسير من المعيشة والا اضطره التوسع الى الناس واحتاج الى مخالطتهم وليكن صبورا
على ما يلقاه من اذى الجيران وليسد سمعه عن الاصغاء الى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة او
قدح فيه بترك الخلطة فان كل ذلك يؤثر في القلب ولو مدة يسيرة وحال اشتغال القلب به
لا بد وان يكون واقفا عن سيره في طريق الآخرة فان السير اما بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور

قلب واما بالفكر في جلال الله وصفاته وافعاله وملكوت سمواته واما بالتامل في دقايق الاعمال
ومفسدات القلوب وطلب طرق التحصن منها وكل ذلك يستدعي الفراغ والاصغاء الي جميع
ذلك مما يشوش القلب في الحال وقد يتجدد ذكره في دوام الذكر من حيث لا ينتظر وليكن له اهل
صالح او جليس صالح ليستريح نفسه في اليوم ساعة عن كد المواظبة ففيه عون على بقية الساعات
ولا يتم له الصبر في العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه ولا ينقطع طمعه الا
بقصر الامل بان لا يقدر لنفسه عمرا طويلا بل يصبح على انه لا يمسي ويمسي على انه لا يصبح فيسهل عليه
صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنه لو قدر تراخي الاجل وليكن كثير الذكر للموت
ووحدة القبر بها ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق ان من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته
ما يانس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت وان من انس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت
انسه اذ لا يهدم الموت محل الانس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفته وانسه فرحا بفضل الله عليه
كما قال تعالى في الشهداء ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم
يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله وكل متجرد لله تعالى في جهاد نفسه فهو شهيد مهما
ادركه الموت فالمجاهد من جاهد نفسه وهواه كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد

الاكبر جهاد النفس كما قال الصحابة رضي الله
عنهم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر
والله اعلم بالصواب تم كتاب آداب العزلة
ولله الحمد والمنه وصلواته على خير خلقه محمد وآله
اجمعين

اداب السفر

وهو الكتاب السابع من ربع العادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي فتح بصاير اوليايه بالحكم والعبر واستخلص هممهم بمشاهدة عجايب صنعه في الحضر والسفر فاصبحوا راضين بمجاري القدر منزهين قلوبهم عن التلفت الي منتزهات البصر الا على سبيل الاعتبار بما يسنح في مسارح النظر ومجاري الفكر فاستوي عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر والصلوة على محمد سيد المرسلين وعلى آله واصحابه المقتفين لاثاره في الاخلاق والسير وسلم كثيرا اما بعد فان السفر وسيلة الي الخلاص عن مهروب او الوصول الي مطلوب والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن الي الصحاري والفلوات وسفر بسير القلب عن اسفل السافلين الي ملكوت السموات واشرف السفرين سفر الباطن فان الواقف على الحالة التي نشا عليها عقيب الولادة الجامد على ما تلقفه بالتقليد من الآباء والاجداد لازم درجة القصور وقانع بمرتبة النقص ومستبدل بمتسع فضاء عرضها السموات والارض ظلمة السجن وضيق الحبس ولم ار في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام الا ان هذا السفر لما كان مقتحمه في خطب خطير لم يستغن فيه عن دليل وخفير فاقتضى غموض السبيل وفقد الخفير والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندراس مسالكه فانقطع فيه الرفاق وخلي عن الطايفين متنزهات الانفس والملكوت والآفاق واليه دعا الله سبحانه بقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وبقوله وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وعلى القعود عن هذا السفر وقع الانكار بقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وبقوله تعالى وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فمن يسر له هذا السفر لم يزل في سيره متنزها في جنة عرضها السموات والارض وهو ساكن بالبدن مستقر في الوطن وهو السفر الذي لا تضيق فيه المناهل والموارد ولا يضر فيها التزاحم والتوارد بل تزيد بكثرة المسافرين غنايمه وتتضاعف ثمراته وفوايده فغنايمه دايمة غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة الا اذا بدا للمسافر فترة في سفره ووقفة في حركته فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا زاغوا ازاغ الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون انفسهم ومن لم يوهل للجولان في هذا الميدان والتطواف في متنزهات هذا البستان ربما سافر

بنظام يدنه في مدة مديدة فراسخ معدودة مغتنما بها تجارة للدنيا او ذخيرة للآخرة فان كان مطلبه
العلم والدين او الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكي سبيل الآخرة وكان له في سفره
شروط وآداب ان اهملها كان من عمال الدنيا واتباع الشياطين وان واظب عليها لم يخل
سفره عن فوايد تلحقه بعمال الآخرة ونحن نذكر آدابه وشروطه في بابين الباب الاول
في الآداب من اول النهوض الى آخر الرجوع وفي نية السفر وفايدته الباب
الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات

الباب الاول في الآداب من اول النهوض الى آخر الرجوع وفي نية السفر وفايدته وفيه فصلان الفصل الاول

في فوايد السفر وفضله ونيته اعلم ان السفر نوع حركة ومخالطة وفيها فوايد ولها آفات
كما ذكرناه في كتاب الصحبة والعزلة والفوايد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب او طلب فان
المسافر اما ان يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر اليه واما ان يكون له مقصد
ومطلب والمهروب عنه اما امر له نكاية في الامور الدنيوية كالطاعون والوباء اذا ظهر ببلد
او خوف سببه فتنة او خصومة او غلاء سعر وهو اما عام كما ذكرناه او خاص كمن يقصد باذيته
في بلدة فيهرب منها واما امر له نكاية في الدين كمن ابتلي في بلده بجاه ومال واتساع اسباب
تصده عن التجرد لله فيؤثر الغربة والخمول ويجتنب السعة والجاه او كمن يدعى الى بدعة قهرا
او الى ولاية عمل لا تحل مباشرته فيطلب الفرار منه واما المطلوب فهو اما دنيوي كالمال والجاه
او ديني والديني اما علم او عمل والعلم اما علم من العلوم الدينية واما علم باخلاقه وصفاته
على سبيل التجربة واما علم بآيات الارض وعجايبها كسفر ذي القرنين وتطوافه في نواحي الارض
والعمل اما عبادة او زيارة والعبادة هي الحج والجهاد والزيارة ايضا من القربات وقد يقصد
بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس والثغور فان الرباط بها قربة وقد يقصد بها الاولياء
والعلماء وهم اما موتى فتزار قبورهم واما احياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر الى
احوالهم قوة الرغبة في الاقتداء بهم فهذه اقسام الاسفار ويخرج من هذه القسمة اقسام
الاول السفر في طلب العلم وهو اما واجب او نفل وذلك بحسب كون العلم واجبا او
نفلا وذلك العلم اما علم بامور دينية او باخلاقه في نفسه او بآيات الله في ارضه وقد قال
صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله تعالى حتى يرجع وفي خبر

من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الي الجنة وكان سعيد بن المسيب يسافر الايام
في طلب الحديث الواحد وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام الي اقصى اليمن في كلمة تدله على
هدي ما كان سفره ضايعا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة الي مصر مع عشرة من الصحابة فساروا
شهرا في حديث بلغه عن عبد الله بن انيس الانصاري يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى سمعه وما من مذكور في العلم محصل من زمان الصحابة الي زماننا الا حصل العلم بالسفر
وسافر لاجله واما علمه بنفسه واخلاقه فذلك ايضا مهم فان طريق الآخرة لا يمكن سلوكها الا بتحسين
الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع علي اسرار باطنه وخبايث صفاته لا يقدر علي تطهير القلب منها
وانما السفر هو الذي يسفر عن الاخلاق وبه يخرج الله تعالى الخبء في السموات والارض وانما
سمي السفر سفرا لانه يسفر عن الاخلاق ولذلك قال عمر رضي الله عنه للذي كان يعرف بعض الشهود
هل صحبته في السفر الذي يستدل به علي مكارم الاخلاق فقال لا فقال ما اراك تعرفه وكان
بشر يقول يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء اذا كثر مقامه في موضع تغير وبالجملة فالنفس
في الوطن مع مواتاة الاسباب لا يظهر خبايث اخلاقها لاستيناسها بما يوافق طبعها من
المالوفات المعهودة فاذا حملت وعثاء السفر وصرفت عن مالوفاتها المعتادة وامتحنت
بمشاق الغربة انكشفت غوايلها ووقع الوقوف علي عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها وقد
ذكرنا في كتاب العزلة فوايد المخالطة والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق واما
آيات الله في ارضه ففي مشاهدتها فوايد للمستبصر ففيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبراري
وانواع الحيوان والنبات والبحار وما من شيء منها الا وهو شاهد لله بالوحدانية ومسبح له بلسان
ذلق لا يدركه الا من القى السمع وهو شهيد واما الجاحدون والغافلون والمغترون بلامع السراب
من زهرة الدنيا فانهم لا يبصرون ولا يسمعون لانهم عن السمع لمعزولون وعن آيات ربهم لمحجوبون
يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وما اريد بالسمع السمع الظاهر فان
الذين اريدوا به ما كانوا معزولين عنه وانما اريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر الا
الاصوات ويشارك الانسان فيها ساير الحيوانات فاما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال
وهو نطق وراء نطق المقال يشبه قول القايل حكاية لكلام الوتد والحايط قال الجدار للوتد
لم تشقني فقال سل من يدقني فلم يتركني ورايي الحجر الذي ورايي وما من ذرة في السموات والارض
الا ولها انواع شهادات لله تعالى بالوحدانية هو توحيدها وانواع شهادات لصانعها بالتقديس هي

تسبيحها ولكن لا تفقهون تسبيحهم لانهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر الى فضاء سمع الباطن
ومن ركاكة لسان المقال الى فصاحة لسان الحال ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان
سليمان عليه السلام مختصا بفهم منطق الطير ولما كان موسى عليه الصلوة والسلام مختصا بسمع
كلام الله تعالى الذى يجب تقديسه عن مشابهة الاصوات والحروف ومن يسافر ليستقرئ
هذه الشهادات من الاسطر المكتوبة بالخطوط الالهية على صفحات الجماد لم تطل سفره
بالبدن بل يستقر في موضع ويفرغ قلبه للتمتع بسماع نغمات التسبيحات من آحاد الذرات
فما له وللتردد في الفلوات وله غنية في ملكوت السموات كالشمس والقمر والنجوم مسخرات
وهي التي على ابصار ذوي البصائر مسافرات في السنة والشهر مرات بل هي دائبة في
الحركة على توالي الاوقات فمن الغرائب ان يدأب في الطواف بآحاد المساجد من امرت
الكعبة ان تطوف به ومن الغرائب ان يطوف في اكناف الارض من يطوف به اقطار
السماء ثم ما دام المسافر مفتقرا الى ان يبصر عالم الملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد في المنزل
الاول من منازل السائرين الى الله تعالى والمسافرين الى حضرته وكانه معتكف على باب
الوطن لم يفض به المسير الى متسع الفضاء ولا سبب لطول المقام في هذا المنزل الا الجبن
والقصور ولذلك قال بعض ارباب القلوب ان الناس ليقولون افتحوا اعينكم حتى تبصروا
وانا اقول غضوا اعينكم حتى تبصروا وكل واحد من القولين حق الا ان الاول خبر عن المنزل
الاول القريب من الوطن والثاني خبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التي لا يطاها
الا مخاطر بنفسه والمجاوز اليها ربما يتيه فيها سنين وربما يأخذ التوفيق بيده فيرشده الى سواء
السبيل والهالكون في التيه هم الاكثرون من ركاب هذا الطريق ولكن السائحون
بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك المقيم وهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى واعتبر هذا
الملك بملك الدنيا فانه يقل بالاضافة الى كثرة الخلق طلابه ومهما عظم المطلوب قل المساعد
ثم الذي يهلك اكثر من الذي يملك ولا يتصدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظم الخطر
وطول التعب واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام وما اودع الله العز والملك
في الدين والدنيا الا في متن الخطر وقد يسمى الجبان الجبن والقصور باسم العزم والحذر كما
يرى الجبناء ان الجبن حزم وتلك خدعة الطبع اللئيم فهذا حكم السفر الظاهر اذا اريد به السفر
الباطن بمطالعة آيات الارض فلنرجع الى الغرض الذى كنا نقصده ولنبين المقصد الثاني

وهو ان يسافر لاجل العبادة اما لحج او جهاد وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه واعماله الظاهرة والباطنة
في كتاب اسرار الحج ويدخل في جملته زيارة قبور الانبيا وزيارة قبور الصحابة والتابعين وساير العلما
والاوليا وكل من يتبرك بمشاهدته في حيوته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا
الغرض ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلث مساجد مسجدي هذا والمسجد
الحرام والمسجد الاقصى لان ذلك في المساجد فانها متماثلة بعد هذه المساجد والا فلا فرق
بين زيارة قبور الانبيا والاوليا والعلما في اصل الفضل وان كان يتفاوت في الدرجات
تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله وبالجملة زيارة الاحيا اولى من زيارة الاموات
والفايدة من زيارة الاحيا طلب بركة الدعا وبركة النظر فان النظر الى وجه العلما والصلحا
عبادة وفيه ايضا حركة الرغبة في الاقتدا بهم والتخلق باخلاقهم وادابهم هذا سوى ما ينتظر من
الفوايد العلمية المستفادة من انفاسهم وافعالهم كيف ومجرد زيارة الاخوان في الله فيه فضل كثير
كما ذكرناه في كتاب الصحبة وفي التورية سر اربعة اميال زر اخا في الله واما البقاع فلا معنى لزيارتها
سوى المساجد الثلاث وسوى الثغور للرباط بها فالحديث ظاهر في انه لا تشد الرحال لطلب بركة
البقاع الا المساجد الثلث وقد ذكرنا فضايل الحرمين في كتاب الحج وبيت المقدس ايضا له فضل
عظيم خرج ابن عمر من المدينة قاصدا بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعا
من الغد الى المدينة وقد سال سليمان ربه عز وجل ان من قصد هذا المسجد لا يعنيه الا الصلوة
فيها ان لا يصرف نظره تعالى عنه ما دام مقيما فيه حتى يخرج منه وان يخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه
فاعطاه الله ذلك **القسم الثالث** ان يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين وذلك
ايضا حسن فالفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين ومما يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة
العلايق والاسباب فان ذلك يشوش فراغ القلب والدين لا يتم الا بقلب فارغ عن غير الله وان لم
يتم فراغه فبقدر فراغه يتصور ان يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ القلب في الدنيا عن مهمات
الدنيا والحاجات الضرورية ولكن يتصور تخفيفها وتثقيلها وقد نجا المخفون وهلك المثقلون
والحمد لله الذي لم يعلق النجاة بالفراغ المطلق عن جميع الاوزار والاعبا بل قبل المخف بفضله
وشمله بسعة رحمته والمخف هو الذي ليست الدنيا اكبر همه وذلك ليس يتيسر في الوطن لمن اتسع
جاهه وكثرت علايقه فلا يتم مقصوده الا بالغربة والخمول وقطع العلايق التي له بد عنها حتى يروض
نفسه مدة ثم ربما يمده الله تعالى بمعونته فينعم عليه بما يقوي به يقينه ويطمئن به قلبه فيستوي عنده

الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الاسباب والعلائق وعدمها فلا يصده شي منها عما هو
من ذكر الله وذلك مما يعز وجوده جدا بل الغالب على القلوب الضعف والقصور عن الاتساع
للخلق والخالق وانما يسعد بهذه القوة الانبيا والاوليا والوصول اليها بالكسب شديد وان كان
للاجتهاد والكسب فيه مدخل ايضا ومثال تفاوت القوة الباطنة تفاوت القوة الظاهرة في
الاعضا ورب رجل قوي ذي مرة سوي شديد الاعصاب محكم البنية يستقل بحمل ما وزنه
الف رطل مثلا فلو اراد الضعيف والمريض مثلا ان ينال رتبته بممارسة الحمل والتدرج فيه
قليلا قليلا لم يقدر عليه ولكن الممارسة والجهد يزيد في قوته زيادة ما وان كان لا يبلغه درجته
فلا ينبغي ان يترك الجهد عند الياس عن الرتبة العليا فان ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال
وقد كان من عادة السلف مفارقة الوطن خيفة من الفتن قال سفيان الثوري هذا زمان
سوء لا يومن فيه على الخامل فكيف على المشهورين هذا زمان رجل ينتقل من بلد الى بلد
كلما عرف في موضع تحول الى غيره وقال ابو نعيم رايت سفيان الثوري قربته بيده ووضع جرابه
على ظهره فقلت الى اين يا ابا عبد الله قال بلغني عن قرية فيها رخص اريد ان اقيم بها فقيل
ويفعل هذا قال نعم اذا بلغك عن قرية ان فيها رخص فاقم بها فانه اسلم لدينك واقل لهمك
وهذا هرب من غلاء السعر وكان سري السقطي يقول للصوفية اذا خرج الشتاء فقد خرج آذار
واورقت الاشجار وطاب الانتشار فانتشروا وقد كان الخواص لا يقيم في بلد اكثر من اربعين
يوما وكان من المتوكلين ويرى الاقامة اعتمادا على الاسباب قادحا في التوكل وسياتي اسرار
الاعتماد على الاسباب في كتاب التوكل ان شاء الله تعالى **القسم الرابع** السفر هربا
مما يقدح في البدن كالطاعون او المال لغلاء السعر او ما يجري مجراه ولا حرج في ذلك بل ربما
يجب الفرار في بعض المواضع وربما يستحب في بعض بحسب وجوب ما يترتب عليه من الفوائد
واستحبابه ولكن يستثنى عنها الطاعون فلا ينبغي ان يفر منه لورود النهي عنه قال اسامة
بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الوجع او السقم رجز عذب به بعض الامم
قبلكم ثم بقي بعد في الارض فيذهب المرة وياتي الاخرى فمن سمع به في ارض فلا يقدمن عليه ومن
وقع بارض وهو بها فلا يخرجنه الفرار منه وقالت عايشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
فناء امتي بالطعن والطاعون فقلت هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون قال غدة كغدة
البعير تاخذهم في مراقهم المسلم الميت منه شهيد والمقيم عليه المحتسب كالمرابط في سبيل الله

منه كالفار من الزحف وعن مكحول عن ام ايمن قالت اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض اهله
لا تشرك بالله شيئا وان عذبت او خوفت اطع والديك وان امراك ان تخرج من كل شيء هو لك
فاخرج منه ولا تترك الصلوة عمدا فانه من ترك الصلوة عمدا فقد برئت منه ذمة الله واياك والخمر
فانها مفتاح كل شر اياك والمعصية فانها تسخط الله لا تفر من الزحف وان اصاب الناس
موتان وانت فيهم فاثبت فيهم انفق من طولك على اهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم اخفهم الله
فهذه الاحاديث تدل على ان الفرار من الطاعون منهي عنه وكذا القدوم عليه وسياتي شرح ذلك
في كتاب التوكل فهذه اقسام الاسفار وقد خرج منه ان السفر ينقسم الى مذموم والى محمود
والى مباح والمذموم ينقسم الى حرام كاباق العبد وسفر العاق والى مكروه كالخروج من بلد الطاعون
والمحمود ينقسم الى واجب كالحج وطلب العلم الذي هو فريضة على كل مسلم والى مندوب اليه
كزيارة العلماء وزيارة مشاهدهم ومن هذه الاسباب تتبين النية في السفر فان معنى النية
الانبعاث للسبب الباعث والانتهاض لاجابة الداعية ولتكن نية الاخرة في جميع اسفاره
وذلك ظاهر في الواجب والمندوب ومحال في المكروه والمحظور واما المباح فمهما كان قصده
بطلب المال مثلا التعفف عن السؤال ورعاية ستر المروة على الاهل والعيال فيها كانت نيته
والتصدق بما فضل من مبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه النية من اعمال الاخرة ولو خرج الى
الحج وباعثه الرياء والسمعة خرج عن كونه من اعمال الاخرة فقوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات
عام في الواجبات والمباحات دون المحظورات فان النية لا تؤثر في اخراجها عن كونها محظورة
وقد قال بعض السلف ان الله قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون الى مقاصدهم فيعطى كل
واحد على نحو نيته فمن كانت نيته الدنيا اعطي منها ونقص من اخرته اضعافه وفرق عليه همه
وكثر بالحرص والرغبة شغله ومن كانت نيته الاخرة اعطي البصيرة والفطنة وفتح له من التذكرة
والعبرة بقدر نيته وجمع له همه ودعت له الملائكة واستغفرت له واما النظر في ان السفر هو الافضل
او الاقامة فضاهى النظر في ان الافضل هو العزلة او المخالطة وقد ذكرنا منهاجه في كتاب العزلة
فليفهم هذا منها فان السفر نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة يفرق الهم وتشتت القلب
في حق الاكثرين والافضل ما هو الاعون على الدين ونهاية ثمرة الدين في الدنيا تحصيل معرفة
الله وتحصيل الانس بذكر الله والانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر ومن لم
يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما والسفر هو المعين على التعلم في الابتداء والاقامة هي

المعينة علي العمل بالمتعلم في الابتداء، واما السياحة في الارض علي الدوام فمن المشوشات
للقلب الا في حق الاقوياء، والمسافر وماله لعلي قلت الا ما وقي الله فلا يزال المسافر مشغول الهم
تارة بالخوف علي نفسه وماله وتارة بمفارقة ما الفه واعتاده في اقامته وان لم يكن معه مال
يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف الي الخلق فتارة تضعف قلبه بسبب الفقر وتارة
تقوي باستحكام اسباب الطمع ثم شغل الحط والرحال مشوش لجميع الاحوال فلا ينبغي ان
يسافر المريد الا في طلب علم او مشاهدة شيخ يقتدي به في سيرته ويستفاد الرغبة في الخير
من مشاهدته فان اشتغل بنفسه واستبصر وانفتح له طريق الفكر او العمل فالسكون اولى
به الا ان اكثر متصوفة هذه الاعصار لما خلت بواطنهم عن لطائف الافكار ودقائق الاعمال
ولم يحصل لهم انس بالله تعالى وبذكره في الخلوة وكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين وقد
الفوا البطالة واستثقلوا العمل واستوعروا طرق الكسب واستلانوا جانب السؤال والكدية
واستطابوا الرباطات المبنية لهم في البلاد واستسخروا الخدم المنتصبين للقيام بخدمة القوم
واستخفوا عقولهم واديانهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة الا الرياء والسمعة وانتشار
الصيت واقتناص الاموال بطريق السؤال تعللا بكثرة الاتباع فلما لم يكن في الخانقاهات حكم
نافذ ولا تاديب للمريدين نافع ولا حجر عليهم قاهر لبسوا المرقعات واتخذوا من الخانقاهات
متنزهات وربما تلقفوا الفاظا مزخرفة من الطامات فينظرون الي انفسهم وقد تشبهوا بالقوم
في خرقهم وفي سياحتهم وفي لفظهم وعبارتهم وفي آداب ظاهرة من سيرتهم فيحسبون بانفسهم
خيرا ويحسبون ان كل سوداء تمرة ويتوهمون ان المشاركة في الظواهر توجب المساهمة في
الحقائق وهيهات فما اغزر حماقة من لا يميز بين الشحم والورم فهؤلاء بغضاء الله فان الله يبغض
الشاب الفارغ ولم يحملهم على السياحة الا الشباب والفراغ الا من سافر لحج وعمرة في غير
رياء ولا سمعة او سافر لمشاهدة شيخ يقتدي به في علمه وسيرته وقد خلت البلاد عنه
الان والامور الدينية كلها قد فسدت وضعفت الا التصوف فانه قد امحق بالكلية وبطل
لان العلوم لم تندرس بعد والعالم وان كان عالم سوء فانما فساده في سيرته لا في علمه فيبقى
عالما غير عامل بعلمه والعمل غير العلم واما التصوف فانه عبارة عن تجرد القلب لله تعالى واستحقار
ما سوي الله وحاصله يرجع الي عمل القلب والجوارح ومهما فسد العمل فات الاصل وفي سفر
هؤلاء نظر للفقهاء من حيث انه اتعاب نفس بلا فائدة وقد يقال ان ذلك ممنوع ولكن الصواب

عندنا ان نحكم بالاباحة فان حظوظهم التفرج عن كرب البطالة بمشاهدة البلاد المختلفة وهذه
الحظوظ وان كانت خسيسة فنفوس المتحركين ايضا خسيسة ولا باس بهذه الحظوظ ولا باس
بانتهاب حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به ويعود اليه فهو المتأدي والمتلذذ والمتوي يستغني
تسبيب العوام في المباحات التي لا نفع فيها ولا ضرر فالساعون من غير مهم في الدين والدنيا
بل لمحض التفرج في البلاد كالبهائم المترددين في الصحاري فلا باس بسياحتهم ما كفوا عن الناس
شرهم ولم يلبسوا على الخلق حالهم وانما نعصيهم في التلبيس والسؤال على اسم التصوف والاكل
من الاوقاف التي وقفت على الصوفية لان الصوفي عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات
اخرى وراء الصلاح ومن اقل احوال هؤلاء اكلهم اموال السلاطين واكل الحرام من الكبائر فلا
يبقى معه العدالة والصلاح ولو تصور صوفي فاسق لتصور صوفي كافر وفقيه يهودي وكما ان
الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفي عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه على القدر
الذي يحصل به العدالة وكذلك من نظر الى ظواهرهم ولم يعرف بواطنهم واعطاهم من ماله على سبيل
التقرب الى الله تعالى حرم عليهم الاخذ وكان ما اكلوه سحتا واعني به اذا كان المعطي بحيث لو عرف
بواطن احوالهم ما اعطاهم فاخذ المال باظهار التصوف من غير اتصاف بحقيقته كاخذه باظهار
نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى ومن زعم انه علوي وهو كاذب واعطاه مسلم
مالا لحبه اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو علم انه كاذب لم يعطه فاخذه عليه حرام وكذلك
الصوفي ولهذا احترز المحتاطون عن الاكل بالدين فان المبالغ للاحتياط في دينه لا ينفك في بواطنه
عن عورات لو انكشف للراغب في مواساته لفتر رغبته في المواساة فلا جرم كانوا لا يشترون بانفسهم
مخافة ان يسامحوا لاجل دينهم فيكونوا اكلين بالدين وكانوا يوكلون ويشترطون على الوكيل ان لا
يظهر انه لمن يشتري ثم انما يحل اخذ ما يعطى لاجل الدين اذا كان الاخذ بحيث لو علم المعطي من باطنه
ما يعلمه الله تعالى لم يقتض ذلك فتورا في رايه والعاقل المنصف يعلم من نفسه ان ذلك ممتنع او عزيز
والمغرور الجاهل بنفسه اخرى بان يكون جاهلا بامر دينه فان اقرب الاشياء الى قلبه قلبه
فاذا التبس على قلبه امر قلبه فكيف ينكشف له غيره ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لا محالة ان لا ياكل
الا من كسبه ليامن من هذه الغائلة او لا ياكل الا من مال من يعلم قطعا انه لو انكشف له عورات باطنه
لم يمنعه ذلك من مواساته فان اضطر طالب الحلال ومريد طريق الآخرة الى اخذ مال الغير فليصرح
له وليقل ان كنت تعطيني لما تعتقده فيّ من الدين فلست مستحقا لذلك ولو كشف الله ستري

لم ترفي بعض التوقر بل اعتقدت الى سر الخلق امين شر ميم فان اعطاء مع ذلك فليأخذ ولكن ههنا
مكيدة للنفس ومخادعة فليتفطن لها وهو انه قد يتوهم ذلك مظهرا انه متشبه بالصالحين في ذمهم
نفوسهم واستحقارهم لها ونظرهم اليها بعين المقت والازدراء فيكون صورة الكلام صورة القدح
والازدراء وباطنه وروحه المدح والاطراء فكم من ذام نفسه وهو لها مادح بعين ذمه فذم النفس
في الخلوة مع النفس هو المحمود فاما الذم في الملا فهو عين الرياء الا اذا اورده ايرادا يحصل به علم
للمستمع يقينا انه مقترف للذنوب ومعترف بها وذلك مما يمكن تفهيمه بقرائن الاحوال ويمكن ان
يلتبس بقرائن الاحوال والصادق بينه وبين الله يعلم ان مخادعته لنفسه محال فلا يتعذر عليه
الاحتراز عن امثال ذلك فهذا هو القول في اقسام السفر ونية المسافر وفضيلته الفصل
الثاني في آداب المسافر من اول نهوضه الى آخر رجوعه وهي احد عشر الاول ان يبدأ برد
المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لمن يلزمه نفقته ورد الودائع ان كان عنده ولا يأخذ لزاده
الا الطيب الحلال وليأخذ قدرا يوسع به على رفقائه قال ابن عمر من كرم الرجل طيب زاده
في سفره ولا بد في السفر من طيب الكلام واطعام الطعام ومن اظهار مكارم الاخلاق فان
السفر يخرج خبايا الباطن ومن يصلح لصحبة السفر يصلح لصحبة الحضر وقد يصلح في الحضر من لا
يصلح في السفر ولذلك قيل اذا اثنى على الرجل معاملوه في الحضر ورفقاؤه في السفر فلا تشكوا
في صلاحه والسفر من اسباب الضجر ومن احسن خلقه في الضجر فهو الحسن الخلق والا فعند
مساعدة الامور على وفق الغرض قل ما يظهر سوء الخلق وقد قيل ثلث لا يلامون على الضجر
الصائم والمريض والمسافر وتمام حسن خلق المسافر بالاحسان الى المكاري ومعاونة الرفقة بكل
ممكن وبالرفق بكل منقطع بان لا يجاوزه الا باعانته بمركوب او زاد او توقف لاجله وتمام ذلك مع
الرفقاء بمزاح ومطايبة في بعض الاوقات من غير فحش ومعصية ليكون ذلك شفاء لضجر
السفر ومشاقه الثاني ان يختار رفيقا فلا يخرج وحده فالرفيق ثم الطريق وليكن رفيقه
ممن يعينه على الدين فيذكره اذا نسي ويعينه ويساعده اذا ذكر فان المرء على دين خليله ولا يعرف
الرجل الا برفيقه وقد نهى صلى الله عليه وسلم ان يسافر الرجل وحده وقال الثلثة نفر وقال
اذا كنتم ثلثة في سفر فامروا احدكم وكانوا يفعلون ذلك ويقولون هو امير امره رسول الله صلعم
وليؤمروا احسنهم اخلاقا وارفقهم بالاصحاب واسرعهم الى الايثار وطلب الموافقة وانما يحتاج الى
الامير لان الاراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ولا نظام الا في الوحدة

ولانساد الامن الكثرة وانما انتظم امر العالم لان مدبر الكل واحد ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
ومهما كان المدبر واحدا انتظم التدبير واذا كثر المدبرون فسدت الامور في الحضر والسفر الا ان
مواطن الاقامة لا تخلو عن امير عام كامير البلد وعن امير خاص كرب الدار واما السفر فلا يتعين
له امير الا بالتامير فلهذا اوجب التامير لجمع شتات الاراء ثم على الامير ان لا ينظر الا لمصلحة القوم
وان يجعل نفسه وقاية لهم كما نقل عن عبد الله المروزي انه صحبه ابو علي الرباطي فقال على ان تكون
انت الامير او انا فقال بل انت فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولابي علي على ظهره وامطرت السماء ليلة
فقام عبد الله طول الليل على راس رفيقه وفي يده كساء يمنع المطر عنه فكلما قال له الله الله لا تفعل
يقول الم تقل ان الامارة مسلمة لك فلا تتحكم علي ولا ترجع عن قولك حتى قال ابو علي وددت
اني مت ولم يحرمني تاميره فهكذا ينبغي ان يكون الامير وقال صلى الله عليه وسلم خير الصحابة
اربعة وتخصيص الاربعة من بين سائر الاعداد لا بد وان يكون له فائدة والذي ينقدح فيه
ان المسافر لا يخلو عن رحل يحتاج الى حفظه وعن حاجة يحتاج الى التردد فيها ولو كانوا
ثلثة لكان المتردد في الحاجة واحدا فيتردد في السفر بلا رفيق فلا يخلو عن الخطر ولا عن ضيق
القلب لفقد انس الرفيق ولو تردد في الحاجة اثنان لكان الحافظ للرحل واحدا فلا يخلو
عن الخطر ولا عن ضيق القلب فما دون الاربعة لا يفي بالمقصود وما فوق الاربعة تزيد فلا تجمعهم
رابطة واحدة فلا ينعقد بينهم الترافق لان الخامس زيادة بعد الحاجة ومن يستغني عنه
لا تنصرف الهمة اليه فلا تتم المرافقة معه نعم في كثرة الرفاق فائدة الامن من المخاوف ولكن الاربعة
خير للرفاقة الخاصة لا للرفاقة العامة وكم من رفيق في الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ولا
يخالط الى آخر الطريق للاستغناء عنه الثالث ان يودع رفقاء الحضر والاهل والاصدقاء
وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم صحبت عبد الله بن عمر من مكة
الى المدينة فلما اردت ان افارقه شيعني وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقمان
ان الله تعالى اذا استودع شيئا حفظه واني استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وروى
زيد بن ارقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اراد احدكم سفرا فليودع اخوانه
فان الله تعالى جاعل له في دعائهم البركة وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث توجهت فهذا دعاء
المقيم للمودع وقال موسى بن وردان اتيت ابا هريرة اودعه لسفر اردته فقال الا اعلمك يا ابن اخي

شيا علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الوداع فقلت بلى فقال قل استودع الله الذي لا
يضيع ودايعه وعن انس بن مالك ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اني اريد سفرا واوصى
فقال له في حفظ الله وفي كنفه وزودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت او
اين ما كنت شك فيه الراوي وينبغي اذا استودع الله ما يخلفه ان يستودع الجميع ولا يخصص فقد
روي ان عمر كان يعطي الناس عطاياهم اذ جاء رجل معه ابن له فقال له عمر ما رايت احدا اشبه باحد
من هذا بك فقال الرجل احدثك عنه يا امير المومنين بامر اردت ان اخرج الى سفر وامه حامل
به فقالت تخرج وتدعني على هذه الحال فقلت استودع الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت
فاذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث فاذا نار على قبرها فقلت للقوم ما هذه فقالوا هذا من
قبر فلانة نراها كل ليلة فقلت والله انها كانت لصوامة قوامة فاخذت المعول حتى انتهينا الى
القبر فحفرنا فاذا سراج واذا هذا الغلام يدب فقيل ان هذه وديعتك ولو كنت استودعت امه
لوجدتها فقال عمر رضي الله عنه لهو اشبه بك من الغراب بالغراب الرابع ان يصلي قبل السفر
صلوة الاستخارة كما وصفناها في كتاب الصلوة ووقت الخروج يصلي لاجل السفر فقد روى
انس بن مالك ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني نذرت سفرا وقد كتبت وصية
فالى اي الثلثة ادفعها الى ابي ام اخي ام ابني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما استخلف عبد في اهله
من خليفة احب الى الله من اربع ركعات يصليهن في بيته اذا شد عليه ثياب سفره تقرا فيهن
بفاتحة الكتاب وقل هو الله احد ثم يقول اللهم اني اتقرب بهن اليك فاخلفني بهن في
اهلي ومالي فهي خليفته في اهله وماله ودور حول داره حتى يرجع الى اهله الخامس
اذا حصل على باب الدار فليقل بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله رب اعوذ بك ان
اضل او ازل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت
وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتي وانت رجائي فاكفني ما اهمني
وما لا اهتم به وما انت اعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى
واغفر لي ذنبي ووجهني للخير اينما توجهت وليدع بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه فاذا ركب
الدابة فليقل بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء
الله كان وما لم يشا لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون
فاذا استوت الدابة تحته فليقل الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا

الله اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان على الامور السادس ان يرحل على المنازل
بكرة روي جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك وبكر وقال اللهم
بارك لامتي في بكورها ويستحب ان يبتدا بالخروج يوم الخميس فقد روي ابن كعب بن مالك
عن ابيه قال فلما كان يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سفر الا يوم الخميس وروي انس انه
قال صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لامتي في بكورها يوم الخميس والسبت وكان صلى الله عليه وسلم
اذا بعث سرية بعثها اول النهار وروي ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك لامتي
في بكورها يوم خميسها وقال ابن عباس اذا كان لك الى رجل حاجة فاطلبها نهارا ولا
تطلبها ليلا واطلبها بكرة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم بارك لامتي
في بكورها ولا ينبغي ان يسافر يوم الجمعة بعد طلوع الفجر فيكون عاصيا بترك الجمعة واليوم منسوب
اليها وكان اوله من اسباب وجوبه والتشييع للوداع سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لان اشيع مجاهدا في سبيل الله فاكتنفه عدوه او روحه احب الي من الدنيا وما فيها
السابع ان لا ينزل حتى يحمى النهار فهو السنة ويكون اكثر سيره في الليل قال صلى الله عليه وسلم
عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار ومهما اشرف على المنزل فليقل
اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما
اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما اجرين اسالك خير هذا المنزل وخير اهله
واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عني شر شرارهم فاذا نزل منزلا فليصل فيه
ركعتين ثم ليقل اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر
ما خلق فاذا جن عليه الليل يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك
وشر ما دب عليك اعوذ بالله من شر كل اسد واسود وحية وعقرب ومن ساكن البلد ووالد
وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ومهما علا نشزا من الارض في
وقت السير ينبغي ان يقول اللهم لك الشرف على كل الشرف ولك الحمد على كل حال ومهما
هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح
جللت السموات بالعزة والجبروت الثامن ان يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج
القافلة لانه ربما يغتال او ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم كان صلى الله عليه وسلم
اذا نام في ابتداء الليل في السفر افترش ذراعه وان نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا

وجعل راسه في كفه والغرض ان لا يستثقل النوم فيطلع الشمس وهو لا يدري ويكون ما فوته
من الصلوة افضل مما يطلبه بالسفر والمستحب بالليل ان يتناوب الرفقاء في الحراسة فاذا نام واحد
حرس آخر فهو السنة ومهما قصده عدو او سبع في ليل او نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله
وسورة الاخلاص والمعوذتين وليقل باسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله
ما شاء الله لا ياتي بالخيرات الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن
دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز تحصنت
بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي
لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب
عبادك وامائك رافة ورحمة انك انت ارحم الراحمين التاسع ان يرفق بالدابة ان كان
راكبا فلا يحملها ما لا تطيق ولا يضرب في وجهها فانه منهي عنه ولا ينام عليها فانه يثقل بالنوم
ويتأذى به الدابة كان اهل الورع لا ينامون على الدابة الا غفوة وقال صلى الله عليه وسلم لا
تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة
وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكري بشرط ان لا ينزل ويوفي الاجرة ثم كان
ينزل ليكون محسنا الى الدابة فتوضع في ميزان حسناته لا في ميزان المكاري ومن آذى
البهيمة بضرب او حمل ما لا تطيق طولب به في القيمة اذ لكل كبد اجر وقال ابو الدرداء لبعير له
عند الموت ايها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني لم اكن احملك فوق طاقتك وفي النزول
ساعة صدقتان احديهما ترويح الدابة والاخرى ادخال السرور على قلب المكاري وفيه
فائدة اخرى وهي رياضة البدن وتحريك الرجل والحذر من خدر الاعصاب بطول الركوب وينبغي
ان يقرر مع المكاري ما يحمله شيئا شيئا ويعرضه عليه ويستاجر الدابة بعقد صحيح لئلا يثير نزاعا
يؤذي القلب ويحمل على الزيادة في الكلام فما يلفظ العبد من قول الا لديه رقيب عتيد
فليحترز عن كثرة الكلام واللجاج مع المكاري ولا ينبغي ان يحمل فوق المشروط وان خف فان
القليل يجر الى الكثير ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وقال رجل لابن المبارك وهو
على دابته احمل لي هذه الرقعة الى فلان فقال حتى استامر الجمال فاني لم اشارطه على هذه
الرقعة فانظر كيف لم يلتفت الى قول الفقهاء ان هذا مما يتسامح به ولكن سلك طريق الورع
العاشر ينبغي ان يستصحب ستة اشياء قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلعم

اذا سافر حمل معه خمسة اشياء المراة والمكحلة والمدرى والسواك والمشط وفي رواية اخرى عنه
المراة والقارورة والمقراض والسواك والمكحلة والمشط وقالت ام سعد الانصارية كان صلى الله عليه
وسلم لا يفارقه في السفر المراة والمكحلة وقال صهيب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليكم بالاثمد عند مضجعكم فانه مما يزيد في البصر وينبت الشعر وروي انه كان يكتحل ثلاثا
ثلاثا وفي رواية انه كان اكتحل لليمنى ثلاثا وللىسرى ثنتين وقد زادت الصوفية الركوة والحبل
وقال بعض الصوفية اذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه وانما زادوا على هذا
لما راوه من الاحتياط في طهارة الماء وغسل الثياب فالركوة لحفظ الماء الطاهر والحبل لتجفيف
الثوب المغسول ولنزح الماء وكان الاولون يكتفون بالتيمم ويغنون انفسهم عن نقل الماء ولا
يبالون بالوضوء من الغدران ومن المياه كلها ما لم يتيقنوا نجاستها حتى توضأ عمر رضي الله عنه
من ماء في جرة نصرانية وكانوا يكتفون بالارض والجبال عن الحبل ويفترشون الثياب
المغسولة عليها فهذه بدعة الا انها بدعة حسنة وانما البدعة المذمومة ما يصادم السنن الثابتة
اما ما يعين على الاحتياط في السنن فمستحب وقد ذكرنا احكام المبالغة في الطهارات وكتاب
الطهارة وان المتجرد لامر الدين لا ينبغي ان يؤثر طريق الرخصة بل يحتاط في الطهارة ما لم يمنعه
ذلك عن عمل افضل منه وقيل كان الخواص من المتوكلين وكان لا يفارقه اربعة في السفر
والحضر الركوة والحبل والابرة بخيوطها والمقراض وكان يقول هذه ليست من الدنيا الحادي
عشر في آداب الرجوع من السفر كان صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو او حج او غيره
يكبر على كل نشز من الارض ثلث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده
ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده واذا اشرف على مدينة فليقل اللهم اجعل لنا بها قرارا
ورزقا حسنا ثم ليرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكره ولا
ينبغي ان يطرقهم ليلا فقد ورد النهي عنه وكان صلى الله عليه وسلم اذا قدم دخل اولا المسجد
وصلى ركعتين ثم دخل البيت واذا دخل قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا وينبغي
ان يحمل لاهل بيته ولاقاربه تحفة من مطعوم او غيره على قدر امكانه فهو سنة وقد روي
انه ان لم يجد شيئا فليضع في مخلاته حجرا وكان هذا مبالغة في الاستحباب على هذه المكرمة
لان الاعين تمتد الى القادم من السفر والقلوب تفرح به فيتأكد الاستحباب في تأكد فرحهم

واظهار الثقات لعلب في السفر الي ذكرهم بما يستحب في الطريق لهم فهذه جملة من الآداب الظاهرة فاما الآداب الباطنة ففي الفصل الاول بيان لجملة منه وجملته ان لا يسافر الا اذا كان زيادة دينه في السفر ومهما وجد قلبه متغيرا الي نقصان فليقف ولينصرف ولا ينبغي ان يجاوز همه منزله بل منزل حيث نزل قلبه وينوي في دخول كل بلد ان يرى شيوخها ويجتهد ان يستفيد من كل واحد ادبا او كلمة لينتفع به لا ليحكي ويظهر انه لقي الشيوخ ولا يقيم ببلدة اكثر من اسبوع او عشرة ايام الا ان يامر الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس في مدة الاقامة الا الفقراء الصادقين وان كان قصده زيارة اخ فلا يزيد على ثلثة ايام فهو حد الضيافة الا اذا شق على اخيه مفارقته واذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده اكثر من يوم وليلة ولا يشتغل بالعشرة فان ذلك يقطع بركة سفره وكلما دخل البلد فلا يشتغل بشي سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله فان كان في بيته لا يدق عليه بابه ولا يستاذن الي ان يخرج فاذا خرج تقدم بادب ولا يتكلم بين يديه الا ان يساله وان ساله اجاب بقدر السوال ولا يساله عن مسئلة مالم يستاذن اولا واذا كان في السفر فلا يكثر ذكر اطعمة البلدان واسخيائها ولا اصدقائه فيها وليذكر مشايخها وفقراءها ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدها في كل قرية وبلد ولا يظهر حاجته الا بقدر الضرورة مع من يقدر على ازالته ويلازم في الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره واذا كلمه انسان فليترك الذكر وليجبه ما دام يحدثه ثم ليرجع فان تبرمت نفسه بالسفر او بالاقامة فليخالفها فالبركة في مخالفة النفس واذا تيسر له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي ان يسافر تبرما بالخدمة فذلك كفران نعمة ومهما وجد نفسه في نقصان عما كان في الحضر فليعلم ان سفره معلول اذ لو كان لحق لظهر اثره وقال رجل لابي عثمان المغربي خرج فلان مسافرا فقال السفر غربة والغربة ذلة وليس للمومن ان يذل نفسه واشار به الي من ليس له في السفر زيادة دين والا فعز الدين لا ينال الا بعز الغربة فليكن سفر المريد من وطن هواه ومراده وطبعه حتى يعز في هذه الغربة ولا يذل فان من اتبع هواه في سفره ذل لا محالة اما عاجلا واما آجلا

الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات

اعلم ان المسافر يحتاج في اول سفره الي ان يتزود للدنيا وللآخرة اما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج اليه من النفقة فان خرج متوكلا

من غير زاد فلا باس به اذا كان سفره في قافلة او بين قرى متواصلة فان ركب البادية وحده
اربع قوم لا طعام معهم ولا شراب فان كان ممن يصبر على الجوع اسبوعا وعشرا ويقدر على ان
يجتزي بالحشيش فله ذلك وان لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجتزاء بالحشيش
فخروجه من غير زاد معصية فانه القى نفسه بيده الى التهلكة ولهذا سر سياتي في كتاب
التوكل وليس معنى التوكل التباعد عن الاسباب بالكلية ولو كان كذلك لبطل التوكل
بطلب الدلو ونزح الماء من البئر ولوجب ان يصبر حتى يسخر الله ملكا او شخصا آخر حتى يصب
الماء في فيه فان كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل وهو آلة الوصول الى المشروب
فحمل عين المشروب والمطعوم حيث لا ينتظر له وجودا اولى بان لا يقدح فيه وسياتي حقيقة
التوكل في موضعه فانه ملتبس الا على المحققين من علماء الدين واما زاد الآخرة فهو العلم الذي
يحتاج اليه في طهارته وصومه وصلاته وعباداته فلا بد ان يتزود منها اذ السفر تارة يخفف
عليه امورا فيحتاج الى معرفة القدر الذي يخففه السفر كالقصر والجمع والفطر وتارة تشدد
عليه امورا كان مستغنيا عنها في الحضر كالعلم بالقبلة واوقات الصلاة فانه في البلد
يكتفي بغيره من محاريب المساجد واذان المؤذنين وفي السفر قد يحتاج الى ان يتعرف بنفسه
فاذن ما يفتقر الى تعلمه ينقسم الى قسمين القسم الاول العلم برخص السفر والسفر يفيد في الطهارة
رخصتين احديهما مسح الخف والاخرى التيمم وفي صلاة الفرض رخصتين القصر والجمع
وفي النفل رخصتين على الراحلة واداؤه ماشيا وفي الصوم رخصة واحدة وهي الفطر
فهذه سبع رخص الرخصة الاولى المسح على الخفين قال صفوان بن عسال امرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا كنا مسافرين او سفرا ان لا ننزع خفافنا ثلثة ايام ولياليهن وكل
من لبس الخف على طهارة مبيحة للصلوة ثم احدث فله ان يمسح على خفه من وقت حدثه
ثلثة ايام ولياليهن ان كان مسافرا يوما وليلة ان كان مقيما ولكن بخمسة شرايط الاول
ان يكون اللبس بعد كمال الطهارة فلو غسل الرجل اليمنى وادخلها الخف ثم غسل اليسرى
فادخلها الخف لم يجز له المسح عند الشافعي حتى ينزع خفه اليمنى ويعيد لبسه الثاني ان يكون
الخف قويا يمكن المشي عليه ويجوز المسح على الخف وان لم يكن منعلا اذ العادة جارية بالتردد
عليه في المنازل لان فيه قوة على الجملة بخلاف جورب الصوفية فانه لا يجوز المسح عليه وكذا
الجرموق الضعيف الثالث ان لا يكون في موضع فرض الغسل خرق فان تخرقت بحيث

انكشف محل الفرض لم يجز وللشافعي قول قديم انه يجوز مادام يستمسك على الرجل وهو مذهب
مالك ولا باس به لمسيس الحاجة اليه وتعذر الحرز في السفر كل وقت والمداس المنسوج يجوز
المسح عليه مهما كان ساترا لاسود بشر القدم من نفوذه وكذا المسوق الذي يرد على محل الشق
لشرح لان الحاجة تمس الى جميع فلا تعتبر الا ان يكون ساترا الى فوق الكعبين كيف كان فاما
اذا ستر بعض ظهر القدم وستر الباقي باللفاف لم يجز المسح الرابع ان لا ينزع الخف بعد المسح
عليه فان نزع فالاولى له استيناف الوضوء وان اقتصر على غسل القدمين جاز الخامس
ان يمسح على الموضع المحاذي لمحل الفرض في الغسل لا على الساق واقله ما يسمى مسحا على ظهر
القدم من الخف واذا مسح بثلث اصابع خرج من شبهة الخلاف والجملة ان يمسح اعلاه واسفله
دفعة واحدة من غير تكرار لذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه ان يبل اليدين
ويضع رؤس اصابع اليمين من يده على رؤس اصابع اليمنى من رجله ويمسحه بان يجر الى
جهة نفسه ويضع رؤس الاصابع من يده اليسرى على العقب من اسفل الخف ويمده الى
راس القدم ومهما مسح مقيما ثم سافر ومسافرا ثم اقام غلب حكم الاقامة فليقتصر على يوم
وليلة وعدد الايام الثلثة محسوب من وقت حدثه بعد المسح على الخف فلو لبس الخف في
الحضر ومسح في الحضر ثم خرج واحدث في السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلاثة ايام ولياليهن
من وقت الزوال الى الزوال من اليوم الرابع فاذا زالت الشمس اليوم الرابع لم يكن له ان يصلي
الا بعد غسل الرجل فيغسل رجله ويعيد لبس الخف ويراعي وقت الحدث ويستانف
الحساب من وقت الحدث ولو احدث بعد لبس الخف في الحضر ثم خرج بعد الحدث فله ان
يمسح ثلثة ايام لان العادة قد تقتضي اللبس قبل الخروج ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث فاذا
مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيمين ويستحب لكل من يريد لبس خف في حضر
او سفر ان ينكس الخف وينفض ما فيه حذرا من عقرب او حية او شوكة فقد روى عن ابي
امامة انه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخفيه فلبس احدهما فجاء غراب فاحتمل
الاخر ثم رمى به فخرجت منه حية فقال النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم
الاخر فلا يلبس خفه حتى ينفضها الرخصة الثانية التيمم والتراب بدل عن الماء
عند العذر وانما يتعذر الماء بان يكون بعيدا عن المنزل بعدا لو مشى اليه لم يلحقه غوث
القافلة ان صاح واستغاث وهو البعد الذي لا يعتاده اهل المنزل في ترددهم الى التردد

اليه لقضاء الحاجة وكذا ان ينزل على الماء عدوا وسبع فيجوز التيمم وان كان الماء قريبا وكذا
ان احتاج اليه لعطشه في يومه او بعد يومه لفقد الماء بين يديه فله التيمم وكذا ان احتاج
اليه للعطش احد رفقائه فلا يجوز له الوضوء ويلزمه التسليم اما بثمن او بغير ثمن وان كان
يحتاج اليه للقدر حتى يطبخ به مرقا او احتاج اليه ليجمع به الكعك او يطبخ به اللحم لم يجز التيمم
بل عليه ان يجتزي بالكعك اليابس ويترك تناول المرقة ومهما وهب منه الماء وجب قبوله وان
وهب ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من المنة وان بيع بثمن المثل لزمه الشرى وان بيع بغبن لم
يلزمه فاذا لم يكن معه ماء واراد ان يتيمم فاول ما يلزمه طلب الماء مهما جوز الوصول اليه بالطلب
وذلك بالتردد حوالي المنزل والتردد على الرحل وطلب السقاء من الاواني والمطاهر فان
نسي الماء في رحله او نسي بئرا بالقرب منه لزمه اعادة الصلوة لتقصيره في الطلب وان علم
انه يجد الماء في آخر الوقت فالاولى ان يصلي بالتيمم في اول الوقت فان العمر لا يوثق به اول
الوقت رضوان الله تيمم ابن عمر رضي الله عنهما فقيل له اتتيمم وجدران المدينة ينظر اليك فقال
او ابقى ان ادخلها ومهما وجد الماء بعد الشروع في الصلوة لزمه الوضوء ومهما طلب فلم يجد
فليقصد صعيدا طيبا عليه تراب يثور منه غبار وليضرب كفيه عليه بعد ضم اصابعه ضربة
فيمسح بها وجهه ويضرب ضربة اخرى بعد نزع الخاتم وتفريج الاصابع ويمسح بهما يديه الى
مرفقيه فان لم يستوعب بضربة واحدة جميع ساعديه ضرب ضربة اخرى وكيفيته التلطف
ذكرناه في كتاب الطهارة فلا نعيده ثم اذا صلى به فريضة واحدة فله ان يتنفل ما شاء بذلك
التيمم فان اراد الجمع بين الصلوتين فعليه ان يعيد التيمم للصلوة الثانية فلا يصلي فرضين
الا بتيممين ولا ينبغي ان يتيمم لصلوة قبل دخول وقتها فان فعل فعليه اعادة التيمم
ولينو عند مسح الوجه استباحة الصلوة ولو وجد من الماء ما يكفيه لبعض طهارته فليستعمله
ثم ليتيمم بعده تيمما تاما الرخصة الثالثة في صلوة الفريضة القصر وله ان يقتصر في كل يوم
واحد من الظهر والعصر والعشاء على ركعتين ولكن بشروط ثلثة الاول ان يؤديها في اوقاتها
فلو صار قضاء فالاظهر لزوم الاتمام الثاني ان ينوي القصر فلو نوى الاتمام لزمه الاتمام
ولو شك في انه نوى القصر او الاتمام لزمه الاتمام الثالث ان لا يقتدي بمقيم ولا بمسافر متم
فان اقتدى لزمه الاتمام بل ان شك في ان امامه مقيم او مسافر لزمه الاتمام وان تيقن بعده
انه مسافر لزمه الاتمام وان تيقن بعده انه مسافر لان شعار المسافرين لا يخفى فليكن محققا

عند النية وان شك في ان امامه هذ نوى القصر ام لا بعد ان عرف انه مسافر لم يضر ذلك لان
النيات لا يطلع عليها وهذا كله اذا كان في سفر طويل مباح وحد السفر من جهة البداية
والنهاية فيه اشكال فلا بد من معرفته والسفر هو الانتقال من موضع الاقامة مع ربط القصد
بمقصد معلوم قالها ثم وراكب التعاسف ليس له الترخص وهو الذي لا يقصد موضعا معينا
ولا يصير مسافرا ما لم يفارق عمران البلد ولا يشترط ان يجاوز خرابها وبساتينها التي قد يخرج
اهل البلد اليها للتنزه واما القرية فالمسافر منها ينبغي ان يجاوز البساتين المحوطة دون
التي ليست محوطة ولو رجع المسافر الي البلد لاخذ شي نسيه لم يترخص ان كان ذلك وطنه
ما لم يجاوز العمران وان لم يكن ذلك هو الوطن فله الترخص اذ صار مسافرا بالانزعاج والخروج
مرة واما نهاية السفر فباحد امور ثلاثة الاول الوصول الي عمران البلد التي عزم على الاقامة
بها الثاني العزم علي الاقامة ثلثة ايام فصاعدا اما في بلد او صحراء الثالث صورة الاقامة
وان لم يعزم كما اذا اقام علي موضع واحد ثلاثة ايام سوي يوم الدخول لم يكن له الترخص
بعده وان لم يعزم علي الاقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم ان ينجز ولكنه كان يتعوق
ويتاخر فله ان يترخص وان طالت المدة علي اقيس القولين لانه منزعج بقلبه ومسافر عن
الوطن بصورته ولا مبالاة بصورة السوي علي موضع واحد مع انزعاج القلب ولا فرق بين ان
يكون هذا الشغل قتالا او غيره ولا بين ان يطول المدة او يقصر ولا بين ان يتاخر الخروج لمطر
لا يعلم بقاؤه ثلثة ايام او لغيره اذ رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصر في بعض الغزوات
ثمانية عشر يوما علي موضع واحد وظاهر الظن انه لو تمادى القتال لتمادى رخصه اذ لا معنى
للتقدير بثمانية عشر يوما والظاهر ان قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا هذا معنى
السفر واما معنى الطويل فهو ان يكون مرحلتان كل واحدة ثمانية فراسخ وكل فرسخ
ثلثة اميال وكل ميل اربعة الاف خطوة ومعنى المباح ان لا يكون عاقا لوالديه هاربا منهما
ولا هاربا من مالكه ولا يكون المراة هاربة من زوجها ولا ان يكون من عليه الدين هاربا
من المستحق مع اليسار ولا يكون متوجها في قطع طريق او قتل انسان او طلب ادرار حرام
من سلطان او سعي بالفساد بين المسلمين وبالجملة فلا يسافر الانسان الا في غرض
والغرض هو المحرك فان كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولولا ذلك الغرض لكان لا ينبعث لسفر
فسفره معصية ولا يجوز فيه الترخص واما الفسوق في السفر بشرب الخمر وغيره لا يمنع الرخصة

بل كل سفر نهى الشرع عنه فلا يعين عليه بالرخصة ولو كان له باعثان احدهما مباح والآخر محظور
وكان بحيث لو لم يكن الباعث المحظور لكان المباح مستقلا بتحريكه ولكان لا محالة يسافر لاجله
فله الترخص والمتصوفة الطوافون في البلاد من غير غرض صحيح سوى التفرج بمشاهدة البقاع
المختلفة في ترخصهم خلاف والمختار ان لهم الترخص **الرخصة الرابعة** الجمع بين الظهر والعصر
في وقتيهما وبين المغرب والعشاء في وقتيهما فذلك ايضا جائز في كل سفر طويل مباح وفي جوازه
في السفر القصير قولان ثم ان قدم العصر الى الظهر فلينو الجمع قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر
وليقم وعند الفراغ يقيم للعصر ويجدد التيمم ان كان متيمما ولا يفرق بينهما باكثر من تيمم واقامة
فان قدم العصر لم يجز وان نوى الجمع عند التحرم بصلاة العصر جاز عند المزني وله وجه في القياس
اولا مستند لايجاب تقديم النية بل الشرع جوز الجمع وهذا جمع وانما الرخصة في العصر فيكفي
النية فيه واما الظهر فجاري على القانون ثم اذا فرغ من الصلاتين فينبغي ان يجمع بين سنن
الصلاتين اما العصر فلا سنة بعده ولكن السنة التي بعد الظهر يصليها بعد الفراغ من العصر راكبا
او مقيما لانه لو صلى راتبة الظهر قبل العصر انقطعت الموالاة وهي واجبة وان اراد ان يقيم الاربع
المسنونة قبل الظهر والاربعة المسنونة قبل العصر فليجمع بينهما قبل الفريضتين فيصلي سنة
الظهر اولا ثم سنة العصر ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر ثم سنة الظهر ركعتان اللتان ما بعد
الفرض ولا ينبغي ان يهمل النوافل في السفر فما يفوته من ثوابها اكثر مما يناله من الربح وقد خفف
الشرع عليه وجوز له اداءها على الراحلة كيلا يتعوق بسببه عن القافلة وان اخر الظهر الى العصر
فيجري على هذا الترتيب ولا يبالي بوقوع راتبة الظهر بعد العصر في الوقت المكروه لان ما له سبب
لا يكره في هذا الوقت ولذلك يفعل في المغرب والعشاء والوتر اذا قدم واخر فبعد الفراغ من الفرض
يشتغل بجميع الرواتب ويختم الجمع بالوتر وان خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على ادائه
مع العصر جمعا فهو نية الجمع لانه انما يخلو عن هذه النية اما بنية الترك او بنية التاخير عن وقت
العصر وذلك حرام والعزم عليه حرام وان لم يتذكر الظهر حتى خرج وقته اما لنوم واما لشغل فله
ان يؤدي مع العصر ولا يكون عاصيا لان السفر كما يشغل عن فعل الصلاة فقد يشغل عن ذكرها
ويحتمل ان يقال ان الظهر انما يقع اداء اذا عزم على فعلها قبل خروج وقتها لكن الاظهر ان
وقت الظهر والعصر صار مشتركا في السفر بين صلاتين ولذلك يجب على الحائض قضاء الظهر
اذا طهرت قبل الغروب ولذلك ينقدح ان لا يشترط الموالاة ولا الترتيب بين الظهر والعصر

عند تاخير الظهر اما او قدم العصر علي الظهر لم يجز لان ما بعد الفراغ من الظهر هو الذي جعل وقتا
للعصر اذ بعد ان يشتغل بالعصر من هو عازم علي ترك الظهر او تاخيره وعند المطر يجوز للجمع كعذر
السفر وترك الجمعة ايضا من رخص السفر وهي متعلقة بفرايض الصلوات ولو نوي الاقامة بعد
ان صلي العصر فادرك وقت العصر في الحضر فعليه اداء العصر وما مضي انما كان مجزيا بشرط
ان يبقي العذر الي خروج وقت العصر الرخصة الخامسة في التنفل راكبا كان رسول الله
صلي الله عليه وسلم يصلي علي راحلته ايناما توجهت به دابته واوتر صلي الله عليه وسلم علي الراحلة وليس
علي المتنفل الراكب في الركوع والسجود الا الايماء وينبغي ان يجعل سجوده اخفض من ركوعه ولا
يلزمه الانحناء الي حد يتعرض لسقطة بسبب الدابة فان كان في مرقد فليتم الركوع والسجود
فانه قادر عليه واما استقبال القبلة فلا يجب لا في ابتداء الصلوة ولا في دوامها ولكن صوب
الطريق بدل عن القبلة فليكن في جميع صلوته اما مستقبلا للقبلة او متوجها في صوب
الطريق ليكون له جهة يثبت فيها فلو حرف دابته عن الطريق قصدا بطلت صلوته الا اذا
حرفها الي القبلة ولو حرف ناسيا وقصر الزمان لم يبطل وان طال ففيه خلاف وان جمحت الدابة
فانحرفت لم يبطل لان ذلك مما يكثر وقوعه وليس عليه سجود سهو اذ الجماح غير منسوب اليه بخلاف
ما لو حرف ناسيا فانه يسجد للسهو بالايماء الرخصة السادسة التنفل للماشي جائز في
السفر يومي بالركوع والسجود ولا يقعد للتشهد لان ذلك يبطل فايدة الرخصة وحكمه حكم الراكب
لكن ينبغي ان يحرم بالصلوة مستقبلا لان الانحراف في لحظة لا عسر فيه بخلاف الدابة لان في
تحريفها وان كان العنان بيده نوع عسر وربما يكثر الصلوة فيطول عليه ذلك ولا ينبغي ان يمشي
في نجاسة رطبة عمدا فان فعل بطلت صلوته بخلاف ما لو وطي دابة الراكب نجاسة وليس له ان
يشوش المشي علي نفسه بالاحتراز من النجاسات التي لا يخلو عنها الطرق غالبا وكل هارب
من عدو وسيل او سبع فله ان يصلي الفريضة راكبا وماشيا كما ذكرناه في التنفل الرخصة
السابعة الفطر وهي في الصوم فللمسافر ان يفطر الا اذا اصبح مقيما ثم سافر فعليه اتمام
ذلك اليوم وان اصبح مسافرا صايما ثم اقام فعليه الاتمام وان اقام مفطرا فليس عليه الا امساك
بقية نهاره وان اصبح مسافرا علي عزم الصوم لم يلزمه بل له ان يفطر اذا اراد والصوم افضل
من الفطر والقصر افضل من الاتمام للخروج عن شبهة الخلاف ولانه ليس في عهدة القضاء
بخلاف الفطر فانه في عهدة القضاء وربما يتعذر عليه ذلك لعايق فيبقي في ذمته الا اذا كان

يضر به فالافطار افضل فهذه سبعة رخص يتعلق ثلثة منها بالسفر الطويل وهي القصر والفطر
والمسح ثلثة ايام ويتعلق اثنان بالسفر طويلا كان او قصيرا وهي سقوط الجمعة وسقوط القضا
عند اداء الصلوة بالتيمم واما الصلوة النافلة ماشيا وراكبا ففيه خلاف والاصح جوازه في القصير
والجمع بين الصلوتين فيه خلاف والاظهر اختصاصه بالطويل واما صلوة الفرض راكبا وماشيا
للخوف فلا يتعلق بالسفر وكذا اكل الميتة وكذا اداء الصلوة في الحال بالتيمم عند فقد الماء
بل يشترك فيها الحضر والسفر مهما وجدت اسبابها فان قلت فالعلم بهذه الرخص هل يجب
على المسافر تعلمه قبل الترخص او يستحب له ذلك فاعلم انه ان كان عازما على ترك المسح والقصر
والجمع والفطر وترك التنفل راكبا وماشيا لم يلزمه علم شروط الترخص لان الترخص ليس بواجب
واما علم رخصة التيمم يلزمه لان فقد الماء ليس اليه الا ان يسافر على شط نهر يوثق ببقاء ماءه
او يكون معه في الطريق عالم يقدر على استفتائه عند الحاجة فله ان يؤخر الى وقت الحاجة
اما اذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه عالم فيلزمه التعلم لا محالة فان قلت التيمم يحتاج اليه
للصلوة بعد وقتها فكيف يجب علم الطهارة لصلوة بعد لم يجب وربما لا يجب فاقول من بينه
وبين الكعبة مسافة لا يقطع الا في سنة فيلزمه قبل اشهر الحج ابتداء السفر ويلزمه علم المناسك
لا محالة اذا كان يظن انه لا يجد في الطريق من يتعلم منه لان الاصل الحيوة واستمرارها وما لا يتوصل
الى الواجب الا به فهو واجب وكل ما يتوقع وجوبه موقتا ظاهرا غالبا على الظن وله شرط لا يتوصل
اليه الا بتقديم ذلك الشرط على وقت الوجوب فيجب تقديم الشرط لا محالة كعلم المناسك
قبل وقت الحج وقبل مباشرته فلا يحل اذن للمسافر ان ينشئ السفر ما لم يتعلم هذا القدر
من علم التيمم وان كان عازما على سائر الرخص فعليه ان يتعلم ايضا القدر الذي ذكرناه من سائر
الرخص فانه اذا لم يعلم القدر الجائز في رخصة السفر لم يمكنه الاقتصار عليه فان قلت
ان لم يتعلم كيفية التنفل راكبا وماشيا ماذا يضره وغايته اذا صلى ان يكون صلوته فاسدة
وهي غير واجبة فكيف يكون علمها واجبا فاقول من الواجب ان لا يصلي النفل على نعت الفساد
كالتنفل مع الحدث والنجاسة والى غير القبلة ومن غير اتمام شروط الصلوة واركانها حرام
فعليه ان يتعلم ما يحترز به عن النافلة الفاسدة حذرا عن الوقوع في المحظور فهذا بيان
علم ما خفف على المسافر في سفره القسم الثاني ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر وهو
علم القبلة والاوقات وذلك ايضا واجب في الحضر ولكن في الحضر من يكفيه من محراب متفق عليه

تعينه عن طلب القبلة ومؤذن يراعي الوقت فيعينه عن طلب علم الوقت والمسافر قد تشتبه عليه القبلة وقد يلتبس عليه الوقت فلابد له من العلم بادلة القبلة والمواقيت اما ادلة القبلة فهي ثلثة اقسام ارضية كالاستدلال بالجبال والقرى والانهار او هوائية كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها وصبائها ودبورها او سماوية وهي النجوم فاما الارضية والهوائية فتختلف بالبلاد فرب طريق فيها جبل مرتفع يعلم انه على يمين المستقبل او شماله او ورائه او قدامه فليتعلم ذلك اذ لكل بلد وامر حكم آخر واما السماوية فادلتها ينقسم الي نهارية والي ليلية اما النهارية فالشمس لابد وان يراعي قبل الخروج من البلد ان الشمس عند الزوال اين تقع منه اهي بين الحاجبين او هي على العين اليمنى او اليسرى او تميل الي الجبين ميلا اكثر من ذلك فان الشمس لا تعدو في البلاد الشماليه هذه المواقع فاذا حفظ ذلك فمهما عرف الزوال بدليله الذي سنذكره عرف القبلة به وكذلك راعي موقع الشمس منه وقت العصر فانه في هذين الوقتين يحتاج الي القبلة بالضرورة وهذا ايضا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه واما القبلة وقت المغرب انما يدرك بموضع الغروب وهو بان يحفظ ان الشمس يغرب عن يمين المستقبل او هو مائل الي وجهه او قفاه وبالشفق ايضا يعرف القبلة للعشاء الآخرة وبمشرق الشمس يعرف القبلة لصلوة الصبح فكان الشمس يدل على القبلة في الصلوات الخمس ولكن يختلف ذلك بالشتاء والصيف فان المشارق والمغارب كثيرة وان كانت محصورة في جهتين فلابد من يعلم ذلك ايضا ولكن قد يصلى المغرب والعشاء بعد غيبة الشفق فلا يمكنه ان يستدل على القبلة فعليه ان يراعي موقع القطب وهو الكوكب الذي يقال له الجدي فانه كوكب كالثابت لا يظهر حركته عن موضعه وذلك اما ان يكون على قفاء المستقبل او على منكبه الايمن من قفاه او منكبه الايسر في البلاد الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية كيمن وما والاها فيقع في مقابلة المستقبل فيتعلم ذلك وما عرفه في بلده فليعول عليه في الطريق كله الا اذا طال السفر فان المسافة اذا بعدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب وموقع المشارق والمغارب الا انه ينتهي في اثناء السفر الي بلاد فينبغي ان يسأل اهل البصيرة او يراقب هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتعلم له ذلك فمها تعلم هذه الادلة فله ان يعول عليه فان بان له انه اخطأ من جهة القبلة الي جهة اخرى من الجهات الاربع فليقض وان اعرف عن حقيقة محاذاة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء وقد اورد

الفقهاء خلافا في المطلوب جهة الكعبة ام عينها واشكل معناه على قوم اذ قالوا ان قلنا
المطلوب العين فمتى يتصور هذا مع بعد الديار وان قلنا المطلوب الجهة فالواقف في المسجد ان
استقبل جهة الكعبة وهو خارج ببدنه عن موازاة الكعبة لاخلاف في انه لا يصح صلوته وقد طولوا
في تاويل معنى الخلاف في الجهة والعين ولابد اولا من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة
ومعنى مقابلة العين ان تقف موقفا لو خرج خط مستقيم من بين عينيه الى جدار الكعبة لاتصل
به وحصل من جانبي الخط زاويتان متساويتان وهذه صورته والخط الخارج من موقف المصلي
مداه خارج من بين عينيه فهذه صورة مقابلة العين فاما مقابلة الجهة فيجوز فيها ان يتصل
طرف الخط الخارج من بين العينين الى الكعبة من غير ان يتساوى الزاويتان عن جنبتي الخط
بل لا يتساوى الزاويتان الا اذا انتهى الخط الى نقطة معينة هي واحدة فلو مد هذا الخط على
الاستقامة الى ساير النقط من يمينها او شمالها كانت احدى الزاويتين اضيق فيخرج عن مقابلة
العين ولكن لا يخرج عن مقابلة الجهة كالخط الذي كتبنا عليه مقابلة الجهة فانه لو قدر الكعبة
على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلا لجهة الكعبة لا لعينها وحد تلك الجهة ما يقع
بين خطين يتوهمهما خارجين من العينين يلتقي طرفاهما في داخل الراس بين العينين على
زاوية قايمة فما يقع بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل في الجهة وسعة ما بين
الخطين تتزايد بطول الخطين وبالبعد عن الكعبة وهذه صورته فاذا فهم معنى الجهة والعين
فاقول الذي يصح عندنا في الفتوى ان المطلوب العين ان كانت الكعبة مما يمكن رويتها وان
كان يحتاج الى الاستدلال عليها لتعذر رويتها فيكفي استقبال الجهة فاما طلب العين
عند المشاهدة فمجمع عليه واما الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فيدل عليه الكتاب والسنة
وفعل الصحابة والقياس اما الكتاب فقوله تعالى وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره اي نحوه
ومن قابل جهة الكعبة فقد ولى وجهه شطرها واما السنة فما روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال لاهل المدينة ما بين المشرق والمغرب قبلة والمغرب يقع على يمين اهل المدينة
والمشرق على يسارهم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقع بينهما قبلة ومساحة الكعبة
لا تفي بما بين المشرق والمغرب وانما تفي بجهتها وروي هذا اللفظ ايضا عن عمر وابن عمر واما فعل
الصحابة فما روي ان اهل مسجد قباء كانوا في صلوة الصبح بالمدينة مستقبلين لبيت المقدس
مستدبرين الكعبة لان المدينة بينهما فقيل لهم قد حول القبلة الى الكعبة فاستداروا في اثناء

الصلوة من غير طلب دلالة ولم ينكر عليهم وسمي مسجدهم ذا القبلتين ومقابلة العين من مدينة
الي مكة لا يعرف بالادلة هندسية يطول النظر فيها فكيف ادركوه علي البديهة في اثناء الصلوة
في ظلمة الليل ويدل ايضا من فعلهم انهم بنوا المساجد حوالي مكة وفي ساير بلاد الاسلام ولم
يحضروا قط مهندسا عند تسوية المحراب ومقابلة العين لا تدرك الا بدقيق النظر الهندسي واما
القياس فلحاجات تمس الي الاستقبال وبناء المساجد في جميع اقطار الارض ولا يمكن مقابلة
العين هندسية لم يرد الشرع بالنظر فيها بل ربما زجر عن التعمق في علمها فكيف يبنى امر الشرع عليها
بالجهة للضرورة واما دليل صحة الصورة التي صورناها وهو حصر جهات العالم في اربعة قوله صلعم
في قضاء الحاجة لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا او غربوا وقال هذا بالمدينة
والمشرق علي يسار المستقبل بها والمغرب علي يمينها فهي عن جهتين ورخص في جهتين ومجموع
ذلك اربع جهات ولم يخطر ببال احد ان جهات العالم يمكن ان تفرض ستة وسبعة وعشرة
وكيف ما اريد فما حكم الباقي بل الجهات تثبت في الاعتقادات بناء على خلقة الانسان
وليس له الا قدام وخلف ويمين وشمال وهي اربعة فكانت الجهات بالاضافة الي الانسان
في ظاهر النظر اربعة والشرع لا يبنى الا على مثل هذه الاعتقادات فظهر ان المطلوب الجهة وذلك
يسهل امر الاجتهاد وتعلم ادلة القبلة فاما مقابلة العين فانما يعرف بمعرفة مقدار عرض مكة
عن خط الاستواء ومقدار درجات طوله وهو بعده عن اول عمارة في المشرق ثم يعرف ذلك
ايضا في موقف المصلي ثم يقابل احدهما بالآخر ويحتاج الي الات واسباب طويلة والشرع غير
مبني عليها قطعا فاذن القدر الذي لا بد من تعلمه من ادلة القبلة موقع المشرق والمغرب والزوال
وموقع الشمس وقت العصر فبهذا يسقط الوجوب فان قلت فلو خرج المسافر من غير تعلم ذلك
هل يعصي فاقول ان كان طريقه علي قرى متصلة فيها محاريب او كان معه في الطريق بصير
بادلة القبلة موثوق بعدالته وبصيرته يقدر علي تقليده فلا يعصي وان لم يكن شيء من ذلك عصى
لانه سيتعرض لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره فان تعلم
هذه الادلة واستبهم عليه الامر بغيم مظلم او ترك التعلم ولم يكن في الطريق من يقلده فعليه ان
يصلي في الوقت علي حسب حاله ثم عليه القضاء سواء اصاب او اخطأ والاعمى ليس له الا التقليد
فليقلد من يوثق بدينه وبصيرته ان كان مقلده مجتهدا في القبلة وان كانت القبلة ظاهرة
فله اعتماد قول كل عدل يشير اليه في حضر او سفر وليس للاعمى ولا للجاهل ان يسافر في قافلة

ليس فيها من يعرف ادلة القبلة حيث يحتاج الي الاستدلال كما ليس للعامي ان يتيمم ببلد ليس فيها
فقيه عالم بتفصيل الشرع بل يلزمه الهجرة الي حيث يجد من يعلمه دينه وكذا ان لم يكن في البلد الا مفتي
فاسق فعليه الهجرة اذ لا يجوز له اعتماد فتوي الفاسق بل العدالة شرط لجواز قبول الفتوى كما في
الرواية وان كان معروفا بالفقه مستور الحال عليه في العدالة والفسق فله القبول مهما لم يجد من له
عدالة ظاهرة لان المسافر في البلاد لا يقدر ان يبحث عن عدالة المفتين فان رآه لابسا للحرير او ما تغلب
عليه الابريسم او راكبا لفرس عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه ويمتنع عليه قبول قوله فليطلب غيره وكذلك
اذا رآه ياكل علي مائدة سلطان اغلب ماله حرام او ياخذ منه ادرارا او صلة من غير ان يعلم ان الذي
ياخذ من وجه حلال وكل ذلك فسق يقدح في العدالة ويمنع من قبول الفتوى والرواية والشهادة
واما موقت الاوقات للصلوات الخمس فلا بد منه ووقت الظهر يدخل بالزوال فان كل شخص
يقع له في ابتداء النهار ظل مستطيل في جانب المغرب ثم لا يزال ينقص الي الزوال ثم ياخذ في
الزيادة في جهة المشرق ولا يزال يزيد الي الغروب فليتعلم المسافر في موضع او لينصب خشبة وليعلم
علي راس الظل ثم لينظر بعد ساعة فان راه في النقصان فلم يدخل بعد وقت الصلوة وطريقه
ان ينظر في البلد وقت اذان المؤذن المعتمد ظل قامته واذا كانت مثلا ثلثة اقدام بقدمه فهما
صار كذلك في السفر واخذ في الزيادة صلي فاذا زاد عليه ست اقدام ونصف دخل وقت العصر اذ
ظل كل شخص بقدمه سبعة اقدام ونصف بالتقريب ثم ظل الزوال يزيد كل يوم ان كان سفره من اول
الصيف وان كان من اول الشتاء ينقص كل يوم فاحسن ما يعرف به ظل الزوال الميزان فليستصحبه
المسافر وليتعلم اختلاف الظل به في كل وقت وان عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة
وقت الزوال وكان في السفر في موضع ظهرت القبلة فيها بدليل آخر يمكنه ان يعرف الوقت
بالشمس بان يصير بين عينيه مثلا ان كان كذلك في البلد واما وقت المغرب فيدخل بالغروب
ولكن قد يحجب الجبال المغرب عنه فينبغي ان ينظر الي جانب المشرق فمهما ظهر سواد في
الافق مرتفع من الارض قيد رمح فقد دخل وقت المغرب واما العشاء فيعرف بغيبوبة الحمرة فان
كانت محجوبة عنه بجبال فيعرفه بظهور الكواكب الصغار وكثرتها فان ذلك يكون بعد غيبوبة
الحمرة واما الصبح فيبدو في الاول مستطيلا كذنب السرحان فلا حكم له الي ان ينقضي زمان
ثم يظهر بياض معترض لا يعسر ادراكه بالعين لظهوره فهو اول الوقت قال صلى الله عليه وسلم ليس
الصبح هكذا وجمع كفه وانما الصبح هكذا ووضع احدى سبابتيه علي الاخرى وفتحهما واشار به الي

معترض وقد يستدل عليه بالمنازل وهو تقريب لا تحقيق فيه بل الاعتماد على مشاهدة انتشار
البياض عرضا لان قوما ظنوا ان الصبح يطلع قبل الشمس باربع منازل وهذا خطا فان
ذلك هو الصبح الكاذب والذي ذكره المحققون انه يتقدم على الشمس بمنزلتين وهذا تقريب ولكن
لا اعتماد عليه فان بعض المنازل يطلع معترضة منحرفة فيقصر زمان طلوعها وبعضها منتصب
فيطول زمان طلوعها ويختلف ذلك في البلاد اختلافا يطول ذكره نعم يصلح المنازل لان
نعلم بها قرب وقت الصبح وبعده فاما حقيقة اول الصبح فلا يمكن ضبطه بمنزلتين اصلا وعلى
الجملة فاذا بقيت اربع منازل الى طلوع قرص الشمس فبمقدار منزل ستعلم انه الصبح الكاذب واذا
بقي قريب من منزلتين يتحقق طلوع الصبح الصادق ويبقى بين الصبحين قدر ثلثي منزل بالتقريب
يشك فيه انه من وقت الصبح الصادق او الكاذب وهو مبدا ظهور البياض وانتشاره قبل
اتساع عرضه فمن وقت الشك ينبغي ان يترك الصائم السحور ويقدم القائم الوتر عليه
ولا يصلي صلوة الصبح حتى ينقضي مدة الشك فاذا تحقق صلى ولو اراد مريد ان يقدر على التحقيق
وقتا معينا يشرب فيه متسحرا ويقوم عقيبه ويصلي الصبح متصلا به فليس يقدر على ذلك في
قوة البشر اصلا بل لا بد من مهلة للتوقف والشك ولا اعتماد الا على العيان ولا اعتماد في
العيان الا على ان يصير الضوء منتشرا في العرض حتى يبدو مبادي الصفرة وقد غلط في هذا
جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت ويدل عليه ما روى ابو عيسى الترمذي في جامعه عن
طلق بن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع المصعد
وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الاحمر وهذا تصريح برعاية الحمرة وقال وفي الباب عن عدي
بن حاتم وابي ذر وسمرة وهو حديث حسن غريب والعمل على هذا عند اهل العلم وقال ابن
عباس كلوا واشربوا ما دام الضوء ساطعا قال صاحب الغريبين اي مستطيلا فاذن لا ينبغي
ان يعول الا على ظهور الصفرة وكانها مبادي الحمرة وانما يحتاج المسافر الى معرفة الاوقات لانه
قد يبادر بالصلوة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه النزول او قبل النوم حتى يستريح فان من وطن
نفسه على تاخير الصلوة الى ان يتيقن فيسمح بفوات فضيلة اول الوقت ويتجشم كلفة النزول
وكلفة تاخير النوم استغنى عن تعلم علم الاوقات فان المشكل اوائل الاوقات لا اوساطها

تم كتاب آداب السفر ولله الحمد والمنة وصلواته على
خير خلقه محمد وآله وصحبه اجمعين آمين

وهو الكتاب الثامن من ربع العادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي احرق قلوب اوليائه بنور محبته واسترق هممهم وارواحهم بالتشوق الي لقائه
ومشاهدته ووقف ابصارهم وبصايرهم علي ملاحظة جمال حضرته حتى اصبحوا من تنسم روح الوصال
سكرى واصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهة حيرى فلم يروا في الكونين شيا
سواه ولم يذكروا في الدارين الا اياه ان سنحت لابصارهم صورة عبرت الي المصور بصايرهم وان
قرعت اسماعهم نغمة سبقت الي المحبوب سرايرهم وان ورد عليهم صوت مزعج او مقلق او مطرب
او محزن او مبهج او مشوق لم يكن انزعاجهم الا اليه ولا طربهم الا به ولا قلقهم الا عليه ولا حزنهم الا فيه
ولا شوقهم الا الي ما لديه ولا انبعاثهم الا له ولا ترددهم الا حواليه فمنه سماعهم واليه استماعهم وقد اقفلت
عن غيره ابصارهم واسماعهم اوليك الذين اصطفاهم الله لولايته واستخلصهم من بين اصفيائه
وخاصته والصلوة على محمد المبعوث برسالته وعلى آله واصحابه ائمة الحق وقادته وسلم كثيرا

اما بعد فان القلوب والسراير خزاين الاسرار ومعادن الجواهر وقد طويت فيها جواهرها
كما طويت النار في الحديد والحجر واخفيت كما اخفي الماء تحت التراب والمدر ولا سبيل لاستثارة
خفاياها الا بقوادح السماع ولا منفذ الي القلوب الا من دهليز الاسماع فالنغمات الموزونة المستلذة
تخرج ما فيها وتظهر محاسنها ومساويها فلا يظهر من القلب عند التحريك الا ما يحويه كما لا يرشح الاناء
الا بما فيه فالسماع للقلب محك صادق ومعيار ناطق فلا يصل نفس السماع اليه الا وقد تحرك فيه ما هو الغالب
عليه واذا كانت القلوب بالطباع مطيعة للاسماع حتى ابدت بوارداتها مكامنها وكشفت به عن
مساويها ومحاسنها وجب شرح القول في السماع والوجد وبيان ما فيهما من الفوايد والآفات وما
يتطرق اليهما من اختلاف العلماء في انهما من المحظورات او المباحات ونحن نوضح ذلك في بابين

الباب الاول في اباحة السماع الباب الثاني

في آدابه وآثاره في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والزعقة وتمزيق الثياب

الباب الاول في ذكر اختلاف العلماء في اباحة السماع وكشف الحق فيه

بيان اقاويل العلماء والمتصوفة في تحليله وتحريمه اعلم ان السماع هو اول الامر
ويثمر السماع حالة في القلب يسمى الوجد ويثمر الوجد تحريك الاطراف اما بحركة غير موزونة فيسمى الاضطراب

واما موزونه فيسمى التصنيف والرقص فلنبدا بحكم السماع فهو الاولى وننقل فيه الاقاويل المعربة عن
المذاهب فيه ثم نذكر الدليل على اباحته ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القايلون بتحريمه اما نقل المذاهب
فقد حكى القاضي ابو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وابي حنيفة وسفيان وجماعة من العلما
الفاظا يستدل بها على انهم راوا تحريمه وقد قال الشافعي في كتاب ادب القضا ان الغنا
لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضي ابو الطيب استماعه
من المراة التي ليست بمحرم لا يجوز عند اصحاب الشافعي بحال سواء كانت مكشوفة او من ورا حجاب
وسواء كانت حرة او مملوكة وقال الشافعي صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه
ترد شهادته وقد حكى عن الشافعي انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة
ليشتغلوا به عن القرآن وقال الشافعي ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد اكثر مما يكره بشيء من
الملاهي ولا احب اللعب بالشطرنج واكره كل ما يلعب به الناس لان اللعب ليس من صنعة
اهل الدين ولا المروة واما مالك فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية
كان له ردها ومذهب ساير اهل المدينة الا ابرهيم بن سعد وحده واما ابو حنيفة فانه
كان يكره ذلك ويجعل سماع الغنا من الذنوب وكذلك ساير اهل الكوفة سفيان الثوري
وحماد وابرهيم والشعبي وغيرهم وهذا كله نقله ابو الطيب الطبري ونقل ابو طالب المكي
اباحة السماع عن جماعة فقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وابن الزبير والمغيرة بن شعبة
ومعوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف صحابي وتابعي باحسان وقال لم يزل
الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في افضل ايام السنة وهي الايام المعدودات التي امر
الله فيها عباده بذكره كايام التشريق ولم يزل اهل المدينة مواظبين كاهل مكة على السماع الى
زماننا هذا فادركنا ابا مروان القاضي وله جوار يسمعن الناس التلحين قد اعدهن للصوفية
قال وكان لعطاء جاريتان يلحنان فكان اخوانه يستمعون اليهما قال وقيل لابي الحسن
بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي وذو النون يسمعون وقال كيف
انكر السماع وقد اجازه وسمعه من هو خير مني فقد كان عبد الله بن جعفر يسمع وانما انكر اللهو
واللعب في السماع وروي عن يحيى بن معاذ انه قال فقدنا ثلاثة اشيا فلا نراها تزداد الا
قلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الاخا مع الوفا ورايت في بعض
الكتب هذا بعينه محكيا عن المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصونه وجده

في الدين ويتمرن قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة الا ان يكون فيها سماع وحكى عن واحد انه
قال اجتمعنا في دعوة ومعنا ابو القاسم ابن بنت منيع وابو بكر بن ابي داود وابن مجاهد في نظرائهم
فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن ابي داود في ان يسمع فقال ابن ابي داود
حدثني ابي عن احمد بن حنبل انه كره السماع وكان ابي يكرهه وانا على مذهب ابي فقال ابو القاسم
ابن بنت منيع اما جدي احمد بن منيع فقال حدثني عن صالح بن احمد ان اباه كان يسمع قول ابن
الخبازة فقال ابن مجاهد لابن ابي داود دعني انت من ابيك وقال لابن بنت منيع دعني من
جدك ايش تقول يا ابا بكر فيمن انشد بيت شعر اهو حرام فقال ابن ابي داود لا قال فان كان
حسن الصوت حرم انشاده قال لا قال فان انشده وطوله وقصر منه الممدود ومد منه المقصور
يحرم عليه قال انا لم اقو لشيطان واحد فكيف اقوى لشيطانين قال وكان ابو الحسن العسقلاني
الاسود من الاولياء يسمع ويوله عند السماع وصنف فيه كتابا ورد فيه على منكره وحكى عن بعض
الشيوخ انه قال رايت ابا العباس الخضر عليه السلم فقلت له ما تقول في هذا السماع الذي اختلف
فيه اصحابنا فقال هو الصفاء الزلال الذي لا يثبت عليه الا اقدام العلماء وحكى عن ممشاد الدينوري
انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله هل ينكر من هذا السماع شيئا
فقال ما انكر منه شيئا ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن وحكى عن طاهر
بن بلال الهمداني الوراق وكان من اهل العلم انه كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرايت
يوما طايفة يقولون في جانب منه قولا ويسمعون فانكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت
الله يقولون الشعر قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية
والى جنبه ابو بكر الصديق رضي الله عنه واذا ابو بكر يقول شيئا من القول والنبي صلى الله عليه وسلم
يستمع اليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي ان انكر على اولئك
الذين كانوا يسمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع وابو بكر يقول فالتفت الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال هذا حق بحق او حق من حق انا اشك فيه وقال الجنيد تنزل الرحمة
على هذه الطايفة في ثلثه مواضع عند الاكل لانهم لا ياكلون الا عن فاقة وعند المذاكرة لانهم
لا يتحاورون الا في مقامات الصديقين وعند السماع لانهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا
وعن ابن جريج انه كان يرخص في السماع فقيل له يؤتى به يوم القيمة في جملة حسناتك او
سيئاتك فقال لا في الحسنات ولا في السيئات لانه شبيه باللغو قال الله تعالى لا يواخذكم

الله باللغو في ايمانكم هذا ما نقل من الاقاويل ومن طلب الحق في التقليد مهما استقصى تعارضت
عنده هذه الاقاويل فيبقى متحيرا او مايلا الى بعض الاقوال بالتشهي وكل ذلك قصور بل ينبغي ان
يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والاباحة كما سنذكره بيان الدليل
على اباحة السماع اعلم ان قول القايل السماع حرام معناه ان الله تعالى يعاقب عليه وهذا امر
لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة في النص والقياس على المنصوص
واعني بالنص ما اظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله او فعله وبالقياس المعنى المفهوم
من الفاظه وافعاله فان لم يكن نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه
وبقي فعلا لا حرج فيه كساير المباحات ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس ويتضح ذلك
في جوابنا عن ادلة المايلين الى التحريم ومهما تم الجواب عن ادلتهم كان مسلكا كافيا في اثبات
الغرض لكن نستفتح ونقول قد دل القياس والنص جميعا على اباحته اما القياس فهو ان الغنا
اجتمعت فيه معاني ينبغي ان يبحث عن آحادها ثم عن مجموعها فان فيه سماع صوت طيب
موزون مفهوم المعنى محرك للقلب فالوصف الاعم انه صوت طيب ثم الطيب ينقسم الى الموزون
وغيره والموزون ينقسم الى المفهوم كالاشعار والى غير المفهوم كاصوات الجمادات وساير الحيوانات
اما سماع الصوت الطيب من حيث انه طيب فلا ينبغي ان يحرم بل هو حلال بالنص والقياس
اما القياس فانه يرجع الى تلذذ حاسة السمع بادراك ما هو مخصوص به وللانسان عقل
وحواس خمس ولكل حاسة ادراك وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذ فلذة البصر في المبصرات
الجميلة كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن وبالجملة ساير الالوان الجميلة وهي في مقابلة
ما يكره من الالوان الكدرة القبيحة وللشم الروايح الطيبة وهي في مقابلة الانتان المستكرهة
وللذوق الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة وهي في مقابلة المرارة والمزازة
المستبشعة وللمس لذة اللين والنعومة والملاسة وهي في مقابلة الخشونة والضراسة
وللعقل لذة العلم والمعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة فكذلك الاصوات المدركة
بالسمع تنقسم الى مستلذة كصوت العنادل والمزامير ومستكرهة كنهيق الحمار وغيرها فما
اظهر قياس هذه الحاسة ولذاتها على ساير الحواس ولذاتها فاما النص فيدل على اباحة
سماع الصوت الحسن امتنانا بالله تعالى على عباده به اذ قال يزيد في الخلق ما يشاء
فقيل هو الصوت الحسن وفي الحديث ما بعث الله نبيا الا حسن الصوت وقال صلى الله عليه وسلم

لله اشد اذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته وفي الحديث في معرض
المدح لداود عليه السلم انه كان حسن الصوت حتى في النياحة على نفسه وفي تلاوة الزبور
كان يجتمع الانس والجن والوحوش والطير لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه اربعمائة جنازة وما
يقرب منه في الاوقات وقال النبي صلى الله عليه وسلم في مدح ابي موسى لقد اعطي مزمارا من مزامير
آل داود وقول الله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن
ولو جاز ان يقال انما ابيح ذلك بشرط ان يكون في القرآن للزم ان يحرم صوت العندليب لانه
ليس من القرآن واذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة
والمعاني الصحيحة وان من الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت من حيث انه طيب حسن الدرجة
الثانية النظر في الصوت الطيب الموزون فان الوزن وراء الحسن فكم من صوت حسن
خارج عن الوزن وكم من صوت موزون غير مستطاب فالاصوات الموزونة باعتبار مخارجها
ثلثة فانها اما ان تكون خارجة من جماد كصوت المزامير والاوتار وضرب القضيب والطبل
وغيرها واما ان تخرج من حنجرة حيوان وذلك الحيوان اما انسان او غيره كالعنادل والقماري
وذوات السجع من الطير مع طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع فلذلك يستلذ سماعها
والاصل في الاصوات حناجر الحيوانات وانما وضعت المزامير على صوت الحناجر وهو تشبيه
للصنعة بالخلقة وما من شيء توصل اهل الصناعات الى تصويره الا وله مثال في الخلقة التي
استاثر الله تعالى باختراعها فمنه تعلم الصناع وبه قصدوا الاقتداء وشرح ذلك يطول فسماع
هذه الاصوات يستبعد ان يحرم لكونها طيبة او موزونة ولا ذاهب الى تحريم صوت العندليب
وساير الطيور ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان فينبغي ان يقاس على صوت
العندليب الاصوات الخارجة من ساير الاجسام باختيار الآدمي كالذي يخرج من حلقه او
من القضيب والطبل والدف وغيره ولا يستثنى الا الملاهي والاوتار والمزامير اذ ورد الشرع
بالمنع عنها لا للذتها اذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به الانسان لكن حرمت الخمور
فاقتضت ضراوة الناس بها المبالغة في الفطام عنها حتى انتهى الامر في الابتداء الى كسر الدنان
فحرم معها ما هو من شعار اهل الشرب وهي الاوتار والمزامير فقط وكان تحريمه من قبيل
الاتباع كما حرمت الخلوة لانها مقدمة الجماع وحرم النظر الى الفخذ لاتصاله بالسوءتين وحرم
قليل الخمر وان كان لا يسكر لانه يدعو الى السكر وما من حرام الا وله حرم يطيف به وحكم الحرمة

ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له وحصارا مانعا حوله كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك
حمى وان حمى الله محارمه فهي محرمة تابعة لتحريم الخمر لثلث علل احديها انها تدعو الى شرب الخمر
فان اللذة الحاصلة بها انما تتم بالخمر وبمثل هذه العلة حرم قليل الخمر الثانية انها في قرب العهد
لشرب الخمر تذكر مجالس الانس بالشرب وهو سبب الذكر والذكر سبب انبعاث الشوق والشوق
اذا قوي سبب الاقدام وبهذه العلة نهي في الابتداء عن المزفت والحنتم وهي الاواني التي
كانت مخصوصة بها بهيآتها فانها مشاهدة صورتها تذكر وهذه العلة تفارق الاولى اذ ليس فيها
اعتبار لذة اذ لا لذة في روية القنينة واواني الشرب الا انها تذكر الشرب فان كان السماع يذكر
الشرب تذكيرا تشوق الى الخمر عند من الف ذلك مع الشرب فهو منهي عن السماع لخصوص هذه العلة
الثالثة الاجتماع عليها لما ان صار من عادة اهل الفسق فيمنع التشبه بهم لان من تشبه بقوم
فهو منهم وبهذه العلة نقول تترك السنة مهما صارت شعارا لاهل البدعة خوفا من التشبه بهم وبهذه
العلة يحرم ضرب الكوبة وهي طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة
المخنثين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحج والغزو وبهذه العلة نقول لو اجتمع جماعة
وزينوا مجلسا واحضروا آلات الشرب واقداحها وصبوا فيها السكنجبين ونصبوا ساقيا
يدور عليهم ويسقيهم فياخذون من الساقي ويشربون ويحيون الجميع ويحيونهم بكلماتهم
المعتادة بينهم حرم ذلك وان كان المشروب مباحا لان فيه تشبها باهل الفساد بل لهذا ينهى
عن لبس القباء وعن حلق الشعر عن الراس قزعا في بلاد صار القبا من لبس اهل الفساد
ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد اهل الصلاح ذلك فيهم فبهذه المعاني حرم المزمار
العراقية والاوتار كلها كالصنج والرباب والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها
كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها
صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده اهل الشرب لان ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكرها
ولا تشوق اليها ولا توجب التشبه بارباها فلم يكن في معناها فبقي على اصل الاباحة قياسا
على اصوات الطير وغيرها بل اقول سماع الاوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب حرام وبهذا
يتبين انه ليست العلة في تحريمه مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها الا
ما في تحليله فساد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده الآية فهذه الاصوات لا تحرم
من حيث انها اصوات موزونة وانما تحرم بعارض آخر كما سياتي في العوارض المحرمة الدرجة الثالثة

١

٥٠

الموزون المفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج الا من حنجرة الانسان فيقطع باباحة ذلك لانه ما
زاد الا كونه مفهما والكلام المفهم غير حرام والصوت الطيب الموزون غير حرام فاذا لم يحرم الاحاد
فمن اين تحريم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه فان كان فيه امر محذور حرم نثره ونظمه وحرم التصويت
به سواء كان بالحان او لم يكن والحق فيه ما قال الشافعي رضي الله عنه اذ قال الشعر كلام فحسنه حسن
وقبيحه قبيح ومهما جاز انشاد الشعر بغير صوت حسن والحان جاز انشاده مع الالحان فان
افراد المباحات اذا اجتمعت كان مباحا ومهما انضم مباح الى مباح لم يحرم الا اذا تضمن المجموع
محذورا لا يتضمنه الاحاد ولا محذور ههنا وكيف ينكر انشاد الشعر وقد انشد بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال صلعم ان من الشعر لحكمة وانشدت عايشة رضي الله عنها ذهب الذين
يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب وروي في الصحيحين عن عايشة رضي الله عنها
انها قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك ابو بكر وبلال وكان بها وباء فقلت
يا ابه كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول الا ليت شعري هل ابيتن ليلة
بواد وحولي اذخر وجليل وهل اردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل قالت
عايشة فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة
وكان صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بنيان المسجد وهو يقول هذا الحمال لا حمال خيبر
هذا ابر ربنا واطهر وقال ايضا اللهم ان الاجر اجر الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة والبيتان
في الصحيحين وكان النبي صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قايما
يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او ينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يويد حسان
بروح القدس ما نافح او فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما انشده النابغة شعره
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك وقالت عايشة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتناشدون الاشعار وهو يتبسم وعن عمرو بن الشريد عن ابيه قال انشدت النبي صلى الله عليه وسلم
مائة قافية من قول امية بن ابي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال ان كاد في شعره ليسلم وعن
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدى له في السفر وان انجشة كان يحدو بالنساء والبراء بن
مالك كان يحدو بالرجال فقال صلى الله عليه وسلم يا انجشة رويدك سوقك بالقوارير ولم يزل الحداء
وراء الجمال من عادات العرب في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو الا اشعار تؤدى
باصوات طيبة والحان موزونة ولم ينقل عن احد من الصحابة انكاره بل ربما كانوا يلتمسونه تارة

هذا البيت م

الوعك شدة الحر وادنى الحمى ووجعها ١٢

وكان ابو بكر اذا اخذته الحمى يقول شعره
مصبح في اهله والموت ادنى من شراك نعله

او اشد وانقل حميها فاجعلها في الجحفة

وفي زمان الصحابة

لتحريك الجمال وتارةً للاستلذاذ فلا يجوز ان يحرم من حيث انه كلام مفهوم مستلذ مؤدّى باصوات
طيبة والحان موزونة الدرجة الرابعة النظر فيه من حيث انه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه
فاقول لله تعالى سر في مناسبة النغمات الموزونة الارواح حتى انها لتؤثر فيها تاثيرا عجيبا فمن
الاصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم ومنها ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من الاعضا
حركات على وزنها باليد والرجل والراس فلا ينبغي ان يظن ان ذلك لفهم معاني الشعر بل هي جارٍ
في الاوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع وازهاره والعود واوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج وكيف
يكون ذلك لفهم المعنى وتاثيره مشاهد في الصبي وهو في مهده فقد يسليه الصوت الطيب في
بكايه وينصرف نفسه عما يبكيه الى الاصغاء اليه والجمل مع بلادة طبعه يتاثر بالحداء تاثيرا يستخف
معه الاحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه المسافات البعيدة وينبعث فيه من
النشاط ما يسكره ويولهه فتراها اذا طالت عليها البراري واعتراها الاعيا تحت المحامل اذا
سمعت مبادي الحداء مدت اعناقها وتصغي الى الحادي رافعة اذانها وتسرع في سيرها حتى تتزعزع
محاملها وربما تتلف نفسه من شدة السير وثقل الحمل وهو لا يشعر به لنشاطها فقد حكى ابو بكر محمد بن
داود الدينوري المعروف بالرقي قال كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبايل العرب فاضافني
رجل منهم وادخلني خباء فرايت في الخباء عبدا اسود مقيدا بقيد ورايت جمالا قد ماتت بين
يدي البيت ورايت جملا قد نحل وذبل كانه ينزع روحه فقال لي الغلام انت ضيف ولك حق فتشفع
في حقي فانه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك في هذا القدر فعساه يحل القيد عني فلما احضروا
الطعام امتنعت وقلت لا اكل ما لم اشفع في هذا العبد فقال ان هذا الغلام افقرني واهلك
جميع مالي فقلت ماذا فعل فقال ان له صوتا طيبا وكنت اعيش من ظهور هذه الجمال فحملها
احمالا ثقالا وكان يحدو حتى قطع مسيرة ثلث ليال في ليلة من طيب نغمته فلما حطت احمالها
ماتت كلها الا هذا الجمل الواحد ولكن انت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك فاحببت ان
اسمع صوته فلما اصبحنا امره ان يحدو على جمل يستقي الماء من بير هناك فلما رفع صوته هام ذلك الجمل
وقطع حباله ووقعت انا على وجهي فما اظن اني قط سمعت صوتا اطيب منه فاذن تاثير السماع
في القلوب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مايل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية
زايد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على ساير البهايم فان جميعها تتاثر بالنغمات
الموزونة ولذلك كانت الطير تقف على راس داود عليه الصلوة والسلم لاستماع صوته ومهما كان النظر

في السماع باعتبار تاثيره في القلوب لم يجز ان يحكم مطلقا باباحة وتحريم بل يختلف ذلك بالاحوال
والاشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب قال ابو سليمان السماع لا يجعل في
القلب ما ليس فيه لكن يحرك ما هو فيه فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة معتاد في مواضع لاغراض
مخصوصة يرتبط بها لذات في القلب وهي سبعة مواضع الاول غناء الحجيج فانهم يدورون اولا في
البلاد بالطبل والشاهين والغناء وذلك مباح لانها اشعار نظمت في وصف الكعبة والمقام
والحطيم وزمزم وساير المشاعر ووصف البادية وغيرها وتاثيرها تهييج الشوق الي حج بيت الله
واشتعال نيرانه ان كان ثم شوق حاصل او استثارة الشوق واجتلابه ان لم يكن حاصلا واذا كان
الحج قربة والشوق اليه محمودا كان التشويق اليه بكل ما يشوق محمودا وكما يجوز للواعظ ان ينظم كلامه
في الوعظ ويزينه بالسجع ويشوق الناس الي الحج بوصف البيت والمشاعر ووصف الثواب عليه
جاز لغيره ذلك علي نظم الشعر فان الوزن اذا انضاف الي السجع صار الكلام اوقع في القلب فاذا
اضيف اليه صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقعه فان اضيف اليه الطبل والشاهين
وحركات الايقاع زاد التاثير وكل ذلك جائز ما لم يدخل فيه المزامير والاوتار التي هي من شعار الاشرار
نعم ان قصد به تشويق من لا يجوز له الخروج الي الحج كالذي اسقط الفرض عن نفسه ولم ياذن له
ابواه في الخروج فهذا يحرم تشويقه الي الخروج بالسماع وبكل كلام يشوق فان التشويق الي الحرام
حرام وكذا اذا كانت الطريق غير آمنة وكان الهلاك غالبا لم يجز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق
الثاني ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس علي الغزو وذلك ايضا مباح كالحاج ولكن ينبغي ان تخالف
اشعارهم وطرق الحانهم اشعار الحج لان استثارة داعية الغزو بالتشجيع والغيظ والغضب فيه
علي الكفار وتحسين الشجاعة واستحقار النفس والمال بالاضافة اليه والاشعار المشجعة مثل
قول المتنبي فالا تمت تحت السيوف مكرما تمت وتقاسي الذل غير مكرم وقوله يري الجبناء ان
الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم وامثال ذلك وطرق الاوزان المشجعة تخالف الطرق
المشوقة فهذا ايضا مباح في وقت يباح فيه الغزو ومندوب اليه في وقت يستحب فيه الغزو
ولكن في حق من يجوز له الخروج الي الغزو الثالث الرجزيات التي يستعملها الشجعان في وقت
اللقاء والغرض منها التشجيع للنفس وللانصار وتحريك النشاط فيه للقتال وفيه التمدح بالشجاعة
والنجدة وذلك اذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان اوقع في النفس وذلك مباح في كل
قتال مباح ومندوب في كل قتال مندوب ومحظور في قتال المسلمين واهل الذمة وكل ما

لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز ان يحرم من حيث انه كلام مفهوم مستلذ مودي باصوات
طيبة والحان موزونة الدرجة الرابعة النظر فيه من حيث انه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه
فاقول لله تعالى سر في مناسبة النغمات الموزونة الارواح حتى انها لتؤثر فيها تاثيرا عجيبا فمن
الاصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم ومنها ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من الاعضا
حركات على وزنها باليد والرجل والراس فلا ينبغي ان يظن ان ذلك لفهم معاني الشعر بل هي جارية
في الاوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع وازهاره والعود واوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج وكيف
يكون ذلك لفهم المعنى وتاثيره مشاهد في الصبي وهو في مهده فانه يسكته الصوت الطيب في
بكائه وينصرف نفسه عما يبكيه الى الاصغاء اليه والجمل مع بلادة طبعه يتاثر بالحداء تاثيرا يستخف
معه الاحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه المسافات البعيدة وينبعث فيه من
النشاط ما يسكره ويولهه فتراها اذا طالت عليها البراري واعتراها الاعياء تحت المحامل اذا
سمعت مبادي الحداء مدت اعناقها وتصغي الى الحادي رافعة اذانها وتسرع في سيرها حتى تتزعزع
عليها محاملها وربما تتلف نفسها من شدة السير وثقل الحمل وهي لا تشعر به لنشاطها فقد حكى ابو بكر محمد بن
داود الدينوري المعروف بالرقي قال كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فاضافني
رجل منهم وادخلني خباه فرايت في الخباء عبدا اسود مقيدا بقيد ورايت جمالا قد ماتت بين
يدي البيت ورايت جملا قد نحل وذبل كانه ينزع روحه فقال لي الغلام انت ضيف فتشفع
في حقي فانه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك في هذا القدر فعساه يحل القيد عني فلما احضروا
الطعام امتنعت وقلت لا اكل ما لم اشفع في هذا العبد فقال ان هذا الغلام افقرني واهلك
جميع مالي فقلت ماذا فعل فقال ان له صوتا طيبا وكنت اعيش من ظهور هذه الجمال فحملها
احمالا ثقالا وكان يحدو حتى قطع مسيرة ثلث ليال في ليلة من طيب نغمته فلما حطت احمالها
ماتت كلها الا هذا الجمل الواحد ولكن انت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك فاحببت ان
اسمع صوته فلما اصبحنا امره ان يحدو على جمل يستقي الماء من بير هناك فلما رفع صوته هام ذلك الجمل
وقطع حباله ووقعت انا على وجهي فما اظن اني قط صوتا اطيب منه فاذن تاثير السماع
في القلوب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية
زايد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على سائر البهائم فان جميعها تتاثر بالنغمات
الموزونة ولذلك كانت الطير تقف على راس داود عليه الصلوة والسلم لاستماع صوته ومهما كان النظر

في السماع باعتبار تاثيره في القلوب لم يجز ان يحكم مطلقا باباحة وتحريم بل يختلف ذلك بالاحوال
والاشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب قال ابو سليمان السماع لا يجعل في
القلب ما ليس فيه لكن يحرك ما هو فيه فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة يعتاد في مواضع لاغراض
مخصوصة يرتبط بها لذات في القلب وهي سبعة مواضع الاول عند الحجيج فانهم يدورون اولا في
البلاد بالطبل والشاهين والغناء وذلك مباح لانها اشعار نظمت في وصف الكعبة والمقام
والحطيم وزمزم وساير المشاعر ووصف البادية وغيرها وتاثيرها تهيج الشوق الى حج بيت الله
واشتعال نيرانه ان كان ثم شوق حاصل واستثارة الشوق واجتلابه ان لم يكن حاصلا واذا كان
الحج قربة والشوق اليه محمودا كان التشويق اليه بكل ما يشوق محمودا وكما يجوز للواعظ ان ينظم كلامه
في الوعظ ويزينه بالسجع ويشوق الناس الى الحج بوصف البيت والمشاعر ووصف الثواب عليه
جاز لغيره ذلك على نظم الشعر فان الوزن اذا انضاف الى السجع صار الكلام اوقع في القلب فاذا
اضيف اليه صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقعه فان اضيف اليه الطبل والشاهين
وحركات الايقاع زاد التاثير وكل ذلك جايز ما لم يدخل فيه المزامير والاوتار التي هي شعار الاشرار
نعم ان قصد به تشويق من لا يجوز له الخروج الى الحج كالذي اسقط الفرض عن نفسه ولم ياذن له
ابواه في الخروج فهذا يحرم تشويقه الى الخروج بالسماع وبكل كلام يشوق فان التشويق الى الحرام
حرام وكذا اذا كانت الطرق غير آمنة وكان الهلاك غالبا لم يجز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق
الثاني ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو وذلك ايضا مباح كما للحاج ولكن ينبغي ان تخالف
اشعارهم وطرق الحانهم اشعار الحج لان استثارة داعية الغزو بالتشجيع والغيظ والغضب فيه
على الكفار وتحسين الشجاعة واستحقار النفس والمال بالاضافة اليه والاشعار المسجعة مثل
قول المتنبي فالا تمت تحت السيوف مكرما تمت وتقاسي الذل غير مكرم وقوله يرى الجبناء ان
الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم وامثال ذلك وطرق الاوزان المسجعة تخالف الطرق
المشوقة فهذا ايضا مباح في وقت يباح فيه الغزو ومندوب اليه في وقت يستحب فيه الغزو
وذلك في حق من يجوز له الخروج الى الغزو الثالث الرجزيات التي يستعملها الشجعان في وقت
اللقاء والغرض منها التشجيع للنفس وللانصار وتحريك النشاط فيه للقتال وفيه التمدح بالشجاعة
والنجدة وذلك اذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان اوقع في النفس وذلك مباح في كل
قتال مباح ومندوب في كل قتال مندوب ومحظور في قتال المسلمين واهل الذمة وكل ما

محظور لان تحريك الداعي الي المحظور محظور وذلك منقول من شجعان الصحابة كعلي وخالد رضي الله
عنهما وغيرهما ولذلك نقول ينبغي ان يمنع من الضرب بالشاهين في معسكر الغزاة لان صوته مرقق
محزن يحلل عقدة الشجاعة ويضعف مرائر النفس ويشوق الي الاهل والوطن ويورث الفتور
في القتال وكذا سائر الاصوات والالحان المرققة للقلب والالحان المرققة المحزنة يباين الالحان
المحركة المشجعة فمن فعل ذلك علي قصد تغيير الاراء عن القتال المندوب اليه فهو عاص ومن فعله
علي قصد الفتور عن القتال المحظور فهو به مطيع الرابع اصوات النياحة ونغماتها وتاثيرها في تهييج
الحزن والبكاء وملازمة الكآبة والحزن قسمان محمود ومذموم اما المذموم فكالحزن علي ما فات
قال الله تعالي لكيلا تاسوا علي ما فاتكم والحزن علي الاموات من هذا القبيل فانه تسخط لقضاء الله
وتاسف علي ما لا تدارك له فهذا الحزن لما كان مذموما كان تحريكه بالنياحة مذموما ولذلك ورد
النهي الصريح في النياحة واما الحزن المحمود فهو حزن الانسان علي تقصيره في امر دينه وبكاؤه
علي خطاياه والبكاء والتباكي والحزن والتحازن علي ذلك محمود وعليه بكاء آدم صلي الله عليه وسلم
وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لانه يبعث علي التشمر للتدارك ولذلك كانت نياحة داود عليه السلم
محمودة اذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب فقد كان يحزن ويحزن
ويبكي ويبكي حتي كانت الجنائز ترفع من مجالس نياحته وكان يفعل ذلك بالفاظه والحانه وذلك
محمود لان المفضي الي المحمود محمود وعلي هذا لا يحرم علي الواعظ الطيب الصوت ان ينشد علي
المنبر بالحانه الاشعار المحزنة المرققة للقلب ولا ان يبكي ويتباكي ليتوصل به الي تبكية غيره
واثارة حزنه الخامس السماع في اوقات السرور تاكيدا للسرور وتهييجا له اذا كان ذلك السرور
مباحا كالغناء في ايام العيد وفي العرس وعند قدوم الغائب ووقت الوليمة والعقيقة وذلك
عند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه القرآن وكل ذلك معتاد لاجل اظهار السرور ووجه
جوازه ان من الالحان ما يثير الفرح والسرور والطرب فكل ما جاز السرور به جاز اثارة السرور فيه
ويدل علي هذا من النقل انشاد النساء بالدف والالحان عند قدوم رسول الله صلي الله عليه وسلم
طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع فهذا اظهار السرور بقدومه
وهو سرور محمود فاظهاره بالشعر والنغمات والرقص والحركات ايضا محمود فقد نقل عن جماعة
من الصحابة انهم حجلوا في سرور اصابهم كما سياتي في احكام الرقص وهو جائز في قدوم كل قادم يجوز
الفرح به وفي كل سبب مباح من اسباب السرور ويدل علي هذا ما روي في الصحيحين عن عائشة

انها قالت رايت النبي صلي الله عليه وسلم يسترني بردايه وانا انظر الي الحبشه يلعبون في المسجد حتي اكون
انا الذي اسامه فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة علي اللهو اشارة الي طول مدة وقوفها
وروي مسلم والبخاري في صحيحهما حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عايشه ان ابا بكر دخل
عليها وعندها جاريتان في ايام منا تدففان ويضربان والنبي صلي الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما
ابو بكر فكشف النبي صلي الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد وقالت عايشه
رايت النبي صلي الله عليه وسلم يسترني وانا انظر الي الحبشه وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر رضي الله عنه
فقال صلي الله عليه وسلم امنا يا بني ارفدة اي من الامن وفي حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب
نحوه وفيه تغنيان وتضربان وفي حديث ابي الطاهر عن ابن وهب والله لقد رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم
يقوم علي باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم يسترني بردائه
لكي انظر الي لعبهم ثم يقوم من اجلي حتي اكون انا الذي انصرف وروي عن عايشه انها قالت
كنت العب بالبنات عند رسول الله صلي الله عليه وسلم وكان ياتيني صواحب لي فكن ينقمعن
عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قالت وكان النبي صلي الله عليه وسلم يسربهن الي فيلعبن مع
وفي رواية ان النبي صلي الله عليه وسلم قال لها ما هذا قالت بناتي قال فما هذا الذي اري في
وسطهن قالت فرس قال ما هذا الذي عليه قالت جناحان قال فرس له جناحان قالت
اوما سمعت ان لسليمان بن داود خيلا لها اجنحة فضحك حتي بدت نواجذه والحديث محمول عندنا
علي عادة الصبيان في اعتياد الصورة من الخرق والرقاع من غير تكميل صورته بدليل ما روي
في بعض الروايات ان الفرس كان له جناحان من رقع وقالت عايشه دخل علي رسول الله
صلي الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع علي الفراش وحول
وجهه فدخل ابو بكر فانتهرني وقال مزمار الشيطان عند رسول الله صلي الله عليه وسلم فاقبل
عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال دعهما فلما دخل غمزتهما فخرجا وكان يوم عيد يلعب
السودان فيه بالدرق والحراب فاما سالت النبي صلي الله عليه وسلم واما قال تشتهين تنظرن
قلت نعم فاقامني وراءه وخدي علي خده ويقول دونكم يا بني ارفدة حتي اذا مللت قال حسبك
قلت نعم قال فاذهبي وفي صحيح مسلم فوضعت راسي علي منكبه فجعلت انظر الي لعبهم حتي
كنت الذي انصرفت فهذه الاحاديث كلها في الصحيحين وهو نص صريح في ان الغناء واللعب
ليس بحرام وفيها دلالة علي انواع من الرخص الاول اللعب ولا يخفي عادة الحبشه في الرقص واللعب

والثاني فعل ذلك في المسجد والثالث قوله صلى الله عليه وسلم دونكم يا بني ارفدة وهو امر باللعب والتماس له
فكيف يقدر كونه حراما والرابع منعه لابي بكر وعمر عن الانكار والتعيير وتعليله بانه يوم عيد اي هو
وقت السرور وهذا من اسباب السرور والخامس وقوفه طويلا في مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة
عايشة وفيه دليل على ان حسن الخلق في تطييب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب
احسن من خشونة الزهد والتقشف في الامتناع والمنع والسادس قوله صلى الله عليه وسلم
ابتداء لعايشة اتشتهين ان تنظري ولم يكن ذلك للاضطرار عن مساعدة الاهل خوفا من غضب
او وحشة فان الالتماس اذا سبق بها كان الرد سبب وحشة وهو محذور فيقدم على محذور
فاما ابتداء السؤال فلا حاجة فيه والسابع الرخصة في الغناء والضرب بالدف من الجاريتين
مع انه شبه ذلك بمزامير الشيطان وفيه بيان ان المزمور المحرم غير ذلك والثامن ان رسول الله صلعم
كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع ولو كان تضرب الاوتار في موضع لما جوز الجلوس
ثم لتقرع صوت الاوتار سمعه فيدل على ان ضرب النساء غير محرم تحريم صوت المزامير بل انما
يحرم عند خوف الفتنة فبهذه المقاييس والنصوص يدل على اباحة الغناء والرقص والضرب
بالدف واللعب بالدرق والحراب والنظر الى رقص الحبشة والزنوج في اوقات السرور كلها
قياسا على يوم العيد فانه وقت سرور وفي معناه يوم العرس والوليمة والعقيقة والختان
ويوم القدوم من السفر وساير اسباب الفرح وهو كل ما يجوز الفرح به شرعا ويجوز الفرح بزيارة
الاخوان ولقايهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام او كلام فهي ايضا مظنة السماع السادس
سماع العشاق تحريكا للشوق وتهييجا للعشق وتسلية للنفس فان كان في مشاهدة المعشوق
فالغرض تاكيد اللذة وان كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق والشوق وان كان الما ففيه لذة
اذا انضاف اليه رجاء الوصال فان الرجاء لذيذ والياس مولم وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق
والحب للشيء المرجو ففي هذا السماع تهييج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء المقدر في
الوصال مع الاطناب في وصف حسن المحبوب وهذا حلال اذا كان المشتاق اليه ممن يباح وصاله
كمن يعشق زوجته او سريته فيصغي الى غنائها لتتضاعف لذته في لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر
وبالسماع الاذن ويفهم لطايف معاني الوصال والفراق القلب فيترادف اسباب اللذة فهذه
نوع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وكذلك اذا غضبت منه
جاريته او غابت وحيل بينه وبينها بسبب من الاسباب فله ان يحرك بالسماع شوقه وان يستثير

لذة رجاء الوصال فان باعها او طلقها حرم عليه ذلك بعد ان لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه
بالوصل واللقاء، واما من مثل في نفسه صورة صبي او امرأة لا يحل له النظر اليها وكان ينزل ما يسمع
علي ما مثل في نفسه فهذا حرام لانه محرك للفكر في الافعال المحظورة ومهيج للداعية الي ما لا
يباح الوصول اليه واكثر العشاق والسفهاء من الشبان في وقت هيجان الشهوة لا ينفكون
عن اضمار شيء من ذلك وذلك ممنوع في حقهم لما فيهم من الداء الدفين لا لامر يرجع الي نفس السماع ولذلك
سئل حكيم عن العشق فقال دخان يصعد دماغ الانسان يزيله الجماع ويحركه السماع السابع
سماع من احب الله سبحانه وتعالي وعشقه واشتاق الي لقائه فلا ينظر الي شيء الا رآه فيه ولا يقرع
سمعه قارع الا سمعه منه او فيه فالسماع في حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه ومور زناد قلبه
ومستخرج منه احوالا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها
وينكرها من كل حسه عن ذوقها وتسمى تلك الاحوال بلسان الصوفية وجدا ماخوذ من الوجود
والمصادفة ان يصادف من نفسه احوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ثم يكون تلك الاحوال اسبابا
لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه عن الكدورات كما تنقي النار الجواهر المعروضة عليها
من الخبث ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهي غاية مطالب المحبين
ونهاية ثمرات القربات كلها فالمفضي اليها من جملة القربات لا من جملة المعاصي والمباحات
وحصول هذه الاحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تع في مناسبة النغمات الموزونة للارواح
وتسخر الارواح لها وتاثرها بها شوقا وفرحا وحزنا وانبساطا وانقباضا ومعرفة السبب في تاثر
الارواح بالاصوات من دقائق علوم المكاشفات والبليد الجامد القاسي القلب المحروم عن
لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من لذة اللوزينج
وتعجب العنين من لذة المباشرة وتعجب الصبي من لذة الرياسة واستتباع القوم واتساع الجاه
وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله تعالي ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صنعه ولكل ذلك
سبب واحد وهو ان اللذة نوع ادراك والادراك يستدعي مدركا ويستدعي قوة مدركة فمن لم يكمل
قوى ادراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعوم من فقد الذوق وكيف يدرك لذة الالحان
من فقد السمع ولذة المعقولات من فقد العقل فكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت
الي السمع يدرك بحاسة باطنة في القلب من فقدها عدم لا محالة لذته ولعلك تقول كيف يتصور
العشق في حق الله تعالي حتى يكون السماع محركا فاعلم ان من عرف الله احبه لا محالة ومن تاكدت

معرفته فاكدت محبته بقدر تاكد معرفته فالمحبة اذا تاكدت سميت عشقا فلا معنى للعشق الا محبة
مؤكدة مفرطة ولذلك قالت العرب ان محمدا عشق ربه لما راه يتخلى للعبادة في غار حراء واعلم ان
كل جمال محبوب عند مدرك الجمال ولكن الجمال اذا كان تناسب الخلقة وصفاء اللون ادرك
بحاسة البصر وان كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والاخلاق وارادة
الخيرات لكافة الخلق وافاضته عليهم على الدوام الى غير ذلك من الصفات الباطنة ادرك بحاسة
القلب ولفظ الجمال قد يستعار لها ايضا فيقال ان فلانا جميل وحسن ولا يراد صورته وانما يعني
به انه جميل الاخلاق محمود الصفات حسن السيرة حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة
استحسانا لها كما تحب الصورة الظاهرة وقد يتاكد هذه المحبة فيسمى عشقا وكم من الغلاة
في حب ارباب المذاهب كالشافعي ومالك وابي حنيفة حتى يبذلون اموالهم وارواحهم في نصرتهم
وموالاتهم ويزيدون على كل عاشق في الغلو والمبالغة ومن العجب ان يعقل عشق شخص
لم يشاهد قط صورته اجميل ام قبيح وهو الان ميت ولكن لجمال صورته الباطنة وسيرته
الرضية والخيرات الحاصلة من علمه لاهل الدين وغير ذلك من الخصال ثم لا يعقل عشق من لا خير
ولا جمال ولا محبوب في العالم الا وهو حسنة من حسناته واثر من اثار كرمه وغرفة من بحر
جوده بل كل حسن وجمال في العالم ادرك بالعقول والابصار والاسماع وسائر الحواس من
مبتداء العالم الى منقرضه ومن ذروة الثريا الى منتهى الثرى فهو ذرة من خزائن قدرته ولمعة من انوار
حضرته فليت شعري كيف لا يعقل حب من هذا وصفه وكيف لا يتاكد عند العارفين باوصافه
حبه حتى يجاوز حدا يكون اطلاق اسم العشق عليه ظلما في حقه لقصوره عن الانباء عن فرط
محبته فسبحان من احتجب عن الظهور لشدة ظهوره واستتر عن الابصار باشراق نوره ولولا
احتجابه بسبعين حجابا من نور لاحرقت سبحات وجهه ابصار الملاحظين لجمال حضرته ولولا
ان ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول ودهشت القلوب وتخاذلت القوى وسائر
الاعضاء ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد لاصبحت تحت مبادي انوار تجليه دكا د
كا فانى تطيق كنه نور الشمس ابصار الخفافيش وسياتي تحقيق هذه الاشارة في كتاب
المحبة ويتضح ان محبة غير الله قصور وجهل بل المحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله اذ ليس في الوجود
الا الله وافعاله ومن عرف الافعال من حيث انها افعاله لم يجاوز معرفة الفاعل الى غيره
فمن عرف الشافعي وعلمه وتصنيفه من حيث انه تصنيفه لا من حيث انه بياض وجلد وحبر وورق

وكلام منظوم ولغة عربية فلم يجاوز معرفة الشافعي الى غيره ولا جاوز محبته الى غيره وكل موجود
سوى الله فهو تصنيف الله وفعله وبدايع افعاله فمن عرفها من حيث هي صنع الله ورأى من الصنع
صفات الصانع كما يرى من حسن التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبته مقصورة
على الله تع غير متجاوزة الى سواه ومن حد العشق ان لا يقبل الشركة وكل ما سوى هذا العشق فهو
قابل للشركة اذ كل محبوب سواه فيتصور له نظير اما في الوجود او في الامكان فاما هذا الجمال
فلا يتصور له ثان لا في الامكان ولا في الوجود فكان اسم العشق على حب غيره مجازا محضا لا
حقيقة نعم الناقص القريب في نقصانه من البهيمة قد لا يدرك من لفظ العشق الا طلب الوصال
الذي هو عبارة عن تماس ظواهر الاجسام وقضاء شهوة الوقاع فمثل هذا الحمار ينبغي ان لا
يستعمل معه لفظ العشق والشوق والوصال ولا يزال يحث هذه الالفاظ والمعاني كما يحب
البهيمة النرجس والريحان ويخصص بالقت والحشيش واوراق القضبان فان الالفاظ
انما يجوز اطلاقها في حق الله تعالى اذا لم يكن موهما معنى يجب تقديس الله تع عنه والايهام يختلف
باختلاف الافهام فليتنبه لهذه الدقيقة في امثال هذه الالفاظ بل لا يبعد ان ينشا من مجرد
سماع صفات الله تعالى وجد غالب ينشق بسببه نياط القلب فقد روى ابو هريرة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر غلاما في بني اسرائيل كان على جبل فقال لامه من خلق السما
قالت الله عز وجل فقال من خلق الارض قالت الله عز وجل قال من خلق الجبال قالت الله
عز وجل قال من خلق هذا الغيم قالت الله عز وجل فقال اني لاسمع لله تعالى شانا ثم رمى بنفسه
من الجبل فتقطع وكانه سمع ما دل على جلال الله وتمام قدرته فطرب له ووجد فرمى بنفسه
في الوجد وما انزلت الكتب الا ليطربوا بذكر الله رايت مكتوبا في الانجيل غنينا لكم فلم تطربوا
وزمرنا لكم فلم ترقصوا اي شوقناكم فلم تشتاقوا فهذا ما اردنا ان نذكره من انواع السماع وبواعثه
ومقتضياته وقد ظهر على القطع اباحته في بعض المواضع والندب اليه في بعض المواضع فان
قلت فهل له حال يحرم فيها فاقول انه يحرم بخمس عوارض عارض في المسمع وعارض في
آلة السماع وعارض في نظم الصوت وعارض في نفس المستمع او في مواظبته لان اركان
السماع هو المسمع والمستمع وآلة السماع العارض الاول ان يكون المسمع امراة لا يحل النظر
اليها وتخشى الفتنة في سماعها وفي معناه الصبي الامرد الذي تخشى فتنته وهذا حرام لما فيه
من خوف الفتنة وليس ذلك لاجل الغناء بل لو كانت المراة بحيث تفتتن بصوتها في المحاورة

من غير الحان فلا يجوز محادثتها وسماع صوتها بالقرآن ايضا وكذا الصبي اذا كان يخاف فيه
فان قلت فهل تقول ان ذلك حرام بكل حال حسما للباب او لا يحرم الا حيث يخاف الفتنة فاقول
هذه المسئلة من حيث الفقه يتجاذبه اصلان احدهما ان الخلوة بالاجنبية والنظر الي وجهها
حرام سواء خيف الفتنة او لم تخف لانها مظنة الفتنة على الجملة فقضى الشرع بحسم الباب من
غير التفات الي الصور والثاني ان النظر الي الصبيان مباح الا عند خوف الفتنة فلا يلحق
الصبيان بالنساء في عموم الحسم بل يتبع فيه الحال وصوت المراة داير بين هذين الوصفين
فان قسناه علي النظر اليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب وبينهما فرق اذ الشهوة يدعو الى
النظر في اول هيجانها ولا يدعو الي الصوت وليس تحريك النظر لشهوة المماسة كتحريك السماع
بل هو اشد وصوت المراة من غير الغنا ليس بعورة فلم تزل النسا في زمن الصحابة يكلمن الرجال
في السلام والاستفتاء والسوال والمشاورة وغير ذلك ولكن للغنا مزيد اثر في تحريك الشهوة فقياس
هذا علي النظر الي الصبيان اولي لانهم لم يومروا بالاحتجاب كما لم يومر النسا بستر الاصوات فينبغي
ان يتبع مثار الفتن ويقصر التحريم عليه هذا هو الاقيس ويتاكد بحديث المغنيتين في بيت عايشة
اذ يعلم انه صلى الله عليه وسلم كان يسمع صوتهما ولم يحترز منه ولكن لم يكن الفتنة مخوفة عليه فلهذا
لم يحترز فاذن يختلف هذا باحوال المراة واحوال الرجل في كونه شابا وشيخا ولا يبعد ان يختلف
الامر في مثل هذا بالاحوال فانا نقول للشيخ ان يقبل زوجته وهو صايم وليس للشاب ذلك
والقبلة يدعوا الي الوقاع في الصوم وهو محظور والسماع يدعوا الي التقبيل والمعانقة وهو حرام
فيختلف ذلك ايضا بالاشخاص العارض الثالث في الالة بان يكون من شعار الشرب او المخنثين
وهي المزامير والاوتار وطبل الكوبة فهذه ثلثة انواع وما عدا ذلك يبقى علي اصل الاباحة كالدف
وان كان فيه الجلاجل وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وساير الالات العارض الرابع
في نظم الصوت وهو الشعر فان كان فيه شي من الخنا والفحش والهجو او ما هو كذب علي الله او علي رسوله
او علي الصحابة كما رتبه الروافض في هجا الصحابة وغيرهم فسماع ذلك حرام بالحان وغير الحان والمستمع
شريك القايل وكذلك ما فيه وصف امراة بعينها فانه لا يجوز وصف المراة بين يدي الرجال واما
هجاء الكفار واهل البدع فذلك جايز فقد كان حسان بن ثابت ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويهاجي الكفار وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فاما التشبيب وهو الذي فيه التشبيب بوصف
الخدود والاصداغ وحسن القد والقامة وساير اوصاف النسا فهذا فيه نظر والصحيح انه لا يحرم

١ ٣٥٥

نظمه وانشاده بصوت وغير صوت وعلي المستمع ان لا ينزله علي امراة معينة فان نزله فلينزله علي من يحل له
من زوجته وجاريته فان نزله علي اجنبية فهو العاصي بالتنزيل واجالة الفكر فيه ومن هذا وصفه فينبغي
ان يجتنب السماع راسا فان من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه عليه سواء كان اللفظ مناسبا له
او لم يكن اذ ما من لفظ الا ويمكن تنزيله علي المعاني بطريق الاستعارة فالذي يغلب علي قلبه حب الله
يتذكر بظلمة الصدغ سواد الكفر وبنضارة الخد نور الايمان وبذكر الوصال لقاء الله تع وبذكر الفراق الحجاب
عن الله تعالي في جملة المردودين وبذكر الرقيب المشوش للوصال عوايق الدنيا وآفاتها المشوشة
لدوام الانس بالله ولا يحتاج في تنزيل ذلك عليه الي استنباط وتفكر ومهلة بل يسبق المعاني الغالبة
علي القلب الي فهمه مع اللفظ كما روي عن بعض الشيوخ انه مر في السوق فسمع واحدا يقول الخيار
عشرة بحبة فغلبه الوجد فسيل فقال اذا كان خيار الناس عشرة بحبة فما قيمة شرارهم وكان واحد
يجتاز في السوق فسمع انسانا يقول اي سعتر بري فغلبه الوجد فسيل علي ما ذا كان وجدك قال
سمعت كانه يقول اسع ترى بري حتي ان الاعجمي قد يغلب عليه الوجد علي الابيات المنظومة بلغة
العرب فان بعض حروفها يوازن حروف العجمية فيفهم منه معاني اخر فانشد واحد
وما زارني في الليل الا خياله فتواجد عليه اعجمي فسيل عنه فقال انه يقول ما زاريم وهو كما يقول
فان لفظ زار يدل في العجمية علي المشرف علي الهلاك فتوهم انه يقول كلنا مشرفون علي الهلاك
واستشعر عنده خطر هلاك الآخرة والمحترق في حب الله وجده بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله
وليس من شرط تخيله ان يوافق مراد الشاعر ولغته فهذا الوجد حق وصدق ومن استشعر
خطر هلاك الآخرة فهو جدير بان يتشوش عليه عقله ويضطرب عليه اعضاوه فاذن ليس في
تعيين الالفاظ كثير فايدة بل الذي غلب عليه عشق مخلوق ينبغي ان يحترز عن السماع باي لفظ
كان والذي غلب عليه حب الله فلا يضره الالفاظ ولا يمنعه عن فهم المعاني اللطيفة المتعلقة
بمجاري همته الشريفة العارض الرابع في المستمع وهو ان يكون الشهوة غالبة عليه وكان
في غرة الشباب وكانت هذه الصفات اغلب عليه من غيره فالسماع حرام عليه سواء
غلب علي قلبه حب شخص معين او لم يغلب فانه كيف ما كان فلا يسمع الصدغ والخال والوصال
والفراق الا ويحرك ذلك شهوته وينزله علي صورة معينة ينفخ الشيطان بها في قلبه فتشتعل
فيه نار الشهوة ويحرك ذلك بواعث الشر وهو النصرة لحزب الشيطان والتخذيل للعقل
المانع منه الذي هو حزب الله والقتال في القلب دايم بين جنود الشيطان وهي الشهوات

وبين حزب الله تعالى وهو نور العقل الا في قلب قد فتحه احد الجندين واستولى عليه بالكلية
وغالب القلوب قد فتحها جند الشيطان وغلب عليها فيحتاج ان يستانف اسباب القتال
لازعاجها فكيف يجوز تكثير اسلحتها وتشحيذ سيوفها وسنانها والسماع مشحذ لاسلحة جنود
الشيطان في حق مثل هذا الشخص فيخرج هذا عن مجمع السماع فانه يستضر به العارض الخامس
ان يكون الشخص من عوام الخلق فلم يغلب عليه حب الله ليكون السماع له محبوبا ولا غلبت عليه
الشهوة ليكون في حقه محذورا ولكنه ابيح في حقه كساير انواع اللذات المباحة الا انه اذا
اتخذه ديدنه وهجيراه وقصر عليه اكثر اوقاته فهذا هو السفيه الذي ترد شهادته فان المواظبة
على اللهو جناية وكما ان الصغيرة بالاصرار والمداومة تصير كبيرة فبعض المباحات بالمداومة
يصير صغيرة وهي كالمواظبة على متابعة الزنوج والحبشة والنظر الى لعبهم على الدوام فانه
ممنوع وان لم يكن اصله ممنوعا اذ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذا القبيل اللعب
بالشطرنج فانه مباح ولكن المواظبة عليه مكروه كراهة شديدة ومهما كان الغرض اللعب
والتلذذ فذلك انما يباح لما فيه من ترويح القلب اذ راحة القلب معالجة له في بعض الاوقات
لتنبعث دواعيه فيشتغل في ساير الاوقات بالجد في الدنيا كالكسب والتجارة او في الدين
كالصلوة والقراءة واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الخال على الوجه
ولو استوعبت الخيلان الوجه لقبحه فيعود ذلك الحسن قبحا بسبب الكثرة فما كل حسن
يحسن كثرته ولا كل مباح يباح كثيره بل الخبز مباح والاستكثار منه حرام فهذا المباح كساير المباحات
فان قلت فقد ادى مساق الكلام الى انه مباح في بعض الاحوال دون بعض فلم اطلقت
القول اولا بالاباحة اذ اطلاق القول في المفصل بلا او نعم خلف وخطاء فاعلم ان هذا
غلط لان الاطلاق انما يمتنع لتفصيل ينشأ من عين ما فيه النظر فاما ما ينشأ من الاحوال
العارضة المتصلة به من خارج فلا يمنع الاطلاق الا ترى انا اذا سئلنا عن العسل اهو حلال
او حرام قلنا انه حلال مع انه حرام على المحرور الذي يستضر به واذا سئلنا عن الخمر قلنا انه حرام
مع انه يحل لمن غص بلقمة ان يشربها مهما لم يجد غيرها ولكن هو من حيث انه خمر حرام وانما
ابيح بعارض الحاجة والعسل من حيث انه عسل حلال وانما حرم بعارض الضرورة وما يكون
بعارض فانه لا يلتفت اليه فان البيع حلال ويحرم بعارض الوقوع في وقت النداء يوم الجمعة
ونحوه من العوارض فالسماع من جملة المباحات من حيث انه سماع صوت موزون طيب مفهوم

٣٥٦
٣٥١
١

وانما تحريمه بعارض خارج عن حقيقة ذاته واذا انكشف الغطاء عن دليل الاباحة فلا نبالي من
خالف بعد ظهور الدليل واما الشافعي فليس تحريم الغنا من مذهبه اصلا وقد نص الشافعي
وقال في الرجل يتخذه صناعة لم تجز شهادته وذلك لانه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل
ومن فعله كان منسوبا الى السفاهة وسقوط المروة وانه لم يكن محرما بين التحريم وان كان
لا ينسب نفسه الى الغناء ولا يؤتى لذلك ولا ياتي عليه وانما يعرف بانه يطرب في الحال فيترنم
بها لم يسقط هذا شهادته واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان عند عايشة
وقال يونس بن عبد الاعلى سالت الشافعي عن اباحة اهل المدينة السماع فقال لا اعلم احدا
من علماء الحجاز كره السماع الا ما كان منه في الاوصاف واما الحداء وذكر الاطلال والمرابع
وتحسين الصوت بالحان الاشعار فمباح وحيث قال انه لهو مكروه يشبه الباطل فقوله لهو
صحيح ولكن اللهو من حيث انه لهو ليس بحرام فلعب الحبشة ورقصهم لهو وقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ولا يكرهه بل اللهو واللغو لا يواخذ به الله بل ان عنى به انه فعل لا
فايدة فيه فان الانسان لو وظف على نفسه ان يضع اليد على راسه في اليوم مائة مرة
فهذا لا فايدة فيه ولا يحرم قال الله تع لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم واذا كان ذكر اسم الله على
الشيء والمخالفة فيه مع انه لا فايدة فيه لا يواخذ به فكيف بالشعر والرقص واما قوله يشبه
بالباطل فلا يدل هذا على اعتقاد التحريم بل لو قال هو باطل صريحا لما دل على التحريم بل على
خلوه عن الفايدة فالباطل ما لا فايدة فيه كقول الرجل لزوجته مثلا بعت نفسي منك وقولها
اشتريت عقد باطل مهما كان القصد اللعب والمطايبة وليس بحرام الا اذا قصد التمليك
المحقق الذي منع الشرع منه واما قوله مكروه فينزل على بعض المواضع التي ذكرناها
او ينزل على التنزيه فانه نص على اباحة لعب الشطرنج وذكر اني اكره كل لعب وتعليله يدل
عليه فان ذلك ليس من عادة ذوي الدين والمروة فهذا يدل على التنزيه ورده الشهادة
بالمواظبة عليه لا يدل على تحريمه ايضا بل قد يرد الشهادة بالاكل في السوق وما يخرم
المروة بل الحياكة مباحة وليست صناعة ذي مروة وقد ترد شهادة المحترف بالحرف الخسيسة
فتعليله يدل على انه اراد بها الكراهة التنزيه وهذا هو الظن بغيره من كبار الايمة فان ارادوا
التحريم فما ذكرناه حجة عليهم بيان حجج القايلين بتحريم السماع والجواب عنه احتجوا بقوله تع
ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال ابن مسعود والحسن البصري والنخعي ان لهو الحديث

يخرم — خرم الخرزة يخرمها وخرّمها فتخرّمت قطعها قاموس

هو الغنا، وروت عايشه رضي الله عنها ان الله تعالى حرم القينه وبيعها وثمنها وتعليمها فنقول
اما القينه فالمراد بها الجارية التي تغني للرجال في مجلس الشرب وقد ذكرنا ان غنا الاجنبية
للفساق ومن يخاف منه الفتنة حرام وهم لا يقصدون بالقينة الا ما هو محظور فاما غنا
الجارية لمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث بل لغير مالكها عند عدم الفتنه بدليل ما روي في الصحيح
من غنا الجاريتين في بيت عايشه رضي الله عنها فاما شري لهو الحديث بالدين استبدالا به
ليضل عن سبيل الله حرام مذموم وليس النزاع فيه وليس كل غنا بدلا عن الدين يشتري به
ومضلا عن سبيل الله وهو المراد في الاية ولو قرا القاري ليضل به عن سبيل الله كان حراما
حكي عن واحد من المنافقين انه كان يام الناس ولا يقرا الا بسورة عبس لما فيها من عتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمر رضي الله عنه بقتله والاضلال بالشعر والغنا اولى بالتحريم
واحتجوا بقوله تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون قال ابن عباس
هو الغنا بلغة حمير اي السامد فنقول فينبغي ان يحرم الضحك وعدم البكا ايضا لان
الاية تشتمل عليه فان قيل ان ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لاسلامهم فهو ايضا مخصوص
باشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزا كما قال تعالى والشعرا يتبعهم الغاوون واراد
به شعرا الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه واحتجوا بما روي عن جابر انه صلعم
قال كان ابليس اول من ناح واول من تغنى فقد جمع بين الغنا قلنا لا جرم كما استثنى
عنه نياحة داود عليه السلم ونياحة المذنبين على خطاياهم فكذلك يستثنى الغنى الذي
يراد به تحريك السرور والحزن والشوق حيث يباح تحريكه بل كما استثنى غنا الجاريتين يوم
العيد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغنائهم عند قدومه صلعم بقولهم طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع احتجوا بما روي ابو امامة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما رفع احد صوته
بغنا الا بعث الله تعالى شيطانين على منكبيه يضربان باعقابهما على صدره حتى يمسك
قلنا هو نزل على بعض انواع الغنا الذي قدمناه وهو الذي يحرك من القلب ما هو مراد
الشيطان من الشهوة وعشق المخلوق فاما ما يحرك الشوق الى الله والسرور بالعيد او حدوث
الولد او قدوم الغايب فهذا كله يضاد مراد الشيطان بدليل قصة الجاريتين والحبشة
والاخبار التي نقلناها من الصحاح فالتجويز في موضع واحد نص في الاباحة والمنع في
الف موضع محتمل للتاويل ومحتمل للتحريم اما الفعل فلا تاويل له اذ ما حرم فعله انما يحل

تعارض الاكرا، فقط وما اثم فعله يحرم بعوارض كثيرة حتى النيات والقصود احتجوا بما روى عن
عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل شئ يلهو به الرجل فهو باطل الا تاديبه
فرسه ورميه بقوسه وملاعبته امراته قلنا فقوله باطل لا يدل على التحريم بل انما يدل على عدم
الفايدة وقد يسلم ذلك على ان التلهي بالنظر الى الحبشة خارج عن هذه الثلثة وليس
بحرام بل يلحق بالمحصور غير المحصور كقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى
ثلث فانه يلحق به رابع وخامس وكذلك ملاعبته امراته لا فايدة له الا التلذذ وفي هذا دليل
على ان التفرج في البساتين وسماع اصوات الطيور وانواع الملاعبات مما يلهو به الرجل لا يحرم
شئ منها وان جاز وصفه بالباطل احتجوا بقول عثمان رضي الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست
ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول فليكن التمني ومس الذكر باليمين
حراما ان كان هذا دليل تحريم الغنا، فمن اين ثبت ان عثمان رضي الله عنه كان لا يترك الا
الحرام احتجوا بقول ابن مسعود الغنا، ينبت النفاق في القلب وزاد بعضهم كما ينبت الما،
البقل ورفع بعضهم ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير صحيح ومر على ابن عمر قوم محرمون
وفيهم رجل يغني فقال الا لا اسمع الله لكم وعن نافع انه قال كنت مع ابن عمر في طريق فسمع زمارة راعي
فوضع اصبعيه في اذنيه ثم عدل عن الطريق ولم يزل يقول يا نافع اتسمع ذلك حتى قلت لا فاخرج
اصبعيه وقال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع وقال الفضيل بن عياض
الغنا، رقية الزنا وقال بعضهم الغنا، رايد الفجور وقال يزيد بن الوليد اياكم والغنا،
فانه يزيد الشهوة ويهدم المروة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر فان كنتم
لا بد فاعلين فجنبوه النسا، فان الغنا، داعية الزنا فنقول قول ابن مسعود ينبت النفاق
اراد به في حق المغني فانه في حقه ينبت النفاق اذ غرضه كله ان يعرض نفسه على غيره ويروج
صوته ولا يزال ينافق ويتودد الى الناس ليرغبوا في غناه وذلك ايضا لا يوجب تحريما فان
لبس الثياب الجميلة وركوب الخيل المهملجة وساير انواع الزينة والتفاخر بالحرث
والانعام والزرع ينبت الزنا والنفاق في القلب ولا يطلق القول بتحريمها فليس الا انما
السبب في ظهور النفاق في القلب فقط بل المباحات التي هي موضع نظر الخلق اكثر تاثيرا
ولذلك نزل عمر رضي الله عنه عن فرس هملج تحته وقطع ذنبه لانه استشعر في نفسه الخيلا لحسن
مشيته فهذا النفاق من المباحات وقول ابن عمر لا اسمع الله لكم لا يدل على التحريم من حيث انه

غناء بل كانوا محرمين ولا يليق بهم الرفث وظهر لهم من مخايلهم ان سماعهم لم يكن لوجد وشوق
الي زيارة بيت الله بل لمجرد اللهو فانكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالاضافة الي حالهم وحال الاحرام
وحكايات الاحوال يكثر فيها وجوه الاحتمال واما وضع الاصبع في اذنيه فتعارضه انه لم يامر
نافعا بوضع الاصبع ولا انكر عليه سماعه وانما وضع هو اصبعه لانه رأي ان ينزه في الحال
سمعه وقلبه عن صوت ربما يحرك اللهو ويمنعه عن فكر كان فيه هو اولي منه وكذلك
فعل رسول الله صلي الله عليه وسلم مع انه لم يمنع ابن عمر لا يدل علي التحريم بل يدل علي ان الاولي
تركه ولذلك يري ان الاولي تركه في اكثر الاحوال بل اكثر مباحات الدنيا الاولي تركها اذا علم ان
ذلك يوثر في القلب فقد خلع رسول الله صلي الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلوة ثوب ابي
جهم اذ كانت عليه اعلام شغلت قلبه افتري ان ذلك يدل علي تحريم الاعلام علي الثوب فلعله
صلي الله عليه وسلم كان في حالة كان صوت زمارة الراعي يشغله عن تلك الحالة كما كان العلم
يشغله عن الصلوة بل الحاجة الي استثارة الاحوال الشريفة من القلب بحيلة السماع قصور
الي من هو دايم الشهود للحق وان كان كمالا بالاضافة الي غيره ولذلك قال الحصري ماذا اعمل
بسماع ينقطع اذا مات من يسمع منه اشارة الي ان السماع من الله تعالي هو الدايم فالانبياء
علي الدوام في لذة السمع والشهود فلا يحتاجون الي تلك الحيلة واما قول الفضيل هو
رايد الزنا وكذلك ما عداه من الاقاويل القريبة منه فهو منزل علي الفساق والمغتلمين من
الشبان ولو كان ذلك عاما لما سمع من الجاريتين في بيت رسول الله صلي الله عليه وسلم
واما القياس فغايته ما يذكر فيه ان يقاس علي الاوتار وقد سبق الفرق او يقال هو لهو
ولعب وهو كذلك لكن الدنيا كلها لهو ولعب قال عمر رضي الله عنه لزوجته انما انت لعبة في
زاوية البيت وجميع الملاعبة من النساء لهو الا الحراثة الذي هو سبب لوجود الولد وكذا
المزح الذي لا فحش فيه حلال نقل ذلك عن رسول الله صلي الله عليه وسلم وعن الصحابة كما سياتي
تفصيله في كتاب آفات اللسان انشاء الله تعالي واي لهو يزيد علي لهو الحبشة والزنوج في
لعبهم وقد ثبت بالنص اباحته علي اني اقول اللهو مروح للقلب ومخفف عنه اعباء
الفكر والقلوب اذا اكرهت عميت وترويحها اعانة لها علي الجد فالمواظب علي التفقه
ينبغي ان يتعطل يوم الجمعة لان عطلة يوم تبعث النشاط في ساير الايام والمواظب
علي الصلوات في ساير الاوقات ينبغي ان يتعطل في بعض الاوقات ولاجله كرهت

الصلوات في بعض الاوقات والعطلة معونة علي العمل واللهو معين علي الجد ولا يصبر علي الجد
المحض والحق المر الا نفوس الانبياء فاللهو دواء القلب عن داء الاعياء والملال فينبغي ان يكون
مباحا ولكن لا ينبغي ان يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء فاذن اللهو علي هذه النية يصير قربة
هذا في حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها بل ليس له الا اللذة والاستراحة
المحضة فينبغي ان يستحب له ذلك ليتوصل به الي المقصود الذي ذكرناه نعم هذا يدل علي نقصان
عن ذروة الكمال بل الكامل هو الذي لا يحتاج ان يروح نفسه بغير الحق وان حسنات الابرار
سيئات المقربين ومن احاط بعلم علاج القلوب ووجوه التلطف بها للسياقة الي الحق علم قطعا
ان تركها بامثال هذه الامور دواء نافع لا غنى عنه

الباب الثاني في آثار السماع وآدابه

اعلم ان اول درجة السماع فهم المسموع وتنزيله علي معنى يقع للمستمع
ثم يثمر الفهم الوجد ويثمر الوجد الحركة بالجوارح فلينظر في هذه المقامات الثلث المقام الاول
في الفهم وهي تختلف باختلاف احوال المستمع وللمستمع اربعة احوال احدها ان يكون سماعه بمجرد
الطبع اي لا حظ له في السماع الا استلذاذ الالحان والنغمات وهذا مباح وهو اخس رتب
السماع والابل شريك فيه وكذا سائر البهائم بل لا يستدعي هذا الذوق الا الحيوة فلكل حيوان
نوع تلذذ بالاصوات الطيبة الحالة الثانية ان يسمع بفهم ولكن ينزله علي صورة مخلوق اما معين
وهو سماع الشبان وارباب الشهوة ويكون تنزيله للمسموع علي حسب شهواتهم ومقتضى احوالهم
وهذه الحالة اخس من ان يتكلم فيها الا ببيان خستها والنهي عنها والثالثة ان ينزله علي
احوال نفسه في معاملته مع الله تعالي وتقلب احواله في التمكن مرة وتعذره اخري وهذا سماع
المريدين لا سيما المبتدي فان للمريد لا محالة مرادا هو مقصده ومقصده معرفة الله ولقاؤه والوصول
اليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطاء وله في مقصده طريق هو سالكه ومعاملات
هو مثابر عليها وحالات تستقبله في معاملاته فاذا سمع ذكر عتاب او خطاب او قبول او رد
او وصل او هجر او قرب او بعد او تلهف علي فائت او تعطش الي منتظر او شوق الي وارد او
طمع او يأس او وحشة او استيناس او وفاء بالوعد او نقض للعهد او خوف فراق او فرح
بوصال او ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب او همول العبرات او ترادف الحسرات او طول
الفراق او عدة الوصال او غير ذلك مما يشتمل علي وصفه الاشعار فلا بد ان يوافق بعضها حال
المريد في طلبه فيجري ذلك مجرى القداح الذي يوري زناد قلبه وتشتعل به نيرانه ويقوى انبعاث

الشوق وهيجانه ويهجم بسببه عليه احوال مخالفة لعاداته ويكون له مجال رحب في تنزيل الالفاظ
علي احواله وليس علي المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام وجوه ولكل ذي فهم في اقتبا
س المعني حظ ولنضرب لهذه التنزيلات والفهوم امثلة كيلا يظن الجاهل ان المستمع لابيات فيها
ذكر الصنم والخد والصدغ انما يفهم منها ظواهرها فلا حاجة بنا الي ذكر كيفية فهم المعاني من
الالفاظ والابيات ففي حكايات اهل السماع ما يكشف عن ذلك وقد حكي عن بعضهم انه سمع
قول القايل قال الرسول غدا يزور فقلت تدري ما تقول فاستفزه اللحن والقول وتواجد وجعل
يكرره ويجعل مكان التاء نونا وقال قال الرسول غدا نزور حتي غشي عليه من شدة الفرح واللذة
والسرور فلما افاق سيل عن وجده مم كان فقال ذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم ان اهل
الجنة يزورون ربهم في كل يوم جمعة مرة وقد حكى الرقي عن ابن الدراج انه قال كنت انا وابن الفوطي
مارين على الدجلة بين البصرة والابلة فاذا بقصر حسن له منظر وعليه رجل بين يديه جارية تغني
وتقول كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل واذا شاب تحت المنظر بيده ركوة وعليه مرقعة يستمع فقال
يا جارية بالله وبحياة مولاك الا اعدت علي هذا البيت فاعادت فكان الشاب يقول والله هذا
تلوني مع الحق فشهق شهقة ومات قال فقلنا قد استقبلنا فرض فوقفنا فقال صاحب
القصر للجارية انت حرة لوجه الله ثم قال ثم خرج اهل البصرة وصلوا عليه فلما فرغوا من دفنه
قال صاحب القصر اشهدكم ان كل شي لي في سبيل الله وكل جواري احرار وهذا القصر للسبيل
قال ثم رمي بثيابه واتزر بازار وارتدى باخر ومر علي وجهه والناس ينظرون اليه حتى غاب عن
اعينهم وهم يبكون فلم يسمع له خبر والمقصود انه كان مستغرق الوقت بحاله مع الله وبعجزه عن
الثبوت علي حسن الادب في المعاملة وتاسفه علي تقلب قلبه وميله عن سنن الحق
فلما قرع سمعه ما يوافق حاله سمعه من الله تعالي كانه يخاطبه ويقول كل يوم تتلون غير هذا
اجمل ومن كان سماعه من الله وعلي الله وفيه فينبغي ان يكون قد احكم قانون العلم في معرفة
الله تعالي ومعرفة صفاته والا خطر له في السماع في حق الله عز وجل ما يستحيل عليه ويكفر به
ففي سماع المريد المبتدي خطر الا اذا نزله الا علي حاله من حيث لا يتعلق بوصف الله ومثال
الخطر فيه هذا البيت بعينه فلو سمعه في نفسه وهو يخاطب به ربه فيضيف التلون الي الله
فيكفر وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق وقد يكون عن جهل سابه الله
نوع من التحقيق وهو ان يرى تقلب احوال ساير العالم من الله وهو حق فانه تارة يبسط قلبه

وتارة يقبضه وتارة ينوره وتارة يقسيه وتارة يثبته على طاعته ويقويه عليها وتارة يسلط الشيطان
عليه ليصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله ومن يصدر منه افعال مختلفة في اوقات متقاربة
فقد يقال له في العادة انت ذو بدوات وانت متلون ولعل الشاعر لم يرد الا نسبة محبوبه الى التلون
في قبوله ورده وابعاده وهذا هو المعنى وسماع هذا كذلك في حق الله تعالى كفر محض بل ينبغي ان يعلم انه
يلون ولا يتلون ويغير ولا يتغير بخلاف عباده وذلك العلم يحصل للمريد باعتقاد تقليدي ايماني
ويحصل للعارف البصير بيقين كشفي حقيقي وذلك من اعاجيب اوصاف الربوبية وهو التغيير
من غير تغير ولا تتصور ذلك في حق الله تعالى بل كل مغير سواه فلا يغير ما لم يتغير ومن ارباب الوجد من تغلب
عليه حال مثل السكر المدهش فينطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى ويستنكر اقهاره للقلوب
وسمته بالاحوال الشريفة على تفاوت فانه المستصفي لقلوب الصديقين والمبعد لقلوب
الجاحدين والمغرورين فلا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية
متقدمة ولا امد الانبياء بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة سابقة ولكنه تعالى قال ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين وقال ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون فان خطر ببالك انه لم اختلف السابقة وهم في
ربقة العبودية مشتركون نوديت من سرادقات الجلال لا تجاوز حد الادب فانه لا يسال عما يفعل
وهم يسالون ولعمري تادب اللسان والظاهر مما يقدر عليه الاكثرون فاما تادب السر عن اضمار
الاستشعار لهذا الاختلاف الظاهر في التقريب والابعاد والاشقاء والاسعاد مع بقاء السعادة
والشقاوة ابد الاباد فلا يقوى عليه الا العلماء الراسخون ولهذا قال الخضر عليه السلم لما سئل عن السماع
في المنام انه الصفاء الزلال الذي لا يثبت عليه الا اقدام العلماء لانه محرك لاسرار القلوب ومكامنها
ومشوش لها تشويش السكر المدهش الذي يكاد يحل عقدة الادب عن السر الا من عصمه الله تعالى
بنور هدايته ولطف عصمته ولذلك قال بعضهم ليتنا نجونا من هذا السماع راسا براس ففي هذا الفن
من السماع خطر يزيد على خطر السماع على مخلوق بالشهوة فان غاية ذلك معصية وغاية الخطاء ههنا
كفر واعلم ان الفهم قد يختلف باحوال المستمع فيغلب الوجد على مستمعين بيت واحد واحدهما مصيب
والاخر مخطي او كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين متضادين ولكن بالاضافة الى اختلاف احوالهما
لا يتناقض كما حكي عن عتبة الغلام انه سمع رجلا يقول سبحان جبار السماء ان المحب لفي عناء فقال
صدقت وسمعه رجل اخر فقال كذبت فقال بعض ذوي البصاير اصابا جميعا وهو الحق فالتصديق

كلام محب غير متمكن من المراد بل مصدود ومتعب بالصد والتكذيب كلام مستأنس بالحب مستلذ
بما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متأنس به او كلام محب غير مصدود عن مراده في الحال ولا يستشعر
خطر الصدف في المآل وذلك باستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه فباختلاف هذه الاحوال يختلف
الفهم حكي عن ابي القاسم بن مروان وكان قد صحب ابا سعيد الخراز وترك حضور السماع سنين
كثيرة فحضر دعوة وفيها انسان يقول واقف في الماء عطشان ولكن ليس يسقى فقام القوم وتواجدوا
فلما سكنوا سالهم عن معنى ما وقع لهم من معنى البيت فاشاروا الى التعطش الى الاحوال الشريفة
والحرمان عنها مع حضور اسبابها فلم يقنعه ذلك فقيل له ما عندك فيه قال ان يكون في وسط
الاحوال ويكرم بالكرامات ولا يعطى منه ذرة وهو اشارة الى اثبات حقيقة وراء الاحوال والكرامات
الاحوال سوابقها والكرامات تسنح في مباديها والحقيقة بعد لم يقع الوصول اليها ولا فرق بين
المعنى الذي فهمه والمعنى الذي ذكروه الا في رتبة المتعطش اليه فان المحروم عن الاحوال الشريفة
اولا يتعطش اليها فان مكن منها تعطش الى ما وراءها فليس بين المعنيين اختلاف في الفهم
بل الاختلاف في المرتبتين وكان الشبلي كثيرا ما يتواجد على هذا البيت شعر ودادكم هجر وحبكم قلى
ووصلكم صرم وسلمكم حرب وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل
اظهرها ان يفهم هذا في الخلق بل في الدنيا باسرها في كل ما سوى الله فان الدنيا مكارة خداعة
قتالة لاربابها معادية لهم في الباطن ومظهرة صورة الوداد فما امتلأت دار حبرة الا امتلأت
عبرة كما ورد في الخبر وكما قال المعالي في وصف الدنيا شعر تنح عن الدنيا فلا تخطبنها
ولا تخطبن قتالة من تناكح فليس يفي مرجوها بمخوفها ومكروهها اما تأملت راجح لقد قال فيها الواصفون
فاكثروا وعندي لها وصف لعمرك صالح سلاف قصاراها ذعاف ومركب شهي اذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يؤثر الناس حسنه ولكن له اسرار سوء قبائح المعنى الثاني ان ينزله على نفسه في حق
الله تعالى فانه اذا تفكر فمعرفته جهل اذ ما قدروا الله حق قدره وطاعته رياء اذ لا يتقي الله حق تقاته وحبه
معلول اذ لا يدع شهوة من شهواته في حبه ومن اراد الله به خيرا بصره بعيوب نفسه فيرى مصداق هذا
البيت في نفسه وان كان عالي الرتبة بالاضافة الى الغافلين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا احصي
ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال اني استغفر الله في اليوم سبعين مرة وانما يستغفر من احوال
هي درجات قربة بالاضافة الى ما قبلها ولكنها بعيدة بالاضافة الى ما بعدها فلا قرب الا و[illegible]
وراءها بعد لا نهاية له اذ سبيل السلوك الى الله غير متناه والوصول الى اقصى درجات القرب

حال المتفي الثالث ان ينظر في مبادي احواله فيرتضيها ثم ينظر في عواقبها فيزدريها لاطلاعه على خفايا
الغرور فيها فيري ذلك من الله فيسمع البيت في حق الله شكاية من القضاء والقدر وهكذا كذا كما سبق بيانه
وما من بيت الا ويمكن تنزيله علي معان وذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفاء قلبه الحالة الرابعة سماع
من جاوز الاحوال والمقامات فعزب عن فهمه ما سوي الله حتى عزب عن نفسه نفسه واحوالها
ومعاملاتها وكان كالمدهوش الغائص في عين الشهود الذي يضاهي حاله حال النسوة اللاتي قطعن
ايديهن في مشاهدة جمال يوسف حتى بهتن وسقط احساسهن وعن مثل هذه الحالة يعبر الصوفية
بانه فني عن نفسه فهو عن غيره افني فكانه فني عن كل شي الا عن الواحد المشهود وفني ايضا عن الشهود
فان القلب اذا التفت الي الشهود والي نفسه بانه مشاهد فقد غفل عن المشهود فالمستهتر
بالمرئي لا التفات له في حالة استغراقه الي رؤيته والي عينه التي بها رؤيته والي قلبه الذي به
لذته فالسكران لا خبر له من سكره والملتذ لا خبر له من التذاذه انما خبره من الملتذ به فقط ومثاله العلم
بالشي فانه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشي فالعالم بالشي مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشي كان
معرضا عن الشي ومثل هذه الحالة قد يطري في حق المخلوق ويطري ايضا في حق الخالق ولكنه
في الغالب يكون كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم وان دام لم تطقه القوة البشرية فربما اضطرب
تحت اعبائه اضطرابا يهلك فيه نفسه كما روي عن ابي الحسن النوري انه حضر مجلسا فسمع هذا البيت
ما زلت انزل في ودادك منزلا يتحير الالباب عند نزوله فقام وتواجد وهام على وجهه فوقع في اجمة قصب
قد قطعت وبقيت اصولها مثل السيوف فصار يعدو فيها ويعيد البيت الي الغداة والدم يخرج من
رجليه حتى ورمت قدماه وساقاه وعاش بعده اياما ومات رحمه الله فهذه درجة الصديقين في الفهم
والوجد وهي اعلي الدرجات لان السماع علي الاحوال وهي ممتزجة بصفات البشرية نوع قصور
وانما الكمال ان يفني بالكلية عن نفسه واحواله اعني انه ينساها فلا يبقي له التفات اليها كما لم يكن
للنسوة التفات الي اليد والسكين فيسمع بالله ولله وفي الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق
وعبر ساحل الاحوال والاعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص فلم يبق فيه منه شي
اصلا بل خمدت بالكلية الالتفات الي الصفات البشرية اصلا ولست اعني بفنائه فناء جسده
بل قلبه ولست اعني بالقلب اللحم والدم بل سر لطيف له الي القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح
الذي هو من امر الله تعالى عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ولذلك السر وجود وصورة ذلك
الوجود ما يحضر فيه فاذا حضر فيه غيره فكانه لا وجود الا للحاضر ومثاله المراة المجلوة اذ ليس لها لون

في نفسها بل لونها لون الحاضر فيها وما سواها الزجاجة فانها تحكي لون قرارها ولونها لون الحاضر
فيها وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ولونها هي هيئة الاستعداد لقبول الالوان
نعرب عن هذه الحقيقة في سر القلب بالاضافة الي ما يحضر فيه قول الشاعر رق الزجاج ورقت الخمر
فتشابها فتشاكل الامر فكانه خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر وهذا مقام من مقامات علوم المكاشفة
منه حال من ادعي الحلول والاتحاد وقال انا الحق وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى
اتحاد اللاهوت بالناسوت او تدرعها بها او حلولها فيها علي ما اختلف فيه عباراتهم وهو
خطا محض يضاهي غلط من يحكم على المراة بصورة الحمرة اذا ظهر فيها لون الحمرة من مقابلها
واذا كان هذا غير لايق بعلم المعاملة فلنرجع الي الغرض فقد ذكرنا تفاوت الدرجات في فهم
المسموعات المقام الثاني بعد الفهم والتنزيل الوجد وللناس كلام طويل في حقيقة الوجد اعني
الصوفية والحكماء الناظرين في وجه مناسبة السماع للارواح فلننقل من اقوالهم الفاظا ثم
لنكشف عن الحقيقة فيه اما الصوفية فقد قال ذو النون المصري في السماع انه وارد حق جاء
يزعج القلب الي الحق فمن اصغى اليه بحق تحقق ومن اصغى اليه بنفس تزندق فكانه عبر عن
الوجد بانزعاج القلوب الي الحق وهو الذي يجده عند ورود وارد السماع اذ سمى السماع وارد حق
وقال ابو الحسين الدراج مخبرا عما وجده في السماع الوجد عبارة عما يوجد عند السماع قال جال
بي السماع في ميادين البها فاوجدني وجود الحق عند العطاء فسقاني بكاس الصفا
فادركت به منازل الرضا فاخرجني الي رياض النزهة والفضا وقال الشبلي السماع ظاهره
فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الاشارة حل له السماع والا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية
وقال بعضهم السماع غذاء ارواح اهل المعرفة لانه وصف يدق عن ساير الاعمال ويدرك برقة الطبع
لرقته وبصفاء السر لصفائه ولطفه عند اهله وقال عمرو بن عثمان المكي لا يقع على كيفية الوجد
عبارة لانه سر الله عند المومنين وقال بعضهم الوجد مكاشفات من الحق وقال ابو سعيد ابن
الاعرابي الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة
السر وايناس المفقود وهو فناؤك انت من حيث انت وقال ايضا الوجد اول درجات الخصوص
وهو ميراث التصديق بالغيب فلما ذاقوها وسطع في قلوبهم نورها زال عنهم كل شك وريب
وقال ايضا الذي يحجب عن رؤيته اثار النفس والتعلق بالعلايق والاسباب لان النفس محجوبة
باسبابها فاذا انقطعت الاسباب وخلص الذكر وصحا القلب ورق وصفا ونجعت الموعظة

فيه وحل من الساعات في محل غريب وخوطب وسمع الخطاب باذن واعية وقلب شاهد
وسر طاهر شاهد ما كان خاليا منه فذلك هو الوجد لانه قد وجد ما كان معدوما عنه وقال
الوجد ما يكون عند ذكر مزعج او خوف مقلق او توبيخ عن زلة او محادثة بلطيفة او اشارة الي فاسد
او شوق الي غايب او تاسف علي فايت او ندم علي ماض او استجلاب الي حال او داع الي واجب
او مناجاة بسر وهو في مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسر بالسر
واستخراج ما لك بما عليك مما سبق لك ليسعى فيه فيكتب ذلك بعد كونه منك فيثبت لك قدم بلا قدم
وذكر بلا ذكر اذ كان هو المبتدي بالنعم والمتولي واليه يرجع الامر كله فهذا ظاهر علم الوجد
واقوال الصوفية من هذا الجنس في الوجد كثير واما الحكماء فقد قال بعضهم في القلب فضيلة شريفة
لم تقدر قوة النطق علي اخراجها باللفظ فاخرجتها النفس بالالحان فلما ظهرت سرت وطربت
اليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظواهر وقال بعضهم نتائج السماع استنهاض
العاجز من الراي واستجلاب العازب من الافكار وحدة الكال من الافهام والاراء حتى يثوب
ما غرب وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ويمرح في كل راي ونية فيصيب ولا يخطي وقال اخر كما ان
الفكر يطرق العلم الي المعلوم فالسماع يطرق القلب الي العالم الروحاني وقال بعضهم وقد سئل
عن سبب حركة الاطراف بالطبع على وزن الالحان والايقاعات فقال ذلك عشق عقلي والعاشق
العقلي لا يحتاج الي ان يناجي معشوقه بالنطق الجرمي بل يناجيه بالتبسم والحركة اللطيفة
بالحاجب والجفن والاشارة هذه نواطق اجمع الا انها روحانية والعاشق البهيمي فانه يستعمل
المنطق الجرمي ليعبر عنه وتموه ظاهر عشقه الضعيف وعشقه الداثر وقال آخر من حزن فليستمع
الالحان فان النفس اذا دخلها الحزن خمد نورها واذا فرحت اشتعل نورها وبظهور فرحها
يظهر الحنين بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفائه ونقائه من الغش والدنس والاقاويل
المروية في السماع والوجد كثيرة ولا معني للاستكثار منها فليشتغل بتفهيم المعني الذي الوجد عبارة
عنه فنقول انه عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد حق عقيب السماع يجده المستمع من نفسه
وتلك الحالة لا تخلو من قسمين فانها اما ان يرجع الي مكاشفات ومشاهدات من قبيل العلوم
والتشبهات واما ان يرجع الي معارف واحوال ليست من العلوم بل هي كالشوق والخوف
والحزن والقلق والسرور والاسف والندم والبسط والقبض وهذه الاحوال يهيجها السماع
ويقويها فان ضعف بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر او تسكينه او تغير حاله حتى يتحرك علي خلاف

عاداته او يطرق و يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا وان ظهر
على الظاهر يسمي وجدا اما ضعيفا او قويا بحسب ظهوره وتغيره للظاهر وتحريكه بسبب قوة وروده
وحفظ الظاهر عن التغير بحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه فقد يقوى الوجد في الباطن
ولا يتغير الظاهر بقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك
والى المعنى الاول اشار ابو سعيد ابن الاعرابي حيث قال في الوجد انه مشاهدة الرقيب
وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يبعد ان يكون السماع سببا لكشف ما لم يكن مكشوفا قبله
فان الكشف يحصل باسباب منها التنبيه والسماع منبه ومنها تغير الاحوال ومشاهدتها وادراكها
فان ادراكها نوع علم يفيد ايضاح امور لم يكن معلومة قبل الورود ومنها صفاء القلب والسماع
مؤثر في تصفية القلب والصفاء سبب الكشف ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى
به على مشاهدة ما كان يقصر عنه قبل قوته كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله وعمل
القلب الاستكشاف وملاحظة اسرار الملكوت كما ان عمل البعير الحمل فبواسطة هذه الاسباب
يكون سببا للكشف بل القلب اذا صفا تمثل له الحق في صورة مشاهدة او في لفظ منظوم يقرع
سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف اذا كان في اليقظة وبالرؤيا اذا كان في المنام وذلك جزء من
النبوة وعلم عميق ذلك خارج عن علم المعاملة وذلك كما روي عن محمد بن مسروق البغدادي انه
قال خرجت ليلة في ايام جهالتي وانا نشوان وكنت اغني هذا البيت شعر بطيزناباذ كرم ما مررت به
الا تعجبت ممن يشرب الماء فسمعت قايلا يقول وفي الجحيم حميم ما تجرعه حلق فابقى له في البطن
امعاء قال وكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالعلم والعبادة فانظر كيف اثر الغناء في
تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقة الحق في صفة جهنم في لفظ موزون منظوم وقرع ذلك
سمعه الظاهر وعن مسلم العباداني قال قدم علينا مرة صالح المري وعتبة الغلام وعبد
الواحد بن زيد ومسلم الاسواري ونزلوا على الساحل قال فهيأت لهم طعاما ودعوتهم اليه فجاؤا
فلما وضعت الطعام بين ايديهم اذا قايل يقول رافعا صوته وتلهيك عن دار الخلود مطاعم
ولذة نفس غيها غير نافع قال فصاح عتبة الغلام صيحة وخر مغشيا عليه وبكى القوم فرفعنا
الطعام وما ذاقوا منه لقمة وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب يشاهد ايضا بالبصر
صورة الخضر عليه السلم فانه يتمثل لارباب القلوب بصور مختلفة وفي مثل هذه الحالة
يتمثل الملايكة للانبياء اما على حقيقة صورتها واما على مثال يحاكي صورتها بعض المحاكاة

ورأي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرئيل مرتين في صورته واخبر عنه بانه كان قد سد الافق وهو
المراد بقوله تع علمه شديد القوي ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلي الي آخر هذه الآيات وفي
مثل هذه الاحوال من الصفاء تقع الاطلاع علي ضماير القلوب وقد يعبر عن ذلك الاطلاع
بالتفرس ولذلك قال صلي الله عليه وسلم اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله تع وقد حكي ان
واحدا من المجوس كان يدور علي المسلمين ويقول ما معني قول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا
فراسة المومن فكان يذكر له تفسيره فلم يقنعه حتي انتهي الي بعض مشايخ الصوفية فسأله
فقال معناه ان تقطع الزنار عن وسطك تحت ثوبك فقال صدقت هذا معناه واسلم وقال
الآن عرفت انك مومن وان ايمانك حق وكما حكي عن ابرهيم الخواص قال كنت ببغداد مع جماعة
من الفقراء في الجامع اذ اقبل شاب طيب الرايحة حسن الوجه فقلت لاصحابنا يقع لي انه
يهودي فكلهم كره ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع اليهم وقال ايش قال الشيخ في فاحتشموا
فالح عليهم فقالوا قال انك يهودي قال فجاءني فاكب علي يدي واسلم وقال نجد في كتبنا
ان الصديق لا يخطئ فراسته فقلت امتحن المسلمين فتاملتهم فقلت ان كان فيهم صديق
ففي هذه الطايفة لانهم لا يحاوزون حد الله سبحانه فلبست عليكم فلما اطلع علي الشيخ وتفرس
في علمت انه صديق وصار الشاب من كبار الصوفية والي مثل هذا الكشف الاشارة بقوله
صلي الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون علي قلوب بني آدم لنظروا الي ملكوت السماء
وانما يحوم الشياطين علي القلوب اذا كانت مشحونة بالصفات المذمومة فانها مرعي
الشيطان ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفا لم يطف الشيطان حول قلبه واليه
الاشارة بقوله تعالي الا عبادك منهم المخلصين وبقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
والسماع سبب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء وعلي هذا يدل ما روي ان
ذا النون المصري دخل بغداد فاجتمع اليه قوم من الصوفية ومعهم قوال فاستاذنوه في ان
يقول شيئا فاذن له في ذلك فانشا يقول شعر صغير هواك عذبني فكيف به اذا احتكا وانت
جمعت من قلبي هوى قد كان مشتركا فقام ذو النون وسقط على وجهه ثم قام رجل آخر
فقال ذو النون الذي يراك حين تقوم فجلس ذلك الرجل وكان ذلك اطلاعا من ذي النون
علي قلبه انه متكلف متواجد بعرفه ان الذي يراه حين يقوم هو الخصم في قيامه لغير الله
ولو كان الرجل صادقا لما جلس فاذن رجع حاصل الوجد الي مكاشفات والي حالات واعلم

انه قد ينقسم كل واحد منهما الي ما يمكن التعبير عنه عند الافاقة منه والي ما لا يمكن العبارة عنه اصلا
ولعلك تستبعد حالة او علما لا تعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عن حقيقته فلا تستبعد فانك تجد في
احوالك القريبة لها شواهد اما العلم فكم من فقيه يعرض عليه مسئلتان متشابهتان في
الصورة ويدرك الفقيه بذوقه ان بينهما فرقا في الحكم واذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان
وان كان من افصح الناس فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه وادراكه الفرق علم يصادفه
في قلبه بالذوق ولا شك في ان لوقوعه في قلبه سبب وله حقيقة عند الله ولا يمكنه الاخبار
عنه لا لقصور في لسانه بل لدقة المعنى عن ان تناله العبارة وهذا مما قد تفطن له الواظبون
علي النظر في المشكلات واما الحال فكم من انسان يدرك في قلبه في الوقت الذي يصبح
قبضا او بسطا فلا يعلم سببه وقد يتفكر الانسان في شي فيوثر في نفسه اثرا وينسي ذلك
السبب ويبقى الاثر في نفسه وهو يحس به وتكون الحالة التي يحسها سرورا ثبت في نفسه
بتفكره في سبب موجب لسرور آخر فينسى المتفكر فيه ويحس بالاثر عقيبه وقد يكون تلك
الحالة حالة غريبة لا يعرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة مفصحة
عن المقصود بل ذوق الشعر الموزون والفرق بينه وبين غير الموزون يختص به بعض الناس
دون بعض وهي حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها اعني التفرقة بين الموزون
والمزحف ولا يمكنه التعبير عنها بما يتضح به مقصوده لمن لا ذوق له ففي النفس احوال غريبة
هذا وصفها بالمعاني المشهورة من الخوف والحزن والسرور انما يحصل في السماع عن غناء
مفهوم فاما الاوتار وساير النغمات التي ليست مفهومة توثر في النفس تاثيرا عجيبا ولا يمكن
التعبير عن عجايب تلك الآثار وقد يعبر عنه بالشوق ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق
اليه فهو عجيب والذي اضطربت نفسه بسماع الاوتار او الشاهين ليس يدري الي ما يشتاق
ويجد في نفسه حالة كانها يتقاضى امرا ليس يدري ما هو حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب
علي قلبه لا حب آدمي ولا حب الله تع وهنا له سر وهو ان كل شوق فله ركنان احدهما صفة
المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق اليه الثاني معرفة المشتاق اليه ومعرفة صورة
الوصول اليه فان وجدت الصفة التي بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق اليه كان
الامر ظاهرا وان لم يوجد العلم بالمشتاق اليه ووجدت الصفة المشوقة وحركت تلك الصفة
فاشتعل نارها اورثت دهشة وحيرة لا محالة ولو نشا آدمي وحده حيث لم ير صورة النساء

ولا يعرف الوقاع ثم راهق وغلبت عليه الشهوة لكان يحسّ من نفسه بنار الشهوة ولا يدري انه يشتاق
الي الوقاع لانه ليس يدري صورة الوقاع ولا صورة النسا، فكذلك في نفس الآدمي مناسبة مع العالم
الاعلي واللذات التي وعدت في سدرة المنتهى والفراديس العلى الا انه لم يتخيل من هذه الامور
الا الصفات والاسما، كالذي يسمع لفظ الوقاع والنسا، ولم يشاهد صورة امراة قط ولا صورة
رجل ولا صورة نفسه في المرآة ليعرف بالمقايسة فالسماع تحرك منه الشوق والجهل المفرط والاشتغال
بالدنيا قد انساه نفسه وانساه ربه وانساه مستقره الذي اليه حنينه واشتياقه بالطبع فيتقاضاه
قلبه امرا ليس يدري ما هو فيدهش ويتحير ويضطرب ويكون كالمختنق الذي لا يعرف طريق
الخلاص فهذا وامثاله من الاحوال التي لا يدرك تمام حقايقها ولا يمكن للمتصف بها ان يعبر عنها
فقد ظهر انقسام الوجد الي ما يمكن اظهاره والي ما لا يمكن واعلم ان الوجد ايضا ينقسم الي هاجم
والي متكلف ويسمي التواجد والتواجد المتكلف فمنه مذموم وهو الذي يقصد به الريا واظهار
الاحوال الشريفة مع الافلاس عنها ومنه ما هو محمود وهو التوصل الي استدعا، الاحوال الشريفة
واكتسابها واجتلابها بالحيلة فان للكسب مدخلا في جلب الاحوال ولذلك امر رسول الله صلعم
من لم يحضره البكا، في قراءة القرآن ان يتباكي ويتحازن فان هذه الاحوال قد يتكلف مباديها
ثم تتحقق اواخرها وكيف لا يكون التكلف سببا في ان يصير التكلف بالاخر طبعا وكل من يتعلم
القرآن اولا يحفظه تكلفا ويقراه متكلفا مع تمام التامل واحضار الذهن ثم يصير ذلك ديدنا
باللسان مطردا حتى يجري به لسانه في الصلوة وهو غافل فيقرا تمام السورة ثم يثوب اليه نفسه
بعد انتهائه الي آخر السورة ويعلم انه قراها في حال غفلته وكذلك الكاتب يكتب بجهد شديد
في الابتدا، ثم تمرن عليه يده فيصير الكتابة له طبعا فيكتب اوراقا وهو مستوفر النفس بفكر آخر
فجميع ما يحتمله النفس والجوارح من الصفات لا سبيل الي اكتسابها الا بالتكلف والتصنع اولا
ثم يصير بالعادة طبعا وهو المراد بقول بعضهم العادة طبيعة خامسة فكذلك الاحوال الشريفة لا ينبغي
ان ييأس الناس عنها عند فقدها بل ينبغي ان يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره فلقد شوهد في
العادات من اشتهي ان يعشق شخصا ولم يكن يعشقه فلم يزل يردد ذكره علي نفسه ويديم النظر اليه
ويقرر علي نفسه الاوصاف المحبوبة والاخلاق المحمودة منه حتى عشقه ورسخ ذلك في قلبه رسوخا
خرج عن حد اختياره واشتهى بعده الخلاص منه ولم يتخلص فكذلك حب الله والشوق الي
لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الاحوال الشريفة اذا فقدها الانسان فينبغي ان يتكلف

اجتلابها بمجالسة المتصفين بها ومشاهدة احوالهم وتحسين صفاتهم في النفس وبالجلوس
معهم في السماع وبالدعاء والتضرع الى الله تعالى في ان يرزقه تلك الحالة بان ييسر له اسبابها
ومن اسبابها السماع ومجالسة الصالحين والخائفين والمحبين فمن جالس شخصا سرت اليه
صفاته من حيث لا يدري ويدل على امكان تحصيل الحب وغيره من الاحوال بالاسباب قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب من يقربني الى
حبك فقد فزع الى الدعاء في طلب الحب فهذا انقسام الوجد الى مكاشفات والى احوال
وانقسامه الى ما يمكن الايضاح عنه والى ما لا يمكن وانقسامه الى المتكلف والى المطبوع فان
قلت فما بال هولاء لا يظهر وجدهم على القرآن ويظهر على الغناء وهو كلام الشعراء فلو كان
ذلك حقا ولم يكن من غرور الشيطان لكان القرآن اولى به من الغناء فنقول الوجد الحق ما
من فرط حب الله وصدق ارادته والشوق الى لقائه وذلك يهيج بسماع القرآن ايضا وانما الذي
لا يهيج بالقرآن حب الخلق والعشق للمخلوق ويدل على ذلك قوله الا بذكر الله تطمئن القلوب
وقوله مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وكل ما يوجد
عقيب السماع بسبب السماع في النفس فهو وجد فالطمانينة والاقشعرار والخشية ولين القلب
كل ذلك وجد قال تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقال تعالى لو انزلنا
هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا والوجل والخشوع وجد من قبيل الاحوال وان لم
يكن من قبيل المكاشفات ولكن قد يصير سببا للمكاشفات والتنبيهات ولهذا قال صلعم
زينوا القرآن باصواتكم وقال لابي موسى الاشعري لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود واما
الحكايات الدالة على ان ارباب القلوب قد ظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن فكثيرة فقوله
صلى الله عليه وسلم شيبتني هود خبر عنه فان الشيب يحصل من الحزن والخوف وذلك وجد
وروي ان ابن مسعود قرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى قوله فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا قال حسبك وكانت عيناه تذرفان بالدمع وفي
رواية انه قرا هذه الآية او قرئ عليه ان لدينا انكالا وجحيما فصعق وسمع رجلا يقرا ان عذاب
ربك لواقع ما له من دافع فصاح صيحة خر مغشيا عليه فحمل الى بيته فلم يزل مريضا في البيت
شهرا وانه صلى الله عليه وسلم قرا ان تعذبهم فانهم عبادك فبكى وكان صلى الله عليه وسلم اذا مر
باية رحمة دعا واستبشر والاستبشار وجد وقد اثنى الله على اصحاب الوجد بالقرآن فقال

واذا سمعوا ما انزل الي الرسول تري اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وروي ان رسول الله صلعم
كان يصلي ولصدره ازيز كازيز المرجل واما ما ينقل من الوجد بالقرآن عن الصحابة والتابعين فكثير
منهم من صعق ومنهم من بكي ومنهم من غشي عليه ومنهم من مات من غشيه وكان زرارة بن اوفي من
التابعين يام الناس فقرا ليلة فاذا نقر في الناقور فصعق ومات وابو جرير من التابعين
قرا عليه صالح المري فشهق ومات وسمع الشافعي قاريا يقرا هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن
لهم فيعتذرون فغشي عليه وسمع علي بن الفضيل قاريا يقرا يوم يقوم الناس لرب العالمين
فسقط مغشيا عليه فقال الفضيل شكر الله لك ما قد علم منك وكذلك جماعة منهم وكذلك الصوفية
فقد كان الشبلي في مسجده ليلة في رمضان وهو يصلي خلف امام له فقرا الامام ولئن شئنا
لنذهبن بالذي اوحينا اليك فزعق الشبلي زعقة ظن الناس انه قد طارت روحه واحمر وجهه
وارتعد وكان يقول بمثل هذا يخاطب الاحباب يردد ذلك مرارا وقال الجنيد دخلت على سري
السقطي فرايت بين يديه رجلا قد غشي عليه فقال لي هذا رجل قد سمع آية من القرآن فغشي عليه
فقلت اقروا عليه تلك الآية بعينها فقرا فافاق فقال من اين قلت هذا فقلت رايت يعقوب
عليه السلم كان عماه من اجل مخلوق فبمخلوق ابصر ولو كان عماه من اجل الحق لما ابصر بمخلوق
فاستحسن ذلك ويشير الي ما قاله قول الشاعر وكاس قد شربت على لذة واخرى تداويت منها بها
وسمع رجل من اهل التصوف قاريا يقرا يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الي ربك راضية مرضية
فاستعادها من القاري وقال كم اقول لها ارجعي وليست ترجع وتواجد وزهق زعقة فخرجت
روحه وسمع بكر بن معاذ قاريا يقرا وانذرهم يوم الآزفة فاضطرب ثم صاح ارحم من انذرته
ولم يقبل اليك بعد الانذار بطاعتك ثم غشي عليه وكان ابرهيم بن ادهم اذا سمع قاريا يقرا
اذا السماء انشقت يضطرب اوصاله حتى كانه يرعد وعن محمد بن صبيح قال كان رجل يغتسل
في الفرات فمر به على الشاطي رجل يقرا وامتازوا اليوم ايها المجرمون فلم يزل الرجل يضطرب
حتى غشي غرق وذكر ان سلمان الفارسي ابصر شابا يقرا فاتى على آية فاقشعر جلده فاحبه ففقده
فسال عنه فقيل انه مريض فاتاه يعوده فاذا هو في الموت فقال يا ابا عبد الله رايت تلك
القشعريرة التي كانت مني فانها اتتني في احسن صورة فاخبرتني ان الله قد غفر لي بها كل ذنب
وقال بعض الصوفية كنت اقرا ليلة هذه الآية كل نفس ذائقة الموت فجعلت اردد ها فاذا
هاتف يهتف كم تردد هذه الآية قد قتلت اربعة من الجن لم يرفعوا رووسهم الي السماء منذ خلقوا

وقال ابو علي المغازلي للشبلي ربما يطرق سمعي آية من كتاب الله تعالى فتحدوني على الاعراض عن الدنيا
ثم ارجع الى الاحوال والى الناس فلا ابقى على هذا فقال ما طرق سمعك فاجتذبك به فذلك عطف منه عليك
ولطف منه بك واذا ردك الى نفسك فهو شفقة منه عليك فانه لا يصلح لك الا التبري من الحول والقوة
في التوجه اليه وبالجملة لا يخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن فان كان القرآن لا يوثر فيه
اصلا فمثله كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يرجعون بل صاحب القلب
يوثر فيه الكلمة من الحكمة يسمعها قال جعفر الخلدي دخل رجل من اهل خراسان على الجنيد وعنده
جماعة فقال للجنيد متى يستوي عند العبد حامده وذامه فقال بعض الشيوخ اذا دخل المارستان
وقيد بقيدين فقال الجنيد ليس هذا من شانك ثم اقبل على الرجل فقال اذا تحقق انه مخلوق
فشهق الرجل وخرج فان قلت فان كان سماع القرآن مفيدا للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع
الغناء من القوالين دون المقرئين وكان ينبغي ان يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القراء لا حلق
المغنين وكان ينبغي ان يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قارئ لا قوال فان كلام الله تعالى افضل
من الغناء لا محالة فاعلم ان الغناء اشد تهييجا للوجد من القرآن من وجوه الاول ان جميع آيات
القرآن لا يناسب حال المستمع ولا يصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس له فمن استولى عليه حزن
او شوق او ندم فمن اين يناسب حاله قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وقوله
والذين يرمون المحصنات وكذلك جميع الآيات التي فيها بيان احكام المواريث والطلاق والحدود وغيرها
وانما المحرك لما في القلب ما يناسبه والابيات انما نظمها الشعراء اعرابا بها عن احوال القلب فلا يحتاج
في فهم الحال منه الى تكلف نعم من تستولي عليه حالة غالبة قاهرة لم يبق فيه متسع لغيرها ومعه تيقظ
وذكاء ثاقب يتفطن به للمعاني البعيدة من الالفاظ فقد يحضر وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند
ذكر قوله تع يوصيكم الله في اولادكم حالة الموت المحوج الى الوصية وان كل انسان لا بد وان يخلف ماله وولده
وهما محبوباه من الدنيا فيترك احد المحبوبين للثاني ويهجرهما جميعا فيغلب عليه الخوف والجزع او يسمع
ذكر كلمة الله في قوله يوصيكم الله فيدهش بمجرد الاسم عما قبله وبعده ويخطر له رحمة الله على عباده وشفقته
بان تولى قسمة مواريثهم بنفسه نظرا لهم في حياتهم وموتهم فيقول اذا نظر لاولادنا بعد موتنا فلا يشك
في انه ينظر لنا فيهيج منه حال الرجاء فيورث ذلك استبشارا وسرورا ويخطر له من قوله للذكر مثل
حظ الانثيين تفضيل الذكر لكونه رجلا على الانثى وان الفضل في الآخرة لرجال لا تلهيهم تجارة ولا
بيع عن ذكر الله ومن الهاه غير الله فهو من الاناث لا من الرجال تحقيقا فيخشى ان يحجب او يوخر في

النعيم الآخرة كما انحرقت في اموال الدنيا فامثال هذا قد يحرك الوجد ولكن لمن فيه وصفان احدهما حالة
غالبة مستغرقة قاهرة والاخرى تفطن وتيقظ كامل بالتنبه للامور القريبة للمعاني البعيدة وذلك مما يعز
فلاجل ذلك نزع الى الغناء الذي هو الفاظ متناسبة للاحوال حتى تسارع هيجانها روي ان ابا الحسن
النوري كان مع جماعة فجرت بينهم مسئلة وابو الحسن ساكت ثم رفع راسه وانشدهم هذه الابيا
ت رب ورقاء هتوف بالضحى ذات شجو صدحت في فنن فبكائي ربما ارقها وبكاها ربما ارقني
هي ان تشكو فما افهمها واذا اشكو فما تفهمني غير اني بالجوى اعرفها وهي ايضا بالجوى تعرفني قال
فما بقي من القوم احد الا قام وتواجد ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه وان كان العلم
جدا وحقا الوجه الثاني ان القرآن محفوظ للاكثرين ومتكرر على الاسماع والقلوب وكلما سمع اولا
عظم اثره وفي الكرة الثانية يضعف اثره وفي الثالثة يكاد يسقط اثره ولو كلف صاحب الوجد
الغالب ان يحضر الوجد على بيت واحد على الدوام في مرات متفاوتة من الزمان في يوم او اسبوع
لم يمكنه ذلك وان ابدل ببيت آخر تجدد له اثر وان كان معربا عن ذلك المعنى ولكن كون النظم واللفظ
غريبا بالاضافة الى الاول يحرك النفس وان كان المعنى واحدا وليس يقدر القارئ على ان يقرأ
قرآنا غريبا في كل وقت ودعوة لان القرآن محصور لا يمكن الزيادة عليه وكله محفوظ ومتكرر والى
ما ذكرناه اشار الصديق رضي الله عنه حيث راى الاعراب يقدمون فيسمعون القرآن فيبكون فقال
كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا ولا تظنن ان قلب الصديق كان اقسى من قلوب الاجلاف من العرب
وانه كان اخلى عن حب الله منهم ولكن التكرار عليه اقتضى المرور عليه وقلة التاثر به اذ محال في العادة
ان يسمع السامع آية لم يسمعها قبل فيبكي ثم يدوم بكاؤه عليها عشرين سنة يرددها ويبكي ولا يفارق
الاول الآخر الا في كونه غريبا جديدا ولكل جديد لذة ولكل طار صدمة ومع كل مالوف انس ينافي
الصدمة ولهذا هم عمر رضي الله عنه ان يمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت ان يتهاون الناس
بهذا البيت اى يانس ومن قدم حاجا فرأى بيت الله اولا بكى وزعق وربما غشي عليه اذا وقع عليه
بصره وقد يقيم بمكة شهرا ولا يحس من ذلك في نفسه باثر فاذن المغني يقدر على الابيات الغريبة ولا يقدر
في كل وقت على آية غريبة الوجه الثالث ان لوزن الكلام بذوق الشعر تاثيرا في النفس وليس الصوت
الموزون كالصوت الطيب الذي ليس بموزون وانما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات ولو
زحف المغني البيت الذي يغنيه او لحن فيه او مال عن سنن تلك الطريقة في اللحن اضطرب
قلب المستمع وتشوش فالوزن اذن موثر فلذلك طاب الشعر الوجه الرابع ان الشعر الموزون يختلف

تاثيره في النفس بالالحان التي يسمى الطرق والدستانات وانما اختلاف تلك عند المقصور وقصر
الممدود والوقف في اثناء الكلمات والقطع والوصل في بعضها وهذا التصرف جايز في الشعر
ولا يجوز في القرآن التلاوة الا كما انزل فقصره ومده والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف
ما يقتضيه التلاوة حرام ومكروه واذا رتل القرآن كما انزل سقط عنه الاثر الذي سببه وزن
الالحان وهو سبب مستقل بالتاثير وان لم يكن مفهوما كما في الاوتار والشاهين وساير الاصوات
التي لا يفهم الوجه الخامس ان الالحان الموزونة تعضد وتوكد بايقاعات واصوات موزونة خارج
الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره لان الوجد الضعيف لا يستثار الا بسبب قوي وانما
يقوى بمجموع هذه الاسباب ولكل واحد حظ في التاثير وواجب ان يصان القرآن عن مثل
هذه القراين لان صورتها عند عامة الخلق صورة اللهو والقرآن جد كله عند كافة الخلق فلا يمزج
بالحق المحض ما هو لهو عند العامة وصورته صورة اللهو عند الخاصة وان كانوا لا ينظرون اليها
من حيث انها لهو بل ينبغي ان يوقر القرآن فلا يقرا على شوارع الطرق بل في مجلس ساكن
ولا في الجنابة ولا على غير الطهارة ولا يقدر على الوفاء بحرمة القرآن في كل حال فيعدل الى
الغناء الذي لا يستحق هذه المراقبة والمراعاة ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع القرآن
ليلة العرس وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب الدف في العرس وقال اظهروا النكاح
ولو بضرب الغربال او بلفظ هذا معناه ويجوز ذلك مع الشعر دون القرآن ولذلك لما دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جارية تغنى فلما رات النبي صلى الله عليه وسلم
قالت وفينا نبي يعلم ما في غد في معرض الغناء فقال صلى الله عليه وسلم دعي هذا وقولي
ما كنت تقولينه وهذه شهادة بالنبوة ثم زجرها عنها وردها الى الغناء الذي هو لهو لان
هذا جد محض فلا تعدل بصورة اللهو فاذن يتعذر بسببه تقوية الاسباب التي بها يصير
السماع محركا للقلب فواجب في الاحترام العدول الى الغناء عن القرآن كما وجب على تلك الجارية
العدول عن شهادة النبوة الى الغناء الوجه السادس ان المغني قد يغني ببيت لا يوافق حال
المستمع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعي غيره فليس كل كلام موافقا لكل حال فلو اجتمعوا في
الدعوات على القاري فربما يقرا آية لا يوافق حالهم اذ القرآن شفاء للناس كلهم على اختلاف
الاحوال فآيات الرحمة شفاء الخايف وآية العذاب شفاء المغرور الآمن وتفصيل ذلك مما يطول
فلا يؤمن ان لا يوافق المعنى والحال فيكرهه النفس فيتعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى

من حيث لا يجد سبيلا الى دفعه والاحتراز من خطر ذلك جزم وحتم واجب ولا يجد الخلاص منه الابتزاله
على وفق حاله ولا يجوز تنزيل كلام الله الاعلى ما اراده الله وقول الشاعر يجوز تنزيله على غير مراده ففيه
خطر الكراهة وخطر التاويل الخطاء لموافقه الحال فيجب توقير كلامه وصيانته عن ذلك هذا ما
نقدح لي في علل انصراف الشيوخ الى سماع الغناء من القرآن ووجه سابع في الاعتذار ذكر ابو نصر
السراج الطوسي وهو ان القرآن كلام الله وصفته وهو حق لا تطيقه البشرية لانه غير مخلوق فلا
تطيقه الصفات المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته لتصدعت ودهشت وتحيرت
والالحان الطيبة مناسبه للطباع ونسبتها نسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق والشعر نسبته
نسبة الحظوظ فاذا علقت الالحان والاصوات بما في الابيات من اللطايف والاشارات شاكل
بعضها بعضا فكانت اقرب الى الحظوظ واخف على القلوب لمشاكلة المخلوق المخلوق فما دامت
البشرية قايمة ونحن بصفاتنا وحظوظنا نتنعم بالنغمات السحنة والاصوات الطيبة فانبساطها
لمشاهدة تفاهد الحظوظ الى القصايد اولى من انبساطها الى كلام الله الذي هو صفته وكلامه
منه بدا واليه يعود هذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره وقد حكي عن ابي الحسن الدراج انه
قال قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد للزيارة والسلام فلما دخلت الري فكنت اسال
عنه فكل خلق سالته عنه قال ايش تعمل بذلك الزنديق فضيقوا صدري حتى عزمت على الانصراف
ثم قلت في نفسي قد جئت هذا الطريق كله فلا اقل من ان اراه فلم ازل اسال عنه حتى دللت
عليه في مجلس وهو جالس في المحراب وبين يديه رجل بيده مصحف وهو يقرا واذا هو شيخ بهي
حسن الوجه واللحية فسلمت فاقبل علي وقال من اين فقلت من بغداد فقال وما الذي
اتى بك فقلت قصدتك للسلام فقال لو ان رجلا في بعض هذه البلاد قال لك تقيم عندنا
حتى نشتري لك دارا وجارية كان يقعدك عن المجي فقلت ما امتحنني الله بشي من ذلك ولو
امتحنني ما كنت ادري كيف اكون ثم قال لي ابا الحسن ان تقول شيا فقلت نعم فقال هات
فابتدات اقول رايتك تبني دايبا في قطيعتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني كاني بكم والليت
افضل لكم الا ليتنا كنا اذا الليت لا يغني قال فاطبق المصحف ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيته وثوبه
حتى رحمته من كثرة بكايه ثم قال يا بني تلوم اهل الري تقول يوسف زنديق هذا انا من صلوة
الغداة اقرا في المصحف لم تقطر من عيني قطرة وقد قامت علي القيمة بهذين البيتين فاذن
القلوب وان كانت محترقة في حب الله يهيج منها البيت الغريب ما لا يهيج تلاوة القرآن وذلك

لوزن الشعر ومشاكلته للطباع ولكونه مشاكلا للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر واما القرآن
فنظمه خارج عن اساليب الكلام ومناهجه ولذلك هو معجز لعدم مشاكلته لطباعهم روي ان
اسرافيل استاذ ذي النون المصري دخل عليه رجل فرآه وهو ينكت الارض باصبعه ويترنم ببيت
فقال هل تحسن ان تترنم بشي فقال لا فقال وانت بلا قلب اشار الى ان من له قلب وعرف طباعه
علم انه تحركه الابيات والنغمات تحريكا لا يصادف في غيره فيتكلف طريق التحريك اما بصوت نفسه
او بغيره وقد ذكرنا حكم المقام الاول في فهم المسموع وتنزيله وحكم المقام الثاني في الوجد الذي
يصادف في القلب فلنذكر اثر الوجد الذي يترشح منه الى الظاهر من صعقة وبكاء وحركة وتمزيق
ثوب وغيره المقام الثالث من السماع نذكر فيه آداب السماع ظاهرا وباطنا
وما يحمد من آثار الوجد وما يذم اما الآداب فهي خمس جمل الاول مراعاة الزمان
والمكان والاخوان قال الجنيد السماع يحتاج الى ثلثة اشياء والا فلا يسمع الزمان والمكان والاخوان
ومعناه ان الاشتغال به في وقت حضور طعام او خصام او صارف من الصوارف مع اضطراب
القلب لا فايدة فيه فهذا معنى مراعاة الزمان فيراعي حالة فراغ القلب واما المكان فقد لا يكون
شارعا مطروقا او موضعا كريه الصورة او سبب يشغل القلب فيجتنب واما الاخوان فسببه
اذا حضر غير الجنس من منكري السماع متزهد بالظاهر مفلس عن لطايف القلوب كان مستثقلا
في المجلس واشتغل القلب به وكذا اذا حضر متكبر من اهل الدنيا يحتاج الى مراعاته او متقشف
او متكلف متواجد من اهل التصوف يرائي بالوجد والرقص وتمزيق الثياب وكل ذلك مشوشات
فترك السماع عند فقد هذه الشروط اولى ففي هذه الشروط نظر للمستمع الثاني وهو نظر الحاضرين
ان الشيخ اذا كان حوله مريدون يضرهم السماع فلا ينبغي ان يسمع في حضورهم فان سمع فليشغلهم
بشغل فالمريد الذي يستضر بالسماع ثلثة اقلهم درجة هو الذي لم يدرك من الطريق الا
الاعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لا يعنيه فانه ليس من
اهل اللهو ليلهو ولا من اهل الذوق ليتنعم بذوق السماع فليشتغل بذكر او خدمة والا
فهو تضييع لزمانه الثاني وهو الذي له ذوق السماع ولم ينكسر بعد انكسارا يومن غوايله فربما
يهيج السماع منه داعية الشهوة وتنقطع عليه طريقه ويصده عن الاستكمال الثالث ان
يكون قد انكسرت شهوته وامنت غايلته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى
ولكنه لم يحكم ظاهر العلم ولم يعرف اسماء الله وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل فاذا فتح له باب

السماع نزل المسموع في حق الله تعالى علي ما لا يجوز وما يجوز فيكون ضرره من تلك الخواطر التي هي كفر اعظم
من نفع السماع قال سهل كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل فلا يصلح السماع لمثل
هذا ولا لمن قلبه بعد ملوث بحب الدنيا وشهوة المحمدة والثناء ولا لمن استمع لاجل التلذذ والاستطابة
بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عبادته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه فالسماع
مزلة قدم يجب حفظ الضعفاء عنه قال الجنيد رايت ابليس في المنام فقلت هل تظفر من اصحابنا
بشي قال نعم في وقتين وقت السماع ووقت النظر فاني ادخل عليهم منه فقال بعض الشيوخ
لو رايته انا لقلت له ما احمقك من سمع منه اذا استمع ونظر اليه اذا نظر كيف تظفر به فقال الجنيد
صدقت الادب الثالث ان يكون مصغيا الي ما يقوله القايل قليل الالتفات الي الجوانب
محترزا من النظر الي وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من احوال الوجد مشتغلا بنفسه ومراعاة
قلبه ومراقبة ما يفتح الله له من رحمته في سره متحفظا من حركة تشوش علي اصحابه قلوبهم بان
يكون ساكن الظاهر هادي الاطراف محترزا عن التنحنح والتثاوب يجلس مطرقا راسه
كجلوسه في فكر مستغرق لقلبه متماسكا عن التصفيق والرقص وساير الحركات علي وجه التصنع
والتكلف والمراياة ساكتا عن النطق في اثناء القول بكل ما عنه بد فان غلبه الوجد وحركه بغير
اختيار فهو فيه معذور غير ملوم ومهما رجع اليه الاختيار فليعد الى هدوه وسكونه ولا ينبغي
ان يستديمه حياء من ان يقال انقطع علي القرب وجده ولا ان يتواجد خوفا من ان يقال
هو قاسي القلب عديم الصفاء والرقة حكي ان شابا كان يصحب الجنيد وكان اذا استمع شيا من الذكر
يزعق فقال له الجنيد يوما ان فعلت ذلك مرة اخرى لم تصحبني وكان بعد ذلك يضبط نفسه
حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ولا يزعق فحكي انه اختنق يوما لشدة ضبطه نفسه فشهق
شهقة فانشق قلبه وتلفت نفسه وروي ان موسي عليه السلم قص في بني اسرايل فمزق واحد
منهم ثوبه او قميصه فاوحي الله تعالي الي موسي عليه السلم قل له مزق قلبك ولا تمزق ثيابك
وقال ابو القسم النصرآبادي لابي عمرو بن عبد انا اقول اذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال يقول
خير من ان يغتابوا فقال ابو عمرو الريا في السماع وهو ان يري من نفسك حالا ليست فيك شر من
ان تغتاب ثلثين سنة او نحو ذلك فان قلت الافضل الذي لا يحركه السماع ولا يوثر فيه ظاهرا ام
اما الذي يظهر عليه قلنا اعلم ان عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد وهو نقصان
وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن لكمال القوة علي ضبط الجوارح وهو كمال وتارة

لكون حال الوحدة ملازما ومصاحبا في الاحوال كلها فلا يبين للسماع مزيد تاثير وهو غاية الكمال فان
صاحب الوجد في غالب الاحوال لا يدوم وجده فمن هو في وجد دايم فهو المرابط للحق والملازم
بعين الشهود فهذا لا يغيره طوارق الاحوال ولا يبعد ان يكون الاشارة بقول الصديق كما كنتم
ثم قست قلوبنا معناه قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الاحوال
فنحن في سماع معاني القرآن علي الدوام فلا يكون القراءة جديدة في حقنا طارية علينا نتاثر
بها فاذن قوة الوجد تحرك وقوة العقل والتماسك تضبط الظواهر وقد يغلب احدهما الآخر
اما لشدة قوته واما لضعف ما يقابله ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك فلا تظنن ان الذي
يضرب بنفسه علي الارض اتم وجدا من الساكن باضطرابه بل رب ساكن اتم وجدا من المضطرب
فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل له في ذلك فقال وترى الجبال
تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب اشارة الي ان القلب مضطرب جايل في الملكوت والجوارح
متادبة في الظاهر ساكنة وقال ابو الحسين محمد بن احمد صحبت سهل بن عبد الله ستين سنة
فما رايته تغير عند شيء كان يسمعه من القرآن والذكر فلما كان في آخر عمره قرا رجل بين يديه
فاليوم لا يؤخذ منكم فدية الآية فرايته قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد الي حاله سالته عن ذلك فقال
نعم يا حبيبي قد ضعفنا وكذلك سمع مرة قوله تعالي الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب فساله
ابن سالم وكان من اصحابه فقال له قد ضعفت فقيل له فان كان هذا من الضعف فما قوة
الحال فقال ان لا يرد عليه وارد الا وهو يبتلعه بقوته فلا تغيره الواردات وان كانت قوية
وسبب القوة علي ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الاحوال بملازمة الشهود كما حكي عن
سهل انه قال حالي قبل الصلوة وبعدها واحد لانه كان مراعيا للقلب حاضر الذكر مع الله تعالي
في كل حال فكذلك يكون قبل السماع وبعده اذ يكون وجده دايما وعطشه متصلا وشربه
مستمرا بحيث لا يؤثر السماع في زيادته كما روي ان ممشاد اشرف علي جماعة فيهم قوال فسكتوا
فقال ارجعوا الي ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهي الدنيا في اذني ما شغل همي ولا شفي بعض ما بي
وقال الجنيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم اتم من فضل الوجد فان قلت
فمثل هذا لم يحضر السماع فاعلم ان من هؤلاء من ترك السماع في كبره وكان لا يحضر الا نادرا مساعدة
لاخ من الاخوان وادخالا للسرور عليه وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون انه ليس من
الكمال الوجد الظاهر فيتعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف وان لم يقدروا علي الاقتداء به

في صيرورته طبعا لهم وان اتفق حضورهم مع غير ابناء جنسهم باسباب عارضة تقتضي الجلوس فيكونون
معهم بابدانهم بائنين عنهم بقلوبهم وبواطنهم كما يجلسون من غير سماع مع غير جنسهم وبعض من نقل
عنه ترك السماع ويظن انه كرهه كان سبب تركهم استغناؤهم عن السماع بما ذكرناه وبعضهم كان
من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني في السماع ولا كان هو من اهل اللهو فتركه لئلا يكون مشتغلا
بما لا يعنيه وبعضهم تركه لفقد الاخوان فقيل لبعضهم الا تسمع فقال ممن ومع من الادب الرابع
ان لا تقوم ولا ترفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن ان رقص او تباكى فهو مباح
اذا لم يقصد به المراياة لان التباكي استجلاب للحزن والرقص سبب في تحريك السرور وكل سرور
مباح ولو كان حراما لما نظرت عائشة الى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يرقصون
هذا لفظ عائشة رضي الله عنها في بعض الروايات وقد روي عن جماعة من الصحابة انهم حجلوا لما
اصابهم سرور وذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي ابن ابي طالب واخوه جعفر وزيد بن حارثة
وتشاحوا في تربيتها فقال صلى الله عليه وسلم لعلي انت مني وانا منك فحجل علي وقال لجعفر اشبهت
خلقي وخلقي فحجل وراء حجل علي وقال لزيد انت اخونا ومولانا فحجل وراء حجل جعفر ثم قال
صلى الله عليه وسلم هي لجعفر لان خالتها تحته والخالة والدة وفي بعض الروايات انه قال لعائشة
رضي الله عنها اتحبين ان تنظري الى زفن الحبشة والزفن والحجل هو الرقص وذلك يكون لفرح او
شوق فحكمه حكم مهيجه ان كان فرحه محمودا والرقص يزيده ويؤكده فهو محمود وان كان مباحا فهو مباح
وان كان مذموما فهو مذموم نعم لا يليق اعتياد ذلك بمناصب الاكابر واهل القدوة لانه في الاكثر
يكون عن لهو ولعب وماله صورة اللهو واللعب في اعين الناس ينبغي ان يجتنبه المقتدى
كيلا يصغر في اعين الخلق فيترك الاقتداء به واما تمزيق الثياب فلا رخصة فيه الا عند خروج الامر
عن الاختيار ولا يبعد ان يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد عليه لكن
يكون كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه ويكون صورته صورة المكره اذ يكون له في الحركة
والتمزيق متنفس فيضطر اليه اضطرار المريض الى الانين فلو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع انه
فعل اختياري فليس كل فعل حصوله بالارادة يقدر الانسان على تركه فالتنفس فعل يحصل
بالارادة يقدر الانسان على تركه فالتنفس فعل يحصل بالارادة ولو كلف الانسان ان يمسك
نفسه ساعة اضطر من باطنه الى ان يختار التنفس فكذلك الزعقة وتمزيق الثياب قد يكون
كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم وقد ذكر عند السري حديث الوجد الواجد الغالب فقال نعم يضرب

وجهه بالسيف فلا يدري فزجع فيه واستبعد ان ننتهي الي هذا الحد عاصر عليه اي قد ينتهي الي
هذا الحد فان قلت فما تقول في تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ
من السماع فانهم يمزقونها قطعا صغيرة ويفرقونها علي القوم ويسمونها الخرقة فاعلم ان ذلك
مباح اذا فرق قطعا مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات فان الكرباس يمزق حتي يخاط منه
القميص ولا يكون ذلك تضييعا لانه يمزق لغرض وكذلك بعض الثياب لا يمكن الا بالقطع قطعا
صغارا وتلك مقصود والتفرقة علي الجميع لتعم ذلك الخير مقصود وهو مباح ولكل مالك ان يقطع
كرباسه مايه قطعه ويسلمها الي مايه مسكين ولكن ينبغي ان يكون القطع بحيث يمكن ان ينتفع
بها في الرقاع وانما منعنا في السماع التمزيق المفسد للثوب الذي يهلك بعضه بحيث لا يبقي
منتفعا به فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار **الادب الخامس** موافقة القوم اذا قام واحد
منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف او قام باختيار من غير اظهار وجد وقامت له الجماعة
فلا بد من الموافقة فذلك من اداب الصحبة ولذلك ان جرت عادة طايفة بتنحية العمامة علي موافقة
صاحب الوجد اذا سقطت عمامته او خلع الثياب اذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق فالموافقة
في هذه الامور من حسن الصحبة والعشرة اذ المخالفة موحشة ولكل قوم رسم فلا بد من مخالقة الناس
باخلاقهم كما وردت في الخبر لا سيما اذا كانت اخلاقا فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب
القلب بالمساعدة وقول القايل ان ذلك بدعة لم يكن في الصحابة فليس كل ما يحكم باباحته
منقولا عن الصحابة وانما المحذور بدعة تزاحم سنة ماثورة ولم ينقل النهي عن شي من ذلك
والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب بل كان الصحابة لا يقومون لرسول الله صلعم
في بعض الاحوال كما رواه انس ولكن اذا لم يكن فيه نهي عام فلا نري فيه باسا في البلاد التي جرت
العادة باكرام الداخل بالقيام فيه فان القصد منه الاحترام والاكرام وتطييب القلب به فكذلك
ساير انواع المساعدة اذا قصد بها طيبة القلب واصطلح عليها جماعة فلا باس بمساعدتهم
عليها بل الاحسن المساعدة الا فيما ورد فيه نهي لا يقبل التاويل ومن الاداب ان لا يقوم للرقص
ان كان يستثقل رقصه ولا يشوش عليهم احوالهم اذ الرقص من غير اظهار التواجد مباح
والمتواجد هو الذي يلوح منه للجميع اثار التكلف ومن يقوم عن صدق لا تستثقله الطباع
فقلوب الحاضرين اذا كانوا ارباب القلوب محك الصدق والتكلف سيل بعضهم عن الوجد
الصحيح فقال صحته قبول قلوب الحاضرين اذا كانوا اشكالا لا غير اضداد فان قلت فما بال الطباع

تنزه عن الرقص ويسبق الي الاوهام انه باطل ولهو ومخالف للدين فلا يراه ذو جد في الدنيا لا
ينكره فاعلم ان الجد لا يزيد على جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد راي الحبشه يزفنون في
المسجد وما انكره لما ان كان في وقت لايق به وهو العيد ومن شخص لايق به وهم الحبشه نعم
نفرة الطباع عنه لانه راى غالبا مقرونا باللهو واللعب واللهو واللعب مباح ولكن للعوام من
الزنوج والحبشه ولكنه مكروه لذوي المناصب لانه لا يليق بهم وما كره لكونه غير لايق بمنصب ذي
المنصب فلا يجوز ان يوصف بالتحريم فمن سال فقيرا شيا فاعطاه رغيفا كان طاعة مستحسنة
ولو سال ملكا فاعطاه رغيفا او رطلا من الخبز كان ذلك منكرا عند الناس كافة ومكتوبا في
تواريخ الاجناد في جملة مساويه يعير به اعقابه واشياعه ومع هذا فلا يجوز ان يقال ما فعله حرام
لانه من حيث انه اعطاء خير لفقير حسن ومن حيث انه بالاضافه الي منصبه كالمنع بالاضافة
الي الفقير مستقبح فكذلك الرقص وما يجرى مجراه من المباحات وسباحات العوام سيات الابرار
وحسنات الابرار سيات المقربين ولكن من حيث الالتفات
الي المناصب فاما اذا نظر اليه في نفسه وجب الحكم بانه في نفسه
لا تحريم فيه والله اعلم تم كتاب السماع والوجد
بحمد الله ومنه وصلواته علي سيدنا محمد خير خلقه وعلى آله وصحبه
وساير الانبياء والمرسلين

٢

كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهو الكتاب التاسع من ربع العادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي لا تستفتح الكتب الا بحمده ولا تستمنح النعم الا بواسطة كرمه ومجده والصلوة على سيد
الانبياء محمد رسوله وعبده وعلى آله الطيبين واصحابه الطاهرين من بعده **اما بعد**
فان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الاعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له
النبيين اجمعين ولو طوي بساطه واهمل عمله وعلمه لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت
الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد
وهلك العباد وان لم يشعروا بالهلاك الى يوم التناد وقد كان الذي خفنا ان يكون انا لله وانا اليه
راجعون اذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحى بالكلية حقيقته ورسمه واستولت على
القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى
والشهوات استرسال البهائم وعز على بسيط الارض مومن صادق لا تاخذه في الله لومة لائم
فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة اما متكفلا بعملها او متقلدا لتنفيذها مجددا
لهذه السنة ناهضا باعبائها ومتشمرا في احيائها كان مستاثرا من بين الخلق باحياء سنة افضى الزمان
الى اماتتها ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها وها نحن نشرح علمه في ثلثة
ابواب **الباب الاول** في وجوب الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وفضيلته **الباب الثاني** في اركانه وشروطه
الباب الثالث في مجاريه وبيان المنكرات المالوفة في
العادات **الباب الاول** في وجوب الامر بالمعروف
وفضيلته والمذمة في اهماله ويدل على ذلك بعد اجماع الامة عليه واشارات العقول السليمة
الآيات والاخبار والآثار **اما الآيات** فقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون
الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ففي الآية بيان ان الفلاح
منوط به اذ حصر وقال واولئك هم المفلحون وفيها بيان انه فرض كفاية لا فرض عين وانه اذا قام
به امة سقط الفرض عن الآخرين اذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال ولتكن منكم امة فاذن
مهما قام به واحد او جماعة سقط الحرج عن الآخرين واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين وان

تقاعد الخلق عنه اجمعين عم الحرج كافة القادرين عليه لامحالة وقال تعالى من اهل الكتاب امة قائمة
يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الايمان
بالله واليوم الآخر حتى اضاف اليه الامر بالمعروف وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء
بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة فقد نعت المؤمنين بانهم يأمرون
بالمعروف فالذي هجر الامر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية وقال تعالى
لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وهذا غاية التشديد اذ علل استحقاقهم
للعنة تركهم النهي عن المنكر وقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر وهذا يدل على فضيلة الامر بالمعروف اذ بين انهم كانوا به خير امة وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به
انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فبين انهم
استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدل ذلك على الوجوب ايضا وقال تعالى الذين ان مكناهم
في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقرن ذلك بالصلوة
والزكوة في نعت الصالحين والمؤمنين وقال وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على
الاثم والعدوان وهذا امر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طريق الخير وسد سبل
الشر والعدوان بحسب الامكان وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم
واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون فبين انهم اثموا بترك النهي وقال تعالى فلولا كان من
القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد الآية فبين انه اهلك جميعهم الا قليلا منهم كانوا
ينهون عن الفساد وقال تعالى ايضا يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على
انفسكم او الوالدين والاقربين وذلك هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر للوالدين والاقربين
وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل
ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقال الله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
فاصلحوا بينهما والاصلاح نهي عن البغي واعادة الى الطاعة فان لم يفعل فقد امر الله تعالى
وقال فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله وذلك هو النهي عن المنكر واما الاخبار
فهو ما روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال في خطبة ايها الناس انكم تقرؤن هذه الآية

وتاولونها على خلاف تاويلها يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم واني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر على ان ينكر عليهم
فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده وروى عن ابي ثعلبة الخشني انه سال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تع لايضركم من ضل اذا اهتديتم فقال يا ابا ثعلبة مر بالمعروف
وانه عن المنكر فاذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذي راي برايه
فعليك بنفسك ودع امر العوام ان من وراءكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيه بمثل ما
انتم عليه اجر خمسين منكم فقيل بل منهم يا رسول الله قال لا بل منكم لانكم تجدون على الخير اعوانا
ولا يجدون عليه اعوانا وسئل ابن مسعود عن تفسير هذه الآية فقال ان هذا ليس زمانها
انها اليوم مقبولة ولكن قد اوشك ان ياتي زمانها يامرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا او
قال فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم وقال رسول الله صلعم
لتامرن بالمعروف وتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب
لدعائهم يسقط مهابتهم من اعين الشرار فلا يخافونهم وقال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس
ان الله يقول لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل ان تدعوا فلا يستجاب لكم وقال صلعم
ما اعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجي وما جميع اعمال البر والجهاد في سبيل
عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة في بحر لجي وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليسال
العبد ما منعك اذ رايت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله العبد حجته قال رب وثقت بك وفرقت
من الناس وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والجلوس على الطرقات قالوا ما لنا بد انما هي مجالسنا
نتحدث فيها قال فاذا ابيتم الا ذلك فاعطوا الطريق حقها قالوا وما حق الطريق قال غض
البصر وكف الاذى ورد السلام وامر بالمعروف ونهي عن المنكر وقال صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم
كله عليه لا له الا امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ان
الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين اظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا
ينكروه وروى ابو امامة الباهلي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف انتم اذا طغى نساؤكم وفسق
شبانكم وتركتم جهادكم قالوا وان ذلك لكائن يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه
سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف انتم اذا لم تامروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا
وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال

كيف انتم اذا رايتم المعروف منكرا ورايتم المنكر معروفا قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي
نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف
بكم اذا امرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده
واشد منه سيكون يقول الله تعالى بي حلفت لاتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران وعن عكرمة
عن ابن عباس قال قال صلى الله عليه وسلم لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فان اللعنة تنزل على
من حضره قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لامرئ شهد مقاما فيه حق الا تكلم به فانه
لن يقدم اجله ولن يحرمه رزقا هو له وهذا الحديث يدل على انه لا يجوز دخول دار الظلمة والفسقة
وحيث تشاهد المنكر ولا يقدر على تغييره فانه قال اللعنة تنزل على من حضره ولا يجوز له مشاهدة
المنكر من غير حاجة اعتذارا بانه عاجز ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات
في الاسواق والاعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضي لزوم الهجرة ولهذا قال عمر بن عبد
العزيز ما ساح السواح وخلوا دورهم واولادهم الا بمثل ما نزل بنا حين راوا الشر قد ظهر والخير
قد اندرس وراوا انه لا يقبل ممن تكلم وراوا الفتن لم يامنوا ان تعتريهم وان ينزل العذاب باولئك
القوم فلا يسلمون منه فراوا ان مجاورة السباع واكل البقول اولى وخير من مجاورة هؤلاء في نعيمهم
وقرا ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين قال ففر قوم فلولا ما جعل الله جل ثناؤه في النبوة لقلنا ما هم
بافضل من هؤلاء فيما بلغنا ان الملائكة لتلقاهم وتصافحهم والسحاب والسباع يمر احدهم فيناديها
فتجيبه ويسالها اين امرت فتخبره وليس بنبي وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
حضر معصية فكرهها فكانه غاب عنها ومن غاب عنها فاحبها فكانه حضرها ومعنى الحديث ان
يحضر لحاجة او يتفق جريانه بين يديه فاما الحضور قصدا فممنوع بدليل الحديث الاول وقال ابن مسعود
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله عز وجل نبيا الا وله حواري فيمكث النبي بين اظهرهم ما
شاء الله يعمل فيهم بكتاب الله وبامره حتى اذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبامره
وسنة نبيهم فاذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤوس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما
ينكرون فاذا رايتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع
بلسانه فبقلبه ليس وراء ذلك اسلام وقال ابن مسعود كان اهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم
اربعة نفر ينكرون ما يعملون فقام احدهم فقال انكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبح
ما يصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يرجعون عن اعمالهم فسبهم فسبوا وقاتلهم فغلبوه فاعتزل

ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببهم فسبوني وقاتلتهم فغلبوني ثم ذهب ثم قام الاخر
منها فلم يطيعوني فسببتهم فسبوني فاعتزل ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو سببتهم لسبوني
ولو قاتلتهم غلبوني ثم قام الرابع فقال اللهم اني لو نهيتهم لعصوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم
غلبوني ثم ذهب قال ابن مسعود كان الرابع ادناهم منزلة وقليل فيكم مثله وقال ابن عباس قيل
يا رسول الله ايهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل ثم يا رسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم
عن معاصي الله تعالي وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اوحي الله تبارك وتعالي
الي ملك ان اقلب مدينة كذا وكذا علي اهلها قال فقال يارب ان فيهم عبدك فلان لم يعصك طرفة
عين فقال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتمعر في ساعة قط وقالت عايشة قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الفا عملهم عمل الانبيا قالوا كيف يا رسول الله
قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وعن عروة عن ابيه قال قال موسي
عليه السلم اي عبادك احب اليك قال الذي يتسرع الي هواي كما يتسرع النسر الي هواه والذي يكلف
بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي بالناس والذي يغضب اذا انتهكت محارمي كما يغضب النمر لنفسه
فان النمر اذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس ام كثر وهذا يدل علي فضيلة الحسبة مع شدة الخوف
وقال ابو ذر الغفاري قال ابو بكر الصديق رضي الله عنهما يا رسول الله هل من جهاد غير قتال
المشركين فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم نعم يا ابا بكر ان لله تعالي مجاهدين في الارض افضل
من الشهدا احيا مرزوقون يمشون علي الارض يباهي الله بهم ملايكة السما وتزين لهم الجنة
كما تزينت ام سلمة لرسول الله صلي الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله ومن هم قال هم الامرون
بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله قال والذي نفسي بيده ان العبد
منهم ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهدا للغرفة ثلثماية الف حورا قاصرات الطرف
عين كلما التفت الي واحدة منهن فنظر اليها تقول اتذكر يوم كذا وكذا امرت بالمعروف ونهيت عن
المنكر كلما التفت الي واحدة منهن ذكرت له كل مقام امر فيه بمعروف ونهي فيه عن منكر وقال
ابو عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الشهدا اكرم علي الله تع قال رجل قام الي وال جاير فامره
بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان القلم لا يجري عليه بعد ذلك وان عاش ما عاش
وقال الحسن البصري قال رسول الله صلي الله عليه وسلم افضل شهدا امتي رجل قام الي امام جاير
فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله علي ذلك فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر وقال

عمر بن الخطاب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس القوم قوم لا يأمرون الناس بالقسط وبئس القوم
قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ولما الآيمان فقد قال ابو الدرداء لتأمرن
بالمعروف ولتنهن عن المنكر او ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم
ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتنتصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم وسئل
حذيفة عن ميت الاحياء فقال الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه وقال مالك بن دينار
كان حبر من احبار بني اسرائيل يغشى الرجال والنساء منزله يعظهم ويذكرهم بايام الله فرأى بعض
بنيه يوما غمز النساء فقال مهلا يا بني مهلا قال وسقط من سريره فانقطع نخاعه واسقطت امرأته
وقتل بنوه في الجيش فاوحى الله الى نبي زمانه ان اخبر فلانا الحبر اني لا اخرج من صلبك صديقا
ابدا ما كان من غضبك لي الا ان قلت مهلا يا بني مهلا وقال حذيفة يأتي على الناس زمان لان يكون
فيهم جيفة حمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم واوحى الله تع الى يوشع بن نون اني مهلك
من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم قال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار
قال انهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم وقال بلال بن سعد ان المعصية اذا اخفيت لم تضر
الا صاحبها فاذا اعلنت فلم تغير اضرت بالعامة وقال كعب الاحبار لابي مسلم الخولاني كيف
منزلتك من قومك قال حسنة قال كعب ان التورية لتقول غير ذلك قال وتقول ان الرجل اذا امر بالمعروف
ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال صدقت التورية وكذب ابو مسلم وكان عبد الله بن
عمر يأتي العمال ثم تقعد عنهم فقيل له لو اتيتهم فلعلهم يجدون في انفسهم قال ارهب ان تكلمت ان يروا
ان الذي لي غير الذي بي وان سكت رهبت ان اثم وهذا يدل على ان من عجز عن الامر بالمعروف فعليه ان
يبعد عن ذلك الموضع ويستتر عنه حتى لا يجري بمشهد منه وقال علي ابن ابي طالب اول ما تغلبون
عليه من الجهاد الجهاد بايديكم ثم الجهاد بالسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فاذا لم يعرف القلب المعروف
وينكر المنكر نكس فجعل اعلاه اسفله وقال سهل بن عبد الله ايما احد عمل في شيء من دينه بما امر به
او نهي عنه وتعلق به عند فساد الامور وتنكرها عند تشويش الزمان فهو ممن قام لله في زمانه
بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر معناه انه اذا لم يقدر الا على نفسه فقام به وانكر احوال الغير بقلبه
فقد جاء بما هو الغاية في حقه وقيل للفضيل الا تنهى وتأمر فقال ان قوما امروا ونهوا فكفروا
وذلك انهم لم يصبروا على ما اصيبوا وقيل للثوري الا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال اذا انشق
البحر فمن يقدر ان يسكره فقد ظهر بهذه الادلة ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وان

فرضه مع القدرة لا يسقط الا بقيام واحد به فلنذكر الآن شروطه وشروط وجوبه

في اركان الامر بالمعروف وشروطه

اعلم ان الركن في الحسبة التي هي عبارة شاملة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر اربعة المحتسب والمحتسب فيه والمحتسب عليه ونفس الاحتساب فهذه اربعة اركان الركن الاول المحتسب وله شروط وهو ان يكون مكلفا مسلما قادرا فيخرج منه المجنون والصبي والكافر ويدخل فيه آحاد الرعايا وان لم يكونوا ماذونين ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمراة فلنذكر وجه اشتراط ما اشترطنا ووجه اطراح ما اطرحناه اما الشرط الاول وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فان غير المكلف لا يلزمه امر وما ذكرناه اردنا به انه شرط الوجوب فاما امكان الفعل وجوازه فلا يستدعي الا العقل حتى ان الصبي المراهق للبلوغ المميز وان لم يكن مكلفا فله انكار المنكر وله ان يريق الخمر ويكسر الملاهي واذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن لاحد منعه من حيث انه ليس بمكلف فان هذه قربة وهو من اهلها كالصلوة والامامة فيها وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك اثبتناه للعبد وآحاد الرعية نعم في المنع بالفعل وابطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الايمان كقتل المشرك وابطال اسبابه وسلب اسلحته فان للصبي ان يفعل ذلك حيث لا يستضر به فالمنع عن الفسق كالمنع عن الكفر واما الشرط الثاني وهو الايمان فلا يخفى وجه اشتراطه لان هذا نصرة للدين فكيف يكون من اهله من هو جاحد لاصل الدين وعدو له واما الشرط الثالث وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق ان يحتسب وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يامر بما لا يفعله مثل قوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقوله تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وبما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مررت ليلة اسري بي بقوم كانت تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا كنا نامر بالخير ولا ناتيه وننهى عن المنكر وناتيه وبما روي ان الله تعالى اوحى الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وربما استدلوا من طريق القياس بان هداية الغير فرع الاهتداء فكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة والاصلاح زكوة عن نصاب الصلاح فمن ليس بصالح في نفسه كيف يصلح غيره فمتى يستقيم الظل والعود اعوج وكل ما ذكروه خيالات وانما الحق ان للفاسق ان يحتسب وبرهانه هو ان نقول هل يشترط في الاحتساب ان يكون متعاطيه معصوما عن المعاصي كلها فان شرط ذلك فهو خرق للاجماع ثم حسم لباب الاحتساب

اذ لا عصمة للصحابة فضلا عمن دونهم والانبياء قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقران دال
علي نسبة آدم الي المعصية وكذا جماعة من الانبياء ولذلك قال سعيد بن جبير ان لم يامر بالمعروف
ولم ينه عن المنكر الا من لا يكون فيه شي لم يامر احد بشي فاعجب مالكا ذلك من سعيد بن جبير
وان زعموا ان ذلك لا يشترط عن الصغاير حتى يجوز للابس الحرير ان يمنع من الزنا وشرب الخمر
فنقول وهل لشارب الخمر ان يغزو الكفار ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر فان قالوا لا خرقوا
الاجماع اذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة علي البر والفاجر وشارب الخمر وظالمي الايتام ولم يمنعوا من
الغزو لا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده فان قالوا نعم فنقول شارب الخمر هل له المنع من
القتل ام لا فان قالوا لا قلنا فما الفرق بينه وبين لابس الحرير اذ جاز له المنع من الخمر والقتل كبيرة
بالنسبة الي لبس الحرير فلا فرق وان قالوا نعم وفصلوا الامر فيه بان كل مقدم على شي لا يمنع عن
مثله ولا عما هو دونه وانما يمنع عما فوقه فهذا تحكم فانه كما لا يبعد ان يمنع الشارب من الزنا والقتل
فمن اين يبعد ان يمنع الزاني من الشرب بل من اين يبعد ان يشرب ويمنع غلمانه وخدمه من الشرب
ويقول يجب على الانتهاء والنهي فمن اين يلزمني من العصيان باحدهما ان اعصي الله بالثاني اذ كان
النهي واجبا علي فمن اين سقط وجوبه باقدامي اذ يستحيل ان يقال يجب النهي عن شرب الخمر عليه
ما لم يشرب فاذا شرب سقط عنه النهي فان قيل فيلزم على هذا ان يقول القايل الواجب
على الوضوء والصلوة فانا اتوضا ان لم اصل واتسحر وان لم اصم لان المستحب السحور والصوم جميعا
ولكن يقال احدهما مرتب على الآخر فكذلك تقويم الغير مرتب على تقويم نفسه فليبدا بنفسه ثم من
يعول الجواب ان السحور يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر محبوبا وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك
الغير واصلاح الغير لا يراد لاصلاح النفس ولا اصلاح النفس لاصلاح الغير فالقول بترتب احدهما
على الآخر تحكم واما الوضوء والصلوة فهو لازم فلا جرم من توضا ولم يصل كان مؤديا امر الوضوء
وكان عقابه اقل ممن ترك الوضوء والصلوة جميعا فليكن من ترك النهي والانتهاء اكثر عقابا ممن
نهي ولم ينته كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلوة فلا حكم لها دون الصلوة فاما الحسبة
فليس شرطا في الانتهاء والايتمار فلا مشابهة بينهما فان قيل فيلزم على هذا ان يقال اذا زنى
الرجل بامراة وهي مكرهة مستورة الوجه فكشف باختيارها فاخذ الرجل يحتسب في اثناء
الزنا ويقول انت مختارة في كشف الوجه لغير محرم وما انا محرم لك فاستري وجهك عني فهذا احتساب شنيع
يستكرهه قلب كل عاقل ويستبشعه كل طبع سليم والجواب ان الحق قد يكون شنيعا وان

الباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والمتبع الدليل دون نفرة الاوهام والخيالات فانا نقول
قوله لها في تلك الحالة لا تكشفي وجهك واجب او مباح او حرام فان قلتم انه واجب فهو الغرض
لان الكشف معصية والنهي عن المعصية حق وان قلتم مباح فاذن له ان يقول ما هو مباح فما
معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة وان قلتم انه حرام فيقول كان هذا واجبا فمن اين حرم باقدامه
على الزنا ومن الغرايب ان يصير الواجب حراما بسبب الحرام واما نفرة الطباع عنه واستنكارها
له فهو لسببين احدهما انه ترك الاهم واشتغل بما هو مهم وكما ان الطباع ينفر عن ترك المهم
لما لا يعني فتنفر عن ترك الاهم والاشتغال بالمهم كما ينفر عمن يتحرج عن تناول طعام مغصوب وهو
مواظب على الزنا وكما ينفر عمن يتصاون عن الغيبة ويشهد بالزور لان الشهادة بالزور افحش
واشد من الغيبة التي هي اخبار عن كاين يصدق فيه المخبر وهذا الاستبعاد لا يدل على ان ترك
الغيبة ليس بواجب وانه لو اغتاب او اكل لقمة من حرام لم يزد بذلك عقوبته فلذلك ضرره
في الآخرة من معصيته اكثر من ضرره من معصية غيره فاشتغاله بالاقل عن الاكثر مستنكر
في الطبع من حيث انه ترك الاكثر لا من حيث اتى بالاقل فمن غصب فرسه ولجامه فاشتغل
بطلب اللجام وترك الفرس نفرت منه الطباع ويرى مسيئا وقد صدر منه طلب اللجام وهو غير
منكر وترك طلب الفرس وهو منكر وانصرافه عن الفرس الى اللجام وهو منكر وسبب الانكار في هذا
الثالث فكذلك حسبة الفاسق يستبعد من هذا الوجه وهذا لا يدل على ان حسبته من
حيث انه حسبة مستنكرا الثاني ان الحسبة تارة بان يكون بالنهي بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينجع
وعظ من لا يتعظ اولا ونحن نقول من علم ان قوله لا يقبل في الحسبة لعلم الناس بفسقه فليس
عليه الحسبة بالوعظ اذ لا فايدة في وعظه فالفسق يؤثر في اسقاط فايدة كلامه ثم اذا سقط
فايدة كلامه سقط وجوب الكلام فاما اذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر وتمام القهر ان
يكون بالحجة والفعل جميعا واذا كان فاسقا فان قهر بالفعل فقد قهر بالحجة اذ يتوجه عليه
ان يقال فانت لم تقدم عليه فينفر الطباع عن قهره بالفعل مع كونه مقهورا بالحجة وذلك لا يخرج
الفعل عن كونه حقا كما ان من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل اباه وهو مظلوم معه
ينفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا فخرج من هذا ان الفاسق ليس عليه
الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لانه لا يتعظ واذا لم يكن عليه ذلك وعلم انه يفضي الى تطويل
اللسان في عرضه بالانكار فنقول ليس له ذلك ايضا فرجع الكلام الى ان احد نوعي الاحتساب وهو

الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه واما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك
فلا حجر على الفاسق في اراقة الخمر وكسر الملاهي وغيرها اذا قدر عليه وهذا غاية الانصاف والكشف
في المسئلة واما الآيات التي استدلوا بها فهو انكار عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث امرهم
به ولكن امرهم دل على قوة علمهم وعقاب العالم اشد لانه لا عذر له مع قوة علمه وقوله لم تقولون ما لا تفعلون
المراد به الوعد الكاذب وقوله وتنسون انفسكم انكار من حيث انهم نسوا انفسهم لا من حيث انهم امروا
غيرهم ولكن ذكر امر الغير استدلالا به على علمهم وتاكيدا للحجة عليهم وقوله يا ابن مريم عظ نفسك الحديث
هو في الحسبة بالوعظ وقد سلمنا ان وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه ثم قوله فاستحي
مني لا يدل على تحريم وعظ الغير بل معناه استحي مني فلا تترك الاهم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ اباك
ثم جارك والا فاستحي فان قيل فلم للكافر الذمي ان يحتسب على المسلم اذا رآه يزني لان قوله لا تزن
حق في نفسه فمحال ان يكون حراما عليه بل ينبغي ان يكون مباحا او واجبا قلنا الكافر ان منع المسلم
بفعله فهو تسلط عليه فيمنع من حيث انه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا واما مجرد
قوله لا تزن فليس بمحرم عليه من حيث انه نهي عن الزنا ولكن من حيث انه دالة الاحتكام على المسلم وفيه
ادلال للمحتكم عليه والفاسق يستحق الادلال ولكن لا من الكافر الذي هو اولى بالذل منه فهذا وجه
منعنا اياه من الحسبة والا فلسنا نقول ان الكافر يعاقب بسبب قوله لا تزن من حيث انه نهي بل نقول
اذا لم نقل اذا زنى يعاقب عليه ان راينا خطاب الكافر بفروع الدين وفيه نظر استوفيناه في الفقهيات
وليس يليق بغرضنا الآن الشرط الرابع كونه ماذونا من جهة الامام والوالي فقد شرط قوم هذا الشرط
ولم يثبتوا للآحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان الآيات والاخبار التي رويناها
تدل على ان كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى اينما رآه وكيف ما رآه على العموم فالتخصيص بشرط
التفويض من الامام تحكم لا اصل له والعجب ان الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الامر بالمعروف
ما لم يخرج الامام الحق وهؤلاء اخس رتبة من ان يكلموا بل جوابهم ان يقال لهم اذا جاؤا الى القضاة
طالبين لحقوقهم في دمائهم واموالهم ان نصرتكم امر بالمعروف واستخراج حقوقكم من ايدي من
ظلمكم نهي عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهي عن الظلم وطلب
الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج فان قيل في الامر بالمعروف اثبات سلطنة وولاية واحتكام
على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغي ان لا يثبت لآحاد الرعية
الا بتفويض من الوالي وصاحب الامر فنقول اما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام والكافر

دليل لا يتحقق ان يزال عز التحكم علي المسلم واما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة
وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يحتاج الي تفويض كعز التعليم والتعريف اذ لا خلاف في ان
تعريف التحريم والايجاب لمن هو جاهل ومقدم علي المنكر لجهله لا يحتاج الي اذن الوالي وفيه
عز الارشاد وعلي المعرف ذل التجهيل وذلك يكفي فيه مجرد الدين فكذلك النهي وشرح القول في هذا
ان الحسبة لها خمس مراتب كما سياتي اولاها التعريف والثاني الوعظ بالكلام اللطيف والثالث
السب والتعنيف ولست اعني بالسب الفحش بل ان يقول يا جاهل يا احمق الا تخاف من الله تعالى
وما يجري هذا المجري الرابع المنع بالقهر بطريق المباشرة ككسر الملاهي واراقة الخمر واختطاف الثوب
الحرير من راسه واستلاب المنديل المغصوب منه ورده علي مالكه والخامس التخويف والتهديد
بالضرب او مباشرة الضرب حتى يمتنع عليه كالمواظب علي الغيبة والقذف فان سلب لسانه غير
ممكن ولكن يحمل علي اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يحوج الي استعانة وجمع اعوان من الجانبين
ويجر الي قتال وساير المراتب لا يخفى وجه استغنايها عن اذن الامام الا المرتبة الخامسة فان
فيها نظرا سياتي اما التعريف والوعظ فكيف يحتاج الي اذن الامام واما التجهيل والتحميق والنسبة
الي الفسق وقلة الخوف من الله تعالى وما يجري مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحق بل افضل
الدرجات كلمة حق عند امام جاير كما ورد في الحديث فاذا جاز الحكم علي الامام علي مراغمته
فكيف يحتاج الي اذنه ولذلك كسر الملاهي والنهي عن شرب الخمر ومعاطاة ما يعرف كونه
حقا من غير اجتهاد فلم يفتقر الي الامام فاما جمع الاعوان وشهر الاسلحة فذلك قد يجر الي
فتنة عامة ففيه نظر سياتي واستمرار عادات السلف علي الحسبة علي الولاة قاطع باجماعهم
علي الاستغناء عن التفويض بل كل من امر بمعروف فان كان الوالي راضيا فذاك وان كان
ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الي اذنه في الانكار عليه ويدل علي ذلك
عادة السلف في الانكار علي الايمة كما روي ان مروان بن الحكم خطب قبل الصلوة في العيد
فقال له رجل انما الخطبة بعد الصلوة فقال مروان ترك ذاك يا فلان فقال ابو سعيد اما هذا
فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من راي منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع
فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان فلقد كانوا فهموا من هذه العمومات
دخول السلاطين تحته فكيف يحتاج الي اذنهم وقد روي ان المهدي لما قدم مكة لبث ما شاء
الله فلما اخذ في الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مسروق فلببه بردائه

هنّم وقال انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت احق ممن ابا من البعد حتى اذا صار عند حلب
بينه وبينه من جعل لك هذا وكان يعرفه لانه من مواليهم فقال عبد الله بن سرهق قال نعم
فاخذ فجي به الي بغداد فكره ان يذابه عقوبة تسمع عليه في العامة فجعله في اصطبل الدواب
لسوس الدواب وضموا اليه فرسا عضوضا سيئ الخلق ليعقره الفرس فلين الله له الفرس ثم قال
مرّوه الي بيت واخذ المهدي المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث الي البستان ياكل البقل
فاذن به المهدي فقال من اخرجك فقال الذي حبسني قال فضج المهدي وصاح وقال ما اخلو نسا
ان اقتلك فرفع عبد الله راسه يضحك وهو يقول لو كنت تملك حيوة او موتا فما زال محبسا حتى
مات المهدي ثم خلوا عنه فرجع الي مكة قال وكان قد جعل علي نفسه نذرا ان خلصه الله من
ايديهم ان ينحر مايه بدنه فكان يعمل في ذلك حتى نحرها وروي عن حسان بن عبد الله قال نزل مروان
بالدوس ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمان بن جعفر فقال هرون قد كان لك جاريه تغني
فتحسن فجيئنا به قال فجاءت فغنت فلم تحمد غناها فقال ما شانك فقالت ليس هذا عودي
فقال للخادم جي بعودها فجا بالعود فوافق شيخا يلتقط النوى فقال الطريق يا شيخ فرفع
الشيخ راسه فراي العود فاخذه فضرب به الارض فاخذه الخادم وذهب به الي صاحب الربع
فقال احتفظ بهذا فانه طلبه امير المومنين فقال له صاحب الربع ليس ببغداد اعبد من هذا
فكيف يكون طلبه امير المومنين فقال له فدخل علي هرون فقال اني مررت علي شيخ يلتقط النوى ما اقول لك
فقلت الطريق فرفع راسه فراي العود فاخذه فضرب به الارض فاستشاط هرون وغضبا واحمرت
عيناه فقال له سليمان بن ابي جعفر ما هذا الغضب يا امير المومنين ابعث الي صاحب الربع يضرب
عنقه ويرمي به في الدجلة فقال لا ولكن يبعث اليه لينظر فجاء الرسول فقال اجب امير المومنين
قال نعم قال اركب قال لا فجاء يمشي حتى وقف علي باب القصر فقيل لهرون قد جاء الشيخ فقال
للندماء اي شي ترون نرفع ما قدامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ او نقوم الي مجلس ليس فيه
منكر اصلح فقاموا صغوا الي مجلس ليس فيه منكر ثم امر بالشيخ فادخل وفي كمه الكيس الذي فيه
النوي فقال له الخادم اخرج هذا وادخل علي امير المومنين فقال من هذا عشائي الليلة قال
نحن نعشيك قال لا حاجة لنا في عشائكم فقال له هرون اي شي يريد منه فقال في كمه نوى
فقلت له اطرح وادخل علي امير المومنين فقال دعه لا يطرحه فدخل فسلم وجلس فقال له هرون
يا شيخ ما حملك علي ما صنعت فقال واي شي صنعت وجعل يستحي ان يقول كسرت عودي فلما

اكثر عليه قال اني سمعت اباك واجدادك هرون هذه الاية على المنبر ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء
ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقد رايت منكرا فغيرته فقال فغير فوالله ما قال الا ذا فلما
خرج اعطى رجلا بدرة فقال اتبع الشيخ فان رايته يقول قلت لامير المومنين وقال لي فلا تعطه شيا
وان رايته لا تتكلم احدا فاعطه البدرة فلما خرج من القصر اذا هو بنواة في الارض قد غاص فجعل
يعالجها ولم يكلم احدا فقال له يقول لك امير المومنين خذ هذه البدرة قال قل لامير المومنين ردها
من حيث اخذها ويروى انه اقبل بعد فراغه من كلامه على نواة فعالج قلعها من الارض وهو
يقول ارى الدنيا لمن هو في يديه هموما كلما كثرت عليه يهين المكرمين لها بصغر ويكرم كل من هانت
لديه اذا استغنيت عن شئ فدعه وخذ ما انت محتاج اليه وعن سفيان الثوري قال حج المهدي
في سنة ست وستين ومايه فرايته يرمي جمرة العقبة والناس يخبطون يمينا وشمالا بالسياط فوقفت
يا حسن الوجه حدثنا ايمن بن نابل عن قدامة بن عبد الله الكلابي قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرمي الجمرة يوم النحر على جمل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا اليك اليك وها انت يخبط الناس بين
يديك يمينا وشمالا فقال لرجل من هذا فقال سفيان الثوري فقال يا سفيان لو كان المنصور
ما احتملك على هذا فقلت لو اخبرك المنصور بما لقي لاقصرت عما انت فيه قال فقيل له انه قال
لك يا حسن الوجه ولم يقل يا امير المومنين فقال اطلبوه فطلب سفيان فاختفى وقد روي
عن المامون ان رجلا محتسبا مشى في الناس يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولم
يكن مامورا من عنده بذلك فامر بان يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له بلغني انك رايت نفسك
اهلا للامر بالمعروف من غير ان يامرك وكان المامون جالسا على كرسي قد نظر في كتاب او قصة
فاغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر فقال المحتسب ارفع قدمك عن اسم الله ثم قل ما
شئت فلم يفهم فقال اما رفعت او اذنت لي حتى ارفع فقال ادن فنظر المامون تحت قدمه
فراى الكتاب فاخذ وقبل وخجل ثم عاد وقال لم تامر بالمعروف وقد جعل الله ذلك الينا اهل البيت
ونحن الذين قال الله فيهم الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر فقال صدقت يا امير المومنين انت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكين
غير انا اعوانك واولياؤك فيه لا ينكر ذلك الا من جهل كتاب الله وسنة رسوله قال الله تعالى والمومنون
والمومنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقد مكنت في الارض وهذا كتاب الله وسنة

رسوله صلى الله عليه وسلم فان انعدت لهما شكرت لمراعاتك لحرمتهما وان استكبرت عنهما ولم تنقد
لما لزمك فان للذى اليه امرك وبيده عزك وذلك قد شرط انه لا نضيع اجر من احسن عملا فقل
الان ما شئت فاعجب المامون بكلامه وسره وقال مثلك يجوز له ان يامر بالمعروف فامض
علي ما كنت عليه بامرنا وعن راينا فاستمر عليه ففي سياق هذه الحكايات بيان الدليل
علي الاستغناء عن الاذن فان قيل اثبت ولاية الحسبة للولد علي الوالد وللعبد علي السيد
وللزوجة على الزوج وللتلميذ علي الاستاد وللرعية علي الراعي مطلقا كما ثبت للوالد علي الولد
وللسيد علي العبد وللزوج علي الزوجة وللاستاد علي التلميذ وللسلطان علي الرعية او
بينهما فرق قلنا الذي نراه انه يثبت اصل الولاية ولكن بينهما فرق في التفصيل ولنفرض ذلك في
الولد مع الوالد فنقول قد رتبنا للحسبة خمس مراتب وللولد الحسبة بالرتبتين الاوليين وهو
التعريف ثم الوعظ والنصح باللطف وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا بمباشرة
الضرب وهما الرتبتان الاخيرتان وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث تؤدي الى اذى الوالد
وسخطه هذا فيه نظر وهو بان يكسر عوده ويريق خمره ويحل الخيوط عن ثيابه المنسوجة من الحرير
ويرد على الملاك ما يجده في بيته من المال الحرام الذي غصبه او سرقه او اخذه عن ادرار ورزق
من ضريبة المسلمين المعينين ويبطل الصور المنقوشة علي حيطانه والمنقورة في خشب بيته
ويكسر اواني الذهب والفضة فان فعله في هذه الامور ليس يتعلق بذات الاب بخلاف الضرب
والسب ولكن الوالد يتاذى به ويسخط بسببه الا ان فعل الولد حق وسخط الاب منشاءه
حبه للباطل وللحرام والاظهر في القياس انه يثبت للولد ذلك بل لا يبعد ان ينظر فيه الي قبح المنكر
والي مقدار الاذي والسخط فان كان المنكر فاحشا وسخطه عليه قريب كاراقة خمر من لا
يشرع فذلك ظاهر وان كان المنكر قريبا والسخط شديدا كما لو كانت له آنية من بلور او زجاج
علي صورة حيوان وفي كسرها خسران مال كثير فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس يجري هذه
المعصية مجرى الخمر وغيره فهذا كله مجال النظر فان قيل ومن اين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف
والضرب والارهاق الي ترك الباطل والامر بالمعروف في الكتاب والسنة ورد عاما من غير
تخصيص واما النهي عن التافيف والايذاء فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق بارتكاب
المنكرات فنقول قد ورد في حق الاب علي الخصوص ما يوجب الاستثناء عن العموم اذ لا خلاف
في ان الجلاد ليس له ان يقتل اباه في الزنا ولا له ان يباشر اقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل ابيه الكافر

بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له ان يؤذيه في مقابلته فقد ورد في ذلك اخبار
وثبت بعضها بالاجماع فاذا لم يجز له ايذاؤه بعقوبة هي حق على جناية سابقة فلا يجوز ايذاؤه
بعقوبة هو منع عن جناية مستقبلة متوقعة بل اولى وهذا الترتيب ايضا ينبغي ان يجري في العبد
وللزوجة مع السيد والزوج فهما قريبان من الولد في لزوم الحق وان كان ملك اليمين
آكد من ملك النكاح ولكن في الخبر انه لو جاز السجود لمخلوق لامرت المرأة بالسجود لبعلها وهذا
يدل على تأكد الحق ايضا واما الرعية مع السلطان فالامر فيه اشد من الوالد فليس له معه الا
التعريف والنصح فاما المرتبة الثالثة ففيه نظر من حيث ان الهجوم على اخذ الاموال من خزائنه
ورده على الملاك وعلى تحليل الخيوط من ثيابه واراقة الخمور في بيته يكاد يفضي الى خرق هيبته
واسقاط حشمته وذلك محذور ورد النهي عنه كما ورد النهي عن السكوت على المنكر فقد تعارض
فيه ايضا محذوران والامر فيه موكول الى اجتهاد منشأه النظر في تفاحش المنكر ومقدار
ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه واما التلميذ والاستاذ فالامر
فيما بينهما اخف لان المحترم هو الاستاذ المفيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل
بعلمه فله ان يعامله بموجب علمه الذي تعلمه منه وروي انه سئل الحسن عن الولد كيف
يحتسب على والده فقال يعظه ما لم يغضب فاذا غضب سكت عنه الشرط الخامس كونه
قادرا ولا يخفى ان العاجز ليس عليه حسبة الا بقلبه اذ كل من احب الله يكره معاصيه وينكرها
وقال ابن مسعود جاهدوا الكفار بايديكم فان لم تستطيعوا الا ان تكفهروا في وجوههم فافعلوا
فاعلم انه لا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسي بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله
فذلك في معنى العجز وكذلك اذا لم يخف مكروها ولكن علم ان انكاره لا ينفع فليلتفت الى
معنيين احدهما عدم افادة الانكار امتناعا والآخر خوف مكروه ويحصل من اعتبار المعنيين
اربعة احوال احدها ان يجتمع المعنيان بان يعلم انه لا ينفع كلامه ويضرب ان تكلم فلا
يجب عليه الحسبة بل ربما يحرم في بعض المواضع نعم يلزمه ان لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل
في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج الا لحاجة مهمة او واجب ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة
الا اذا كان يرهق الى الفساد او يحمل على مساعدة السلاطين في الظلم والمنكرات فيلزمه
الهجرة ان قدر عليها فان الاكراه لا يكون عذرا في حق من يقدر على الهرب من الاكراه الثانية
ان ينتفي المعنيان بان يعلم ان المنكر يترك بقوله او فعله ولا يقدر له على مكروه فيجب وهي القدرة

المطلقة الثالثة ان يعلم انه لا يفيد لكنه لا يخاف مكروها فلا تجب الحسبة لعدم فايدتها
ولكن تستحب لاظهار شعار الاسلام وتذكير الناس بامر الدين الرابعة عكس هذه وهو ان يعلم
انه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر على ان يرمي زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها
ويريق الخمر او يضرب العود الذي في يده ضربة مختطفة فيكسرها في الحال ويتعطل عليه هذا
المنكر ولكنه يعلم انه يرجع اليه فيضرب راسه فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب
ويدل عليه الخبر الذي اوردناه في فضل كلمة حق عند امام جاير ولا شك في ان ذلك مظنة
الخوف ويدل عليه ما روي عن ابي سليمان الداراني انه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فاردت
ان انكر وعلمت اني اقتل ولم يمنعني القتل ولكن كان في ملاء من الناس فخشيت ان يعتريني
التزين للخلق فاقتل من غير اخلاص في الفعل فان قيل فما معنى قوله ولا تلقوا بايديكم الى
التهلكة قلنا لا خلاف في ان المسلم الواحد ان يهجم على صف الكفار ويقاتل وان علم انه يقتل
وهذا ربما يظن انه مخالفة لموجب الاية وليس كذلك فقد قال ابن عباس ليس التهلكة ذلك بل
ترك النفقة في طاعة الله اي من لم يفعل ذلك فقد اهلك نفسه وقال البراء بن عازب التهلكة
هو ان يذنب الذنب ثم يقول لا يتاب علي وقال ابو عبيدة هو ان يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى
يهلك واذا جاز ان يقاتل الكفار حتى يقتل جاز ايضا ذلك في الحسبة ولكن لو علم انه لا نكاية
لهجومه على الكفار كالاعمى يطرح نفسه على الصف او العاجز فلا يجوز وذلك حرام وداخل تحت
عموم اية التهلكة وانما جاز اذا علم انه يقتل الى ان يقتل او علم انه يكسر قلب الكفار بمشاهدتهم
جراته واعتقادهم في ساير المسلمين قلة المبالاة وحبهم للشهادة في سبيل الله فينكسر به شوكتهم
فلذلك يجوز للمحتسب بل يستحب ان يعرض نفسه للضرب والقتل اذا كان لحسبته تاثير في دفع
المنكر او في كسر جاه الفاسق او في تقوية قلوب اهل الدين فاما ان راى فاسقا متعلما وحده
وعنده سيف وبيده قدح وعلم انه لو انكر عليه لشرب القدح وضرب عنقه فهذا ما لا ارى للحسبة
فيه وجها وهو عين الاهلاك فان المفهوم ان يؤثر في الدين اثرا ويفديه بنفسه فاما تعريض
النفس للهلاك من غير اثر فلا وجه له بل ينبغي ان يكون حراما وانما يستحب اذا قدر على ابطال
المنكر او ظهر لفعله فايدة وذلك بشرط ان يقتصر المكروه عليه فان علم انه يضرب معه غيره من
اصحابه او اقاربه او رفقايه فلا يجوز له الحسبة بل يحرم لانه عجز عن دفع المنكر الا بان يفضي ذلك
الى منكر آخر وليس ذلك من القدرة في شيء بل لو علم انه لو احتسب بطل ذلك المنكر ولكن كان

ذلك سببا لمنكر آخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الانكار على الاظهر لان المقصود عدم مناكر
الشرع مطلقا لا من زيد او عمرو وذلك بان يكون مثلا مع الانسان شراب حلال نجس بسبب
وقوع نجاسة فيه وعلم انه لو اراقه لشرب اصحابه الخمر او شرب اولاده الخمر لاعوازهم الشراب الحلال
فلا معنى لاراقه ذلك ويحتمل ان يقال يريق ذلك فيكون هو مبطلا للمنكر واما شرب الآخر
فهو الملوم فيه والمحتسب غير قادر على ذلك القادر وقد ذهب الى هذا ذاهبون وليس ببعيد
فان هذه مسايل فقهية لا يمكن الحكم فيها الا بظن ولا يبعد ان نفرق بين درجات المنكر
المعتر والمنكر الذي يفضي اليه الحسبة والعصر فانه اذا كان يذبح شاة لغيره حتى ياكله وعلم انه
لو منع منه اكل انسانا واكله فلا معنى لهذه الحسبة نعم لو كان منعه عن ذبح انسان او قطع طرفه
بحمله على اخذ ماله فذلك له وجه فهذه دقايق واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده
في ذلك كله ولهذه الدقايق نقول العامي ينبغي ان لا يحتسب الا في الجليات المعلومة كشرب
الخمر والزنا وترك الصلوة واما ما يعلم كونه معصية بالاضافة الى ما يطيف به من الافعال
ويفتقر فيه الى الاجتهاد فالعامي ان خاض فيه كان ما يفسده اكثر مما يصلحه وعن هذا يتاكد
ظن من لا يثبت ولاية الحسبة الا بتعيين الوالي اذ ربما يتصدى له من ليس اهلا لقصور معرفته
او قصور ديانته فيؤدي الى وجوه من الخلل وسياتي كشف الغطاء عن ذلك فان قيل
وحيث اطلقتم العلم بانه يصيبه مكروه او انه لا يفيد حسبة فلو كان بدله ظنه فما حكمه قلنا
الظن الغالب في هذه الابواب في معنى العلم وانما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم
اذ يرجح العلم اليقيني على الظن ويفرق بين العلم والظن في موضع آخر وهو انه يسقط عنه وجوب
الحسبة حيث علم قطعا انه لا يفيد فان كان غالب ظنه انه لا يفيد ولكن يحتمل ان يفيد وهو
مع ذلك لا يتوقع مكروها فقد اختلفوا في وجوبه والاظهر وجوبه اذ لا ضرر فيه وجدوا موقع
وعمومات الامر بالمعروف تقتضي الوجوب بكل حال ونحن انما نستثني عنه بطريق التخصيص
ما اذا علم انه لا فايدة فيه اما بالاجماع او بقياس ظاهر وهو ان الامر ليس يراد لعينه بل للمامور
فاذا علم الناس عنه فلا فايدة فيه واما اذا لم يكن ياس فينبغي ان يسقط الوجوب فان قيل
فالمكروه الذي يتوقع اصابته اذا لم يكن متيقنا ولا معلوما بغالب الظن ولكن كان مشكوكا
فيه او كان غالب ظنه انه لا يصاب بمكروه ولكن احتمل ان يصاب بمكروه فهذا الاحتمال
هل يسقط الوجوب حتى لا يجب الا عند اليقين بانه لا يصيبه مكروه ام يجب في كل حال الا اذا

غلب على ظنه انه يصاب بمكروه وقلنا ان غلب على ظنه انه يصاب لم يجب وان غلب على ظنه انه لا يصاب
وجب ومجرد التجويز لا يسقط الوجوب فان ذلك ممكن في كل حسبة وان شك فيه من غير رجحان
فهذا محل النظر فيحتمل ان يقال الاصل الوجوب بحكم العمومات وانما يسقط بمكروه والمكروه
هو الذي يظن او يعلم حتى يكون متوقعا وهذا هو الاظهر ويحتمل ان يقال انه انما يجب عليه اذا
علم انه لا ضرر عليه والاول اصح نظرا الى قضية العمومات الموجبة للامر بالمعروف فان قيل
فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجراة فالجبان الضعيف القلب يرى القريب بعيدا حتى كانه
يشاهده ويرتاع منه والمتهور والشجاع بعيد وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن الامل
حتى لا يصدق به الا بعد وقوعه فعلى ماذا التعويل قلنا التعويل على اعتدال الطبع وسلامة
العقل والمزاج فان الجبن مرض وهو ضعف في القلب سببه قصور في القوة وتفريط والتهور
افراط في القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وانما الكمال في الاعتدال
الذي يعبر عنه بالشجاعة وكل واحد من الجبن والتهور يصدر تارة عن نقصان العقل وتارة
عن خلل في المزاج بتفريط او افراط فان من اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجراة فلا يتفطن
لمدارك الشر فيكون سبب جراته جهله وقد لا يتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله
وقد يكون عالما بحكم التجربة والممارسة بمداخل الشر ودوافعها ولكن يعمل الشر البعيد في حله
وتحليل قوته في الاقدام بسبب ضعف قلبه ما يفعله الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع
فلا التفات الى الطرفين وعلى الجبان ان يتكلف ازالة الجبن بازالة علته وعلته جهل او ضعف
ويزول الجهل بالتجربة ويزول الضعف بممارسة الفعل المخوف منه تكلفا حتى يصير معتادا
اذ المبتدى في المناظرة والوعظ قد يجبن منه طبعه لضعفه فاذا مارس واعتاد فارقه الضعف
فان صار ذلك ضروريا غير قابل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعيف يتبع
حاله فيعذر كما يعذر المريض في التقاعد عن بعض الواجبات ولذلك قد نقول على راى لا يجوز
ركوب البحر لاجل حجة الاسلام على من يغلب عليه الجبن في ركوب البحر ويجب على من لا يعظم
خوفه منه فكذلك الامر في وجوب الحسبة فان قيل فالمكروه المتوقع ما حده فان الانسان
قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المحتسب عليه في حقه بالغيبة وما من شخص
يومر بالمعروف الا ويتوقع عنه نوع من الاذى وقد يكون منه ان يسعى الى سلطان او يقدح
فيه في مجلس يتضرر بقدحه فما حد المكروه الذي يسقط الوجوب قلنا هذا ايضا نظر غامض

وصورة منتشرة ومحاربر كثيرة ولكنا بجتهد في ضم نشره وحصر اقسامه فنقول المكروه نقيض المطلوب
ومطالب الخلق في الدنيا ترجع الي اربعة اما في النفس فالعلم واما في البدن فالصحة والسلامة
واما في المال فالثروة واما في قلوب الناس فتمام الجاه فاذن المطلوب العلم والصحة
والثروة والجاه ومعنى الجاه ملك قلوب الناس كما ان معنى الثروة ملك الدراهم لان قلوب
الناس وسيلة الي الاغراض كما ان ملك الدراهم وسيلة وسيأتي تحقيق معنى الجاه وسبب ميل
الطبع اليه في ربع المهلكات وكل واحد من هذه الاربعة تطلبه الانسان لنفسه ولاقاربه
والمختصين به ويكره في هذه الاربعة امران احدهما زوال ما هو حاصل موجود والآخر امتناع
ما هو منتظر مفقود اعني اندفاع ما يتوقع وجوده فلا ضرر الا في فوات حاصل وزواله او توقع
منتظر فان المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كانه حاصل وفوات امكانه كانه
فوات حصوله فرجع المكروه الي قسمين احدهما خوف امتناع المنتظر وهذا لا ينبغي ان يكون
مرخصا في ترك الامر بالمعروف ولنذكر مثاله في المطالب الاربعة اما العلم فمثاله ترك الحسبة
على من يختص باستاذه خوفا من ان يقبح حاله عنده فيمتنع من تعليمه واما الصحة فتركه الانكار
على الطبيب الذي يدخل عليه مثلا وهو لابس حرير خوفا من ان يتقاعد عنه فيمتنع بسببه صحته
المنتظرة واما المال فتركه الحسبة على السلطان واصحابه وعلى من يواسيه خيفة من ان يقطع ادراره
في المستقبل ويترك مواساته واما الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع منه جاها ونصرة في
المستقبل خيفة من ان لا يحصل له الجاه او خيفة من ان يقبح حاله عند السلطان الذي
يتوقع منه ولاية وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة فان هذه زيادات امتنعت وتسمية امتناع
حصول الزيادات ضررا مجاز وانما الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يستثنى عن هذا شيء الا ما
تمس اليه الحاجة ويكون في فواتها محذور يزيد على محذور السكوت على المنكر كما اذا كان محتاجا
الي الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم ان في تأخره شدة الضنى
وطول المرض وقد يفضي الي الموت واعني بالعلم الظن الذي يجوز بمثله ترك استعمال الماء
والعدول الي التيمم فاذا انتهى الي هذا الحد لم يبعد ان يرخص في ترك الحسبة واما في العلم فمثل
ان يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد الا معلما واحدا وعلم ان المحتسب عليه قادر على ان يسد
عليه طريق الوصول اليه لكون العالم مطيعا له او مستمعا لقوله فاذن الصبر على الجهل بمهمات
الدين محذور والسكوت على المنكر محذور ولا يبعد ان يترجح احدهما ويختلف ذلك بتفاحش المنكر

وبشدة الحاجة الى العلم لتعلمه مهمات الدين واما في المال فكمن يعجز عن الكسب والسوال وليس
قوي النفس في التوكل ولا منفق عليه سوي شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه وافتقر في تحصيله
الى طلب ادرار حرام او مات جوعا فهذا ايضا اذا اشتد الامر فيه لم يبعد ان يرخص في السكوت
واما الجاه فهو ان يوذيه شرير ولا يجد سبيلا الى دفع شره الا بجاه يكتسبه من سلطان ولا يقدر
على التوصل اليه الا بواسطة شخص يلبس الحرير او يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن واسطة
ووسيلة اليه فيمتنع حصول الجاه ويدوم بسببه اذى الشرير فهذه كلها اذا ظهرت وقويت لم يبعد
استثناؤها ولكن الامر فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفتي فيها قلبه ويزن احد المحذورين
بالاخر ويرجح بنظر الدين لا بموجب الهوى فان رجح بموجب الهوى سمى سكوته مداهنة وهو امر باطن لا يطلع عليه الا بنظر
دقيق ولكن الناقد بصير فحق كل متدين ان يراقب قلبه ويعلم ان الله تعالى مطلع على باعثه
وصارفه انه الدين او الهوى وستجد كل نفس ما عملت من سوء او خير محضرا عند الله ولو في فلتة خاطر
او لفتة ناظر من غير ظلم وجور فما الله بظلام للعبيد واما القسم الثاني وهو فوات الحاصل فهو
مكروه معتبر في جواز السكوت في الامور الاربعة الا العلم فان فواته غير مخوف الا بتقصير منه
والا فلا يقدر احد على سلب العلم من غيره وان قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال وهذا
احد اسباب شرف العلم فانه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الآخرة فلا انقطاع له ابد الاباد واما
الصحة والسلامة ففواتها بالضرب فكل من علم انه يضرب ضربا مولما يتاذى به في الحسبة لم يلزمه الحسبة
وان كان يستحب له ذلك كما سبق واذا فهم هذا في الايلام بالضرب فهو في الجرح والقطع والقتل
اظهر واما في الثروة فهو بان يعلم انه تنهب داره وتخرب بيته وتسلب ثيابه فهذا ايضا يسقط عنه
الوجوب ويبقى الاستحباب اذ لا باس بان يفدي دينه بدنياه ولكل واحد من الضرب والنهب حد
في القلة لا يكترث به كالحبة في المال واللطمة الخفيفة المها في الضرب وحد في الكثرة يتعين اعتبارها
ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين ان يجتهد فيه ويرجح جانب الدين ما امكن
واما الجاه ففواته بان يضرب ضربا غير مولم او يسب على ملا او تطرح منديله في رقبته ويدار في البلد
او يسود وجهه ويطاف به في البلد وكل ذلك من غير ضرب يولم للبدن وهو قادح في الجاه ومولم للقلب
وهذا له درجات فالصواب ان يقسم الى ما يعبر عنه بسقوط المروة كالطواف به في البلد حاسرا حافيا
فهذا يرخص في السكوت لان المروة مامور بحفظها في الشرع وهذا مولم للقلب الما يزيد على الم
ضربات معدودة وعلى فوات دريهمات قليلة فهذه درجة الدرجة الثانية ان يعبر عنه بالجاه المحض

وعلو المرتبه فان الخروج في ثياب فاخرة تجمل وكذا الركوب للخيل فلو علم انه لو احتسب كلف المشي في
الاسواق في ثياب لا يعتاد هو مثلها او كلف المشي راجلا وعادته الركوب فهذا من جملة المزايا وليس
المواظبة على حفظها محمودا وحفظ المروة محمود فلا ينبغي ان تسقط وجوب الحسبه بمثل هذا
العذر وفي معنى هذا ما لو خاف ان يتعرض له باللسان اما في حضرته بالتجهيل والتحميق والنسبة
الى الرياء والنفاق واما في غيبته بانواع الغيبه فهذا لا يسقط الوجوب اذ ليس فيه الا زوال فضلات
الجاه التي ليس اليها كثير حاجة ولو ترك الحسبه بلوم لائم او باغتياب فاسق وشتمه او تعنيفه
او سقوط المنزلة عن قلبه وقلب امثاله لم يكن للحسبه وجوب اصلا اذ لا تنفك الحسبه عنه الا
اذا كان المنكر هو الغيبه وعلم انه لو انكر لم يسكت عن المغتاب ولكن اضافه اليه وادخله معه في
الغيبه فتحرم هذه الحسبه لانه سبب زيادة المعصية وان علم انه يترك تلك الغيبه ويقتصر على غيبته
فلا تجب عليه لان غيبته ايضا معصية في حق المغتاب ولكن يستحب له ذلك ليفدي عرض المذكور
بعرض نفسه على سبيل الايثار وقد دلت العمومات على تاكد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت
عنه فلا يقابله الا ما عظم في الدين خطره والمال والنفس والمروة قد ظهر في الشرع خطرها
فاما مزايا الجاه والحشمه ودرجات التجمل وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا خطر له واما امتناعه
لخوف شي من هذه المكاره في حق اولاده واقاربه فهو في حقه دونه لان تاذيه بامر نفسه اشد
من تاذيه بامر غيره ومن وجه الدين هو فوقه لان له ان يسامح في حقوق نفسه وليس له المسامحة
في حق غيره فاذن ينبغي ان يمتنع فانه ان كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية
كالضرب والنهب فليس له هذه الحسبة لانه دفع منكر يفضي الى منكر وان كان يفوت لا بطريق
المعصية فهو ايذاء المسلم ايضا وليس له ذلك الا برضاهم فاذا كان يؤدي الى اذى قومه فليتركه
وذلك كالزاهد الذي له اقارب اغنياء فانه لا يخاف على ماله ان احتسب على السلطان ولكنه
يقصد اقاربه انتقاما منه بواسطتهم فاذا كان يتعدى الاذى من حسبته الى اقاربه وجيرانه
فليتركه فان ايذاء المسلمين محذور كما ان السكوت على المنكر محذور نعم ان كان لا ينالهم اذى
في مال ونفس ولكن ينالهم الاذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الامر فيه بدرجات
المنكرات في تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدحه في العرض
فان قيل فلو قصد الانسان قطع طرف من نفسه وكان لا يمتنع عنه الا بقتال ربما يؤدي الى
قتله فهل يقاتله عليه فان قلتم يقاتله فهو محال لانه اهلاك نفس خوفا من اهلاك طرف وفي

اهلاك النفس اهلاك الطرف ايضا قلنا يمنعه عنه ونقاتله اذ ليس غرضه حفظ نفسه وطرفه بل الغرض
حسم سبيل المنكر والمعصية وقتله في الحسبة ليس بمعصية وقطعه طرف نفسه معصية وذلك
كدفع الصائل على مال المسلم بما ياتي على قتله فانه جائز لا على معنى انا نفدي درهما من مال المسلم
بروح مسلم فان ذلك محال ولكن قصده مال المسلم معصية وقتله في الدفع عن المعصية ليس
بمعصية وانما المقصود دفع المعاصي فان قيل فان علمنا انه لو خلي بنفسه قطع طرف نفسه فينبغي
ان يقتله في الحال حسما لباب المعصية قلنا ذلك لا يعلم يقينا ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية
ولكنا اذا رايناه في حالة مباشرة القطع دفعناه فان قاتلنا قاتلناه ولم نبال بما ياتي على روحه
فاذن المعصية لها ثلاثة احوال احدها ان تكون متصرمة فالعقوبة على ما تصرم منها حد او تعزير
وهو الى الولاة لا الى الاحاد الثانية ان تكون راهنة وصاحبها مباشر لها كلابسه الحرير وامساكه
العود والخمر فابطال هذه المعصية واجبة بكل ما يمكن ما لم تؤد الى معصية افحش منها او مثلها
وذلك يثبت للاحاد والرعية الثالثة ان يكون متوقعا كالذي يستعد بكنس المجلس وتزيينه وجمع
الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر فهذا مشكوك فيه اذ ربما يعوق عنه عائق فلا يثبت للاحاد
سلطنة على العازم على الشرب الا بطريق الوعظ والنصح فاما بالتعنيف والضرب فلا يجوز لا للاحاد
ولا للسلطان الا اذا كانت تلك المعصية علمت منه بالعادة المستمرة وقد اقدم على السبب المؤدي
اليه ولم يبق لحصول المعصية الا ما ليس له فيه الا الانتظار وذلك كوقوف الاحداث على ابواب
حمام النساء للنظر اليهن عند الدخول والخروج فانهم وان لم يضيقوا الطريق لسعته فيجوز الحسبة
عليهم باقامتهم من الموضع ومنعهم من الوقوف بالتعنيف والضرب وكان تحقيق هذا اذا بحث
عنه يرجع الى ان هذا الوقوف في نفسه معصية وان كان مقصد العاصي وراءه كما ان الخلوة في
نفسها معصية لانها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية ونعني بالمظنة
ما يتعرض الانسان بها لوقوع المعصية غالبا بحيث لا يقدر على الانكفاف عنها فاذن هو على
التحقيق حسبة على معصية راهنة لا على معصية منتظرة **الركن الثاني** للحسبة ما فيه الحسبة وهو كل
منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب من غير تجسس معلوم كونه منكرا بغير اجتهاد فهذه اربعة شروط
فلنبحث عنها الاول كونه منكرا ونعني به ان يكون محذور الوقوع في نظر الشرع وعدلنا من لفظ
المعصية الى هذا لان المنكر اعم من المعصية اذ من راى صبيا او مجنونا يشرب الخمر فعليه ان يريق
خمره ويمنعه وكذا ان راى مجنونا يزني بمجنونة او بهيمة فعليه ان يمنعه منه وليس ذلك لتفاحش صورة